كاظم الموسوي

المطرقة والمنجل في العراق

قراءة في كتابات ومذكرات قيادات شيوعية



الفارابي

كاظم الموسوي

المطرقة والمنجل
في العراق

قراءة في كتابات ومذكرات قيادات شيوعية

دار الفارابي

الكتاب: المطرقة والمنجل في العراق
المؤلف: كاظم الموسوي
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2011
ISBN: 978-9953-71-621-3

الإهداء

إلى كل
من حمل يوماً
مطرقة أو منجلاً في العراق
من أجل مستقبل أفضل وحياة كريمة
وإلى
فهد
سلام عادل
سالم عبيد النعمان
زكي خيري
باقر ابراهيم
حسين سلطان
عدنان عباس
كاظم فرهود الياسري
رحيم عجينة

كلمات

قراءة كتابات ومذكرات القيادات الشيوعية في العراق وما تضمنته من خبرات ودروس وملاحظات واسترجاعات لأيام ماضية وأحداث وسمت تاريخ العراق والعالم العربي والعالم أيضاً، تعيد إلى الذاكرة الكثير، وتجدد اللقاء بهؤلاء القادة، أفراداً وهيئات، شخصيات ومواقع حزبية وفكرية، وبنشاطهم ومأثورهم النضالي والوطني. هذا الكتاب يستعيد في قراءته تلك الأيام ويضعها أمام محك صدورها ووجودها بأسماء كتابها، ولا يدرس تاريخ الحركة الشيوعية أو ينقدها وإنما يضع من خلالها مفاتيح لمثل هذه المهمة أو المتطلب البحثي في العراق اليوم. والكتابات والمذكرات، بما لها وعليها من حمولات الزمن وتأثيرات التغيرات وحسابات الظروف وطبيعة القيادات وأدوارهم في العمل السياسي والفكري والتنظيمي وما مر على العراق، شعباً وبلداً، من أيام ومراحل سياسية وتاريخية وتطورات لا يمكن إغفال دور الفرد والقيادة الحزبية فيها، تعطي قراءتها، صورة أخرى عما حصل وحدث، وتقدم وثائق وحقائق إضافية أو ربما جديدة للوقائع المروية والكتابات المدونة، وهي بكل الأحوال تبقى شهادات

شخصية ولكنها ليست فردية، بمعنى من المعاني، تضيف إلى الأحداث ما يمكن أن يجلوها من وجهات نظر وآراء وأفعال واجتهادات معبرة بقيمة أصحابها ودورهم وفعلهم وموقعهم المؤثر فيها. وهي، من جهة أخرى، ليست ملكاً شخصياً وامتيازات خاصة وإنما هي تراث شعب وحركة وطنية وصفحات تاريخ واختيارات وإرادات ومتغيرات وكذلك مسؤوليات ومصداقية وأداءات وعطاءات تجاوزت الجود بأغلى ما يملكه الإنسان، وكان الكثير من الشيوعيين العراقيين والقيادات أهلاً لها.

وأبرز ما جاء في المذكرات هو الكتابة عن التاريخ الشخصي، السيرة الذاتية، من خلال العمل الحزبي، ووصف ما جرى، ماذا حصل وكيف حدث، دون التركيز معه جواباً عن سؤال: لماذا تم هكذا، بهذا الشكل أو بهذه الطريقة؟، ومَن هو المسؤول عنها، إيجاباً أو سلباً، لا سيما حول أحداث تركت آثاراً وتداعيات، ما زالت مدار حوار وسجال، واختلاف وصراع؟، أو صفحات تباينت الآراء حولها، بين مدح أو قدح، وهي ليست بعيدة في التاريخ، رغم إيداعها جنباته، أي إنها أصبحت في ذمته زمنياً، ولكن ثمة من عاشها بتفاصيلها أو شارك فيها بصورة ما، وهو الأقرب إليها أو شاهد عليها.

ومن طريف ما سجله القادة الشيوعيون في العراق قصص السجون والسجّانين والتعذيب والعنف السياسي، وهي فصول بارزة في تاريخ الحكم في العراق وظروف العلاقات الوطنية وسياسات المتحكمين في شؤون العراق، سواء من سلطات الاحتلال الأجنبي أو الوطني . وهي مرويات تكشف طبيعة وغرابة قمع الحكومات وتحدي المحكومين لها، وتفنن الطرفين في لعبة العمل السياسي في العراق.

لعل ما يتوقف القارئ كثيراً عنده في أغلب المذكرات والسير الشخصية للقيادات الشيوعية هو تكرار مفردات الشك والريبة وفقدان الثقة فيما بينهم وبرفاقهم في المواقع القيادية نفسها التي عملوا فيها أو مع السكرتير الأول للحزب، الذي من المفترض أن قناعتهم به هي التي زكته ووافقت على تسليمه هذا المركز الحزبي المهم في تاريخ الحزب والعمل السياسي في بلد كالعراق.

يكاد أغلب ما سرد في المذكرات يدور حول كفاح الحزب الوطني وصلابة الشيوعيين في مقارعة السلطات والحكام، ويتوسع في مجالات الصراعات السياسية والتنظيمية والشخصية أو الفردية هنا، بينما لا يوجد الكثير من الصراعات الفكرية والنظرية والعمل الثقافي المتعلق بتطبيق النظريات التي يؤمن بها الحزب ويسعى إلى إنجازها في

الواقع العراقي وبين الجماهير الشعبية العراقية، رغم وجود لجان تحمل تسميات العمل الأيديولوجي والتثقيف الحزبي ومجلة نظرية مدعومة من المركز العالمي للحركة الشيوعية العالمية.

كما لا يمكن المرور على كل ما صدر ونشر علناً بسهولة وتبسيط بل لا بد من فحصه ومقارنته، إذ يبقى بكل الأحوال شهادات أو أقرب إلى الوثائق المثبتة والموثوق بها لما لأصحابها من مصداقية وإمكانية التدقيق فيها والتحسب لتبعاتها. ولكن رغم كل ذلك ظل كثير من تلك الصفحات بحاجة إلى تعبيرات أوسع منها، أو يمكن القول إنها غير كاملة من جميع الوجوه المطلوبة منها، لأن بعضها لم تنكشف تفاصيله الكاملة بعد، أي يتطلب البوح بكثير من المحظور أو المحذور سابقاً عنها، لأن للزمن والتاريخ مكانته، وللأجيال أسئلتها عن دور الآباء والأجداد فيها، ومثلها يمكن القول إن كثيراً من الصفحات والمراحل التاريخية تتطلب نقداً ذاتياً أو تحملاً أوسع للمسؤولية فيها وتحميل أصحابها وحتى محاسبتهم عليها، سياسياً وأخلاقياً، قبل القانون والعرف العام، لتكون عبرة ودرساً واعتباراً إنسانياً. ولا يكفي ترك الكثير منها لملاحظات القراء أو لاجتهادات المدافعين عن الموروث بكل ما يحمله أو يدين

به. وهذا الأمر بكل الأحوال يتطلب لجان بحث ومراكز دراسات لقراءتها وتقييمها وتشريحها موضوعياً وتسجيل صفحات التاريخ، السياسي والحزبي والنضالي للشعب العراقي، من خلالها وعبر وقائعها ووثائقها الأخرى، ومن خلال مقارنتها بالوثائق والأحداث التاريخية وسجلات ومدونات الصحف والكتب المنشورة والمخطوطة الأخرى والأرشيف الوطني وغيره.

هناك انطباعات كثيرة عن مواقف وأشخاص، قد لا تليق بمدونها أو لا تحسب له، وهناك فقرات ومشاهد بحاجة إلى تسليط أضواء كثيرة عليها، ففيها لبس أو التباس، وفيها أسئلة وتساؤلات، وخلافات واختلافات مشروعة في زمنها أو محكومة بظروفها. فهل كل الانشقاقات والانقسامات في الحزب بلا أسباب موضوعية وذاتية؟ ولماذا تتوسع وتصل إلى القطيعة والاتهام؟ ولماذا حلت بعضها بسهولة وببساطة أو بلمسات رقيقة ودقيقة من قيادات رصينة؟. وهل كل الناشطين في هذه التكتلات والانقسامات والانشطارات هم شيوعيون فعلاً؟، ولماذا تعاون بعضهم مع العدو الطبقي والاجتماعي والسياسي ضد نفسه، وحزبه ورفاقه، وسهل للعدو الاختراق والانقضاض وتصفية وإعدام قيادات وشخصيات لها مكانها في تاريخ الحزب والحركة الوطنية؟. ومن هو المسؤول عن

الأخطاء أو الممارسات غير السليمة، أو الإجراءات القاسية أو الأحداث التي ارتكبت فيها جرائم ومخالفات صارخة؟. ولماذا التهرب من تحمل المسؤولية بشجاعة وتفانٍ، أشبه بروح التضحية والإقدام في الانتماء والصلابة وسنوات السجون والاعتقالات والتعذيب؟. وهل كل القرارات التي اتخذت كانت جماعية ولمصلحة الحزب والشعب العراقي؟ ولماذا انتكست الحركة السياسية الثورية والديمقراطية؟ ولماذا لم تتحقق برامجها ونظرياتها رغم كل ما قدمته من تضحيات جسيمة وأثمان لا تقدر بمقاييسها؟. ولِمَ فشلت انتفاضات شعبية وراحت دماء شهداء كثر بلا جواب عنها؟. ولماذا الاحتراب السياسي والمجازر ومن كان وراءها؟ وكيف عقدت التحالفات بعدها؟. كيف انقلبت الاستراتيجيات بين يوم وآخر؟ ولماذا في هذه القضية وليس في غيرها؟. أين مواقع الخلافات الفكرية والأيديولوجية ولماذا التعويل على الحلول الخارجية لها، رغم عدم التركيز عليها؟ أين دور جماهير الحزب في الصراعات والنضالات الوطنية والداخلية؟ وما الموقف منها؟ ولماذا التركيز على الأفراد والقيادات الحزبية وإغفال القاعدة الحزبية وجماهير الحزب؟. أسئلة كثيرة وكبيرة تظل بحاجة دائماً إلى الوضوح والإجابة الوافية، حتى من زوايا مختلفة ووجهات نظر شخصية أو فردية. إذ ليس

للعوامل الموضوعية أو الخارجية وحدها الدور الفصل، بل بالتأكيد إن للعوامل الذاتية أو الداخلية أدواراً كبيرة فيها. وهنا السؤال عن هذه العوامل والأسباب؟!. فالوقائع ستكشفها والدراسات الموضوعية والبحث فيها يضعها أمام الجميع ولو بعد حين، والحقائق لا تغيب طويلاً.

في هذه الأوراق والمذكرات والمذاكرات أشياء مهمة وخطيرة تاريخياً وسياسياً، وفيها أشياء جميلة عن الطفولة والحياة العائلية وكذلك عن الأحوال والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها مما يحتاج إليها الباحث والمؤرخ والأجيال التي تحمل الراية بعد تلك الأسماء الكبيرة، القائدة والمؤسسة والمناضلة والمضحية بكل ما تملكه من أجل الشعب والوطن والإنسانية جمعاء. وكذلك تعكس العقل السياسي الذي سجلها وكيف فكر فيها وجمع قواه لأجلها وتطوع في سبيلها. وهذه حالة مهمة للفكر السياسي ودراسته وتطوراته والتغيرات التي عبرت عنه في مراحلها التاريخية. وبما أنها تعبر عن تيار بارز في الفكر السياسي فإنها تسجل أيضاً حضورها الدائم والضروري في تدوين التاريخ الفكري السياسي في العراق.

خلال الأعوام القريبة الماضية صدر عدد من الكتب، ذات عناوين مختلفة، لكنها كلها صور وصفحات من مذكرات

قيادات في الحزب الشيوعي العراقي، خروجاً على المألوف في العمل التنظيمي والضبط والمنع الداخلي، أو بعد خروجهم منه، بأي شكل من الأشكال، سجلت رحلة هؤلاء السياسية والحزبية ودورهم والحزب في التاريخ السياسي العراقي، ومن منطلقات متباينة، أغلبها يقع بين التوثيق وتبرئة الذمة، أو استجابة لمطالبات "رفاقية" للشهادة التاريخية ووضع نقاط على حروف ضائعة يمكن أن توضع في مجال المحاسبة لفترات وأفراد لعبوا دوراً بارزاً أو معيناً في إدارة الدفة، سواء في قيادة الحزب أو الأحداث في العراق. والأغلب في هذه المذكرات لم يقترب كثيراً من المحرمات الحزبية أو لم تبحث فيها وتكشف مضمونها وما حصل فيها حقيقة للتاريخ، (مثل الانشقاقات واختيار القيادات والسكرتير العام) ولامست محطات مهمة دون توضيحها تفصيلياً (دور الحزب في التخطيط للثورة العراقية عام 1958 والعمل في الجيش وترك الشارع، ودور الأفراد في التصرف في حياة الحزب ومصيره، أو تضييع الفرص التاريخية بانتظار فرص أخرى وغيرها)، وأعطت صوراً أو لقطات عن أحداث كانت مفصلية ولم تعرها الأهمية في الكتابة مثل الحديث عنها أو تدوينها في وثائق الحزب مثلاً (المؤتمرات الحزبية، وإهمال الفرص أو التردد في حسم الأمور في الكثير من الأحداث

السياسية والانقلابات والتحالفات والعلاقات السياسية الداخلية والخارجية)، وغيرها الكثير من القضايا المهمة جداً في حياة الحزب أو العراق. وستظل هذه القيادات، على الأقل، من بقي حياً منها، مسؤولة عن التصريح والإفصاح عن كل ما جرى وحصل، عن الدور أو الأدوار للحزب وقياداته، مثلما نقلت عن أيامها الأولى وعن مواقفها الايجابية وعن بعض مراجعاتها وانتقاداتها التي مستها شخصياً أو أزعجتها توابعها، أو مقدماتها التي مهدت أو أوصلت الحزب إلى ما هو عليه الآن، بعد أن كانت الشمس لا تغيب عن أفعاله المشهودة له ومواقفه المعروفة وقدراته البناءة في حياة الشعب والبلاد.

من بين من دوّن مذكراته مبكراً ونشرها عزيز الحاج، وبهاء الدين نوري، وباقر إبراهيم، ومن نشرت بعد وفاته، زكي خيري، رحيم عجينة وصالح دكلة، وصدرت كذلك مذكرات لفاتح رسول (بالكردية)، وسليم إسماعيل، وكريم أحمد، وشوكت خزندار، وجاسم الحلوائي، وتوما توماس، وعبد الرزاق الصافي، وضاعت ما قيل أنه سجلها، أو لم تنشر بعد، مذكرات عامر عبد الله، كما أصدر عدنان عباس مذكراته بعنوان: هذا ما حدث وحسين سلطان، من إعداد ابنه خالد بعنوان: أوراق من حياة شيوعي، حسين سلطان

صبي، وكاظم فرهود الياسري بعنوان: سيرة وذكريات وود مقيم، وآخرون اكتفوا بما سجله الآخرون عنهم ومعظمهم ران الصمت عليهم طويلاً ولم يجرؤوا بعد، أو ينتظرون لحظات الوداع الأخير لهم ولما تبقى لديهم من شهادات للتاريخ ومستقبل الأجيال. ويبقى ما نشر وما كتب له أهميته مهما كانت بواعثه ومحفزاته، محتوياته وسطوره، أسلوبه وصياغاته، اختياره ومعالجاته. كما تظل الحاجة إلى تحفيز العقل والذاكرة السياسية للكتابة والنشر العام لاستكمال الصورة والشهادة للتاريخ وللغد من كل من يرى في نفسه القدرة على ذلك.

من بين كل ذلك اخترت أن أسلط الضوء مسبقاً على كتابات الرفيق فهد، التي نشرت في كتاب بهذا الاسم، لأهميتها ودورها في تسجيل ما يضمه الكتاب عنها. ومن ثم قراءة في كتاب عنه من قبل رفيق عايشه ونقل عنه ما يضيف إليه من ملامح وصفات، ولربما سيرة ذاتية بعيون رفيق أيضاً. كما أقدم قراءة في ما كتبته أرملة الشهيد سلام عادل عنه من شهادات وكتابات وسيرة نضال وشهادة تستكمل صفحات التاريخ وتواصل مراحله وتكشف تداخلها والسمات التي جمعت كل هذه القيادات والتضحيات التي قدموها، سواء في الكفاح الوطني أو الفكري أو السجون والمعتقلات أو التظاهرات والانتفاضات أو الصمود في أصعب اللحظات

وأقسى الساعات والأيام التي مرت على الحزب الشيوعي العراقي والشعب والعراق.

كما اخترت قراءة في مذكرات وكتابات القادة المناضلين: زكي خيري، وباقر إبراهيم، وحسين سلطان، وعدنان عباس، وكاظم فرهود، ورحيم عجينة نموذجاً ومثالاً ودرساً وتجربة، وتأملاً مع ما كتب ونشر من مذكرات وكتابات تحتاج هي الأخرى إلى قراءات أخرى ونقاشات وسجالات، لأن ما ينفع الناس يبقى حياً كما تظل شجرة الحياة خضراء دائماً.

كاظم الموسوي

لندن، حزيران/يونيو 2010

كتابات الرفيق فهد
تراث فكري ومنهج كفاحي للتحرر الوطني

صدر أواسط السبعينيات من القرن الماضي كتاب في بغداد تحت هذا الاسم: **كتابات الرفيق فهد**، بـ 460 صفحة من القطع الوسط. والمؤلف، الرفيق فهد، هو **يوسف سلمان يوسف**، المؤسس والقائد للحزب الشيوعي العراقي، وكتب على غلافه أيضاً: من وثائق الحزب الشيوعي العراقي، وعلى صفحته الأولى: تقديم **زكي خيري**، وعني بجمعه ونشره **فخري كريم**.. وبعد تصفحه وقراءة محتوياته ومنها التقديم يتضح أن اسم الكتاب أو عنوانه لا يشمل كل كتابات القائد الشيوعي المتميز في إبداعاته وأفكاره وقيادته ودوره في تطوير الفكر والكفاح الوطني في العراق في فترته التي عمل وناضل فيها. وهذه قضية تلفت الانتباه وتثير أسئلة. معروف أن فهد ولد في العراق عام 1901 واستشهد بموجب قرار بالإعدام شنقاً في ساحة عامة وسط بغداد، في الرابع عشر من شباط/ فبراير 1949، ما زال مصدره ملتبساً ووثائقه وأوراق محاكمته غير مكشوفة. وأُسِّس **الحزب الشيوعي** رسمياً عام 1934،

(كما يحتفل الحزب الشيوعي سنوياً بذلك) وكان هو أحد مؤسسيه، وسافر إلى موسكو للدراسة الحزبية، وحين عاد أسهم في إعادة تأسيسه، ووضع أسس بنائه وعمله في تلك الفترة من تاريخه. ومن عودته إلى استشهاده عكس في كل كتاباته ونشاطاته إمكاناته المتنوعة وقدراته المنوعة وحاجة الشعب والحزب إلى مثل تلك الكتابات، كما استبانت أهميتها حينها وبعدها لفصائل حركة التحرر الوطني العربية، ووضحت طبيعة المهام والمرحلة التي عاش وكافح فيها ومكانتها في تاريخ الشعوب والتحرر الوطني من الاستعمار والانتداب والهيمنة الإمبريالية والصراعات بين الإمبراطوريات وحلفائها المحليين والإقليميين. هذا إضافة إلى ضرورة معرفة مواقفه ودوره في هذه المرحلة تاريخياً وفكرياً وانسحابها على مواقف حزبه والحركة الشيوعية والوطنية. فهو الرجل الذي شهد له كل الناشطين السياسيين في زمنه وبعده أيضاً، معترفين بمكانته. والحكم عليه، من خلال قراءة كتاباته ودوره، في تلك الفترة شرح ماهية مساهماته وموقعها وقدراته الفكرية المتميزة.

كتب **زكي خيري**، وهو أيضاً قائد شيوعي ورفيق مشارك معه، في تقديمه الطبعة الثانية **لكتابات الرفيق فهد**، ما يلي: هاكم جملة من تراثه الفكري، هذه الكراريس التي ألفها فهد قبل أكثر من جيل وما تزال جديدة أبداً، حتى أن شعبيتها

تزداد يوماً بعد آخر. وأضاف: "أكمل **يوسف سلمان فهد** دراسته الأكاديمية للماركسية اللينينية قبل أربعين سنة وعمل بعدها من جديد في بناء الحزب وقاده في ظروف بالغة الصعوبة لعشر سنوات ونيف. ومع ذلك لم نستطع، بعد، أن نجمع كل ما كتبه في هذه المدة. وهذه المجموعة التي نضعها بين أيدي القارئ (طبعة ثانية) لا تحتوي على كل ما هو بين أيدينا الآن من تراث فهد". وهنا يتقدم السؤال عن الأسباب؟ ولماذا التأخر في الطبع والإعداد والنشر والتحضير لمثل هذا التراث المهم ليس للحزب وأعضائه وحسب وإنما لتراث الفكر السياسي العراقي والحركة الوطنية العراقية والعربية، إذا لم يكن للعالم أيضاً؟. وقد توافرت ظروف وإمكانات جيدة للقيام بمثل هذا العمل النضالي المشرف والضروري والمطلوب؟ أليس هذا التصرف والسلوك مع هذا التراث الفكري والنظري للحزب وقائده يعكس سياسات ومواقف من تسلم منه أو بعده الموقع الذي قد يكرر هو نفسه فيه بعد حين، ولماذا الصمت عنها؟!. وأكمل **زكي خيري**: إن هذه الطبعة الثانية للمجموعة (لا) تحتوي على كراس فهد الذي نشره تباعاً في جريدة "العصبة" لسان حال عصبة مكافحة الصهيونية عام 1946، تحت عنوان: (نحن نكافح- في سبيل من وضد من نكافح) ورسم فيه خطة الحزب الشيوعي العراقي **وعصبة مكافحة الصهيونية** في النضال القومي

الأساسي والعادل ضد الصهيونية، وكشف طابعها الإمبريالي والعنصري وقرنها بالفاشية، حيث قال: (.. فالأولى- الفاشية، بذرت الكره العنصري ونشرت الخوف والفوضى في أنحاء المعمورة وورطت شعوبها وأولعت بهم نيران حرب عالمية لم تتخلص أمة من الأمم من شرورها. والثانية- الصهيونية بذرت الكره العنصري ونشرت الخوف والفتن والإرهاب في البلاد العربية وغررت بمئات الألوف من أبناء قومها وجاءت تحرقهم على مذبح أطماعها وأطماع أسيادها المستعمرين الإنكليز والأمريكان فتشعل بهم نيران الاضطرابات في البلاد العربية، وقد كان من نتائج أعمالها المجرمة أن حولت فلسطيننا العزيزة إلى جحيم لا ينطفئ سعيره ولا تجف فيه الدماء والدموع..). وأضاف منه نقلاً: (إن الصهيونية هي التعبير الصادق للرغبات والمصالح الطبقية للرأسمال اليهودي في إنكلترا وأمريكا وللاحتكارات الاستعمارية الإنكليزية والأمريكية، أما تسترها وراء القومية اليهودية والدين اليهودي والاشتراكية والإنسانية فأمر مفضوح، الغرض منه خدع الجماهير اليهودية والعالمية وتضليل الرأي العام العالمي). وواصل خيري تقديمه: كذلك حلل فيها طابع الصهيونية الطبقي، تحليلاً دياليكتيكياً معمقاً بجرأة المفكر والقائد الشيوعي دون أن يقع في العدمية القومية والتعصب القومي ودون أن يخلط بين جماهير اليهود والصهيونية ودون

أن يفرق بين الإمبريالية والصهيونية وبين الإمبريالية والرجعية العربية. وهنا سؤال آخر لماذا لم ينشر هذا الكراس وهو منشور في صحيفة حزبية متوافرة، في أرشيف الحزب الخارجي ومكتبة المتحف العراقي، وقام بعد فترة كاتب عراقي، هو الراحل **الدكتور عبد اللطيف الراوي**، بنشر دراسة عن العصبة وتاريخها مع نص الكراس وغيره من المقالات؟. (راجع: عبد اللطيف الراوي، عصبة مكافحة الصهيونية في العراق، وثائق ودراسات، منشورات دار وهران والجليل/ دمشق 1986) أما في تقديمه الطبعة الأولى فقد كتب **زكي خيري**، عضو المكتب السياسي للحزب، تحت عنوان، تراث **فهد**: إن هدفنا هو إعادة نشر مؤلفات **فهد كاملة**، بيد أن هذا لا يزال بعيد المنال. فإن تراث **فهد** الفكري خلال أكثر من عشرين سنة انتهت باستشهاده سكرتيراً عاماً للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في 14 شباط 1949 تراث واسع ومتشعب وقد نشر، ما نشر منه، في العديد من الصحف الوطنية العلنية والسرية، بتواقيع شتى ومنها (**يسن**) الذي كان يوقع به مقالاته في جريدة شاعر الحرية **الجواهري "الرأي العام"**. إن جمع تراث **فهد** يستلزم تحرياً واستقصاء شاملين مضنيين في عدد لا يحصى من المصادر والصحف والكتب التي صدرت خلال أكثر من عقدين من السنين في العراق، وحتى في بعض الصحف العربية خارج العراق. هذا عن

مجرد الجمع، ناهيكم عن التصنيف والتبويب والمراجعة والتعليق. وأضاف: ومثل هذا الجهد لا يكون فقط مساهمة في إحياء التراث الشيوعي في العراق، بل وأيضاً، في إحياء التراث الثوري العراقي المعاصر. فقبل أن يكون **فهد** شيوعياً، كان مناضلاً متحرراً استهوته واستبدت به الروح الثورية العراقية. وبعد هذا التقديم والتفسير لا يجد القارئ مبرراً واضحاً لعزوف الحزب ودور نشره وصحافته ومكاتبه الإعلامية والامتناع عن تكليف أو بحث أو نشر هذا التراث الفكري الكبير، وتركه للنسيان والضياع، والإجحاف بحق مفكر عضوي، وكأنه لا يهم تاريخ الحزب وتراثه ومصلحته في الجمع بينه وبين تطورات الحزب ووثائقه الأخرى. وهذه قضية تثير أسئلة أخرى عنها وتضع المكلفين بالمسؤولية أمام اختبار نيات ونزاهة نضالية وفكرية ومصداقية وقناعات سياسية، كما يضع الباحثين السياسيين أمام مسؤولية موضوعية البحث في كتاباته وإسهاماته الفكرية. فإذا لم يقم الحزب بهذه المهمة، وهو الأولى بها، فمتى ومن يقوم بها بعده؟ وأيها أهمية للحزب أكثر من تراثه الفكري ورموز قياداته التي تركت بصماتها عليه وفي التاريخ السياسي الوطني؟. مات **زكي خيري** بعد أكثر من عقدين من الزمن في المنفى بعيداً عن سماء وطنه الأولى، ولم تتحقق أمنيته في أن يرى كتابات فهد كلها مطبوعة؟.

ولخص **زكي خيري** قدرة فهد الفكرية والتنظيمية في ما كتب معلقاً على كراسه الشهير "**مستلزمات كفاحنا الوطني**" والعديد من المقالات في شرح فهد بإيجاز ووضوح ساطع تكتيك الشيوعيين بما يتلاءم وظروف العراق المعينة منطلقاً من الأمانة التامة لمبادئ الاستراتيجيا والتكتيك اللينينية. إن آثار **فهد** في هذا الشأن تقرن التطبيق الأمين والمبدع لتعاليم لينين السياسية بالخبرة الثورية العميقة والأصيلة التي كسبها فهد نفسه خلال نضاله في الحركة الوطنية والعمالية. وفي الكراس ذاته طبق **فهد**، تطبيقاً حياً مبدعاً تعاليم **لينين** عن الإمبريالية، وشرح للحركة الوطنية الجذر الاقتصادي للاستعمار الحديث وركائزه السياسية والأيديولوجية وسبل مكافحتها وسلّح الحركة الوطنية بأمضى أسلحة النضال المكتمل الأوجه، السياسي والاقتصادي والأيديولوجي، ضد الاستعمار المعاصر وحلفائه الإقطاعيين والبرجوازيين.(ص 9). ورأى **زكي خيري** أن أثمن درس تعلمه **فهد** من **لينين** وطبقه تطبيقاً عبقرياً في أحوال العراق المعينة، هو مذهب الحزب اللينيني، الحزب الجديد من نوعه، الحزب الشيوعي.. حزب يقرن نضال الكادحين المطلبي بنضالهم الوطني والسياسي للتحرر من الاستعمار والإقطاع ومن عبودية رأس المال والاستثمار الطبقي. ويصوغ للحركة الثورية في القطر أهدافها ومهامها السياسية ويعلمها كما يتعلم منها مختلف أساليب النضال الملائمة لمختلف

الظروف والأحوال. وواصل خيري في تقديمه: لقد اقترن نضال **فهد** الفكري بنشاطه السياسي والحزبي. ولفهم آثارها الفكرية يجب دراستها بالاقتران بالفترة التاريخية التي كتبت فيها، وبظروفها الموضوعية. واستعرض عدداً منها مؤكداً أهميتها النظرية والتعبوية والقدرة النظرية لدى فهد على التطبيق والممارسة معاً. سواء على صعيد بناء الحزب الشيوعي ومقوماته الموضوعية أم على صعيد النضال اليومي له، والمواقف من القضايا الوطنية والقومية، فكرياً وعملياً، واختتم خيري تقديمه: "أما التقرير السياسي الذي قدمه **فهد** للمؤتمر الحزبي الأول (الكونفرنس) الذي حلل فيه الوضع الداخلي، فلا يزال حتى اليوم وثيقة تاريخية لم يظهر ما يضاهيها في صدق التحليل وعمقه لتلك الفترة من تاريخ حركتنا الثورية المعاصرة". ومن بين الوثائق المهمة الأخرى للحزب التي وضعها فهد ومازالت رسمياً من وثائق الحزب، النظام الداخلي، وأسلوب صياغة وطرح البرنامج الحزبي، والتي لخصت قدرته الفكرية والتنظيمية على نقل ما تعلمه من الماركسية اللينينية وتطبيقها على الوضع في بلاده بنجاح واستيعاب علمي موضوعي، وحتى التطورات بعده، والتغييرات التي أضيفت إليها لا تخرج من روحه ومبادئه الأساسية.

والطبعة التي نتناولها هي التي صدرت في حزيران/ يونيو

عام 1976 عن دار الفارابي ببيروت والطريق الجديدة ببغداد، لمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي كطبعة ثانية. وكان قد نشر أغلبها في مجلة الحزب الشيوعي العراقي الشهرية "الثقافة الجديدة" وطبع في بغداد على شكل كراريس منفردة، عن دار الحزب الطباعية، الرواد، ولم تكرر طبعات أخرى لهذه المؤلفات القيمة، سياسياً وفكرياً التي تكشف عن جدارة هذا القائد الشيوعي، والمفكر الماركسي، والمثقف العضوي بكل وضوح، والتي تضعه في المشهد الثقافي والسياسي والنضالي معاً، وتكرمه مفكراً من طراز خاص، عراقي عربي أممي. وناقش المحامي **سالم عبيد النعمان** كتابات فهد واعتبر كل ما صدر في فترته من تأليفه بما فيها كتاب الجبهة الوطنية الذي نشر باسم عضو المكتب السياسي للحزب **حسين الشبيبي** وتقديم فهد، (كتابه: الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد، بغداد 2007)، وهو هنا يتفق مع المفكر الشيوعي **حسقيل قوجمان** في تأليف فهد للكراس والكتابات والبيانات التي صدرت عن **عصبة مكافحة الصهيونية**، والتي كانت تنشر باسم رئيسها **يوسف هارون زلخة**. وتظل الأسئلة قائمة عن أسباب عدم تفرغ الحزب لنشر الأعمال كاملة طوال هذه الفترة وإلى يومنا هذا، وتشكيل لجان لتقرير وتثبيت هذه المعلومات. كما أن ما نشر منه يشكل سلاحاً قوياً لأعضائه والحركة الوطنية اليوم أيضاً،

حيث عاد وطنه العراق محتلاً وقواه السياسية تعيد إنتاج سلفها السياسي والتخبط في ولائها وبرامجها وتحالفاتها ومواقفها من الاحتلال الجديد وأساليب مكافحته والنضال من أجل عراق حر وشعب سعيد!. كما لا بد من ذكر قضية أثارها **حسقيل قوجمان** في ملاحظاته على مقالنا عن **فهد** وإعادة تأسيس الحزب الشيوعي، وهي حذف قسم من نص الميثاق الوطني الذي قدمه فهد في المجلس الأول للحزب الشيوعي، ويقدره تحليلاً مهماً جداً ومعبراً عن عمق فهم فهد الماركسي للوضع السياسي وتطوراته ودور الحزب والشعارات الإستراتيجية في تلك المرحلة، ويأسف لافتقاده من الوثيقة المنشورة في الكتابات وغيرها. ولا يمكن الرد على التساؤل في مثل هذا الوضع الآن طبعاً. (راجع مقالات **قوجمان** في أرشيف موقعه ضمن موقع الحوار المتمدن والبديل العراقي وغيرها، وكذلك في مدونة الكاتب).

ضمت (**كتابات الرفيق فهد**) المنشورة عدداً من الكتب/ الكراريس، إضافة إلى عدد من المقالات والبيانات والمذكرات. وإذا كانت هناك كتابات صعب العثور عليها فإن الكثير من الوثائق جاهز ومتيسر ومنه افتتاحيات الصحف الحزبية المتعددة، ومرافعاته في المحكمة التي حكمت بإعدامه والتي نشرتها الصحف العلنية حينئذٍ ومتوافرة في المكتبات الوطنية والمتحف والجامعة وغيرها، وكذلك رسائله إلى

الحزب من السجن وغيرها من التوجيهات والتعليمات التي كان يصدرها ويعممها على الحزب في مختلف الظروف، وهي لا تتطلب جهوداً مضنية أو مساعي خاصة، حتى في تلك الظروف العلنية للحزب وإمكاناته الطباعية.

أما الكتب/الكراريس فهي: حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية، قضيتنا الوطنية، البطالة وأسبابها وعلاجها، مستلزمات كفاحنا الوطني، الوحدة العربية والاتحاد العربي، وكتابات مختارة أخرى. من بينها برنامج الحزب والنظام الداخلي للحزب والتقرير السياسي للمؤتمر الحزبي والوطني وبلاغات أو تقارير اللجنة المركزية. وهي بمجملها جزء من تراث فهد الفكري والكفاحي وقسم من كتاباته ومواقفه وتبقى إرثاً فكرياً من إسهاماته وخبرته ووفائه وإخلاصه لمبادئه وأفكاره ونظريته.

أهمية هذه الكتابات، أو أغلبها، بعد قراءتها الآن، أنها مازالت تحتفظ بحيويتها وراهنيتها وصدق تحليلها للظروف والوقائع التي عالجتها حينئذٍ، ولاسيما في تعاقب الأحداث التي تناولتها، بأشكال معروفة في التاريخ. ويمكن تقسيمها إلى كتابات فكرية ونظرية عامة، وكتابات حزبية وثائقية، وكتابات سياسية ومواقف فكرية، وكتابات نقد سياسي يومي ومعالجات آنية لأحداث سياسية يومية. وفي الأغلب منها تعبر عن تراث فكري وسياسي ونظري ما زال حيوياً وكأنه يكتب

اليوم عن الوضع السياسي في العراق، للتأكيد على استمرار الحال الاستعماري رغم تباين الأزمان واختلاف العهود وتراكم التجارب. ورغم أن التاريخ لا يعيد الأحداث إلا بما هو مناسب لها، أو ملائم لفجائعيتها وكارثيتها التاريخية. وهذه الكتابات تعطي لكاتبها حياة أخرى وضرورة النظر إليها اليوم بعيون تاريخية وراهنة في الوقت نفسه لما لها من مصداقية وقدرة تحليلية للأحداث والمواقف من القضايا التي هي متوازية ومتساوية في الوقائع والتعاملات والتأثيرات وما تتركه من آثار وتداعيات ونتائج واقعية ملموسة على غير صعيد. وتقدم وعي الكاتب وقدراته الديالكتيكية على فهم وتشريح الأوضاع وتحليل الواقع في سبيل تغييره، حيث بينت تطبيقاته النظرية للوقائع العراقية والعربية، وليست استنساخاً مبهماً ومطولات مجوفة. وفي الواقع السياسات الاستعمارية متواصلة وما استجد فيها لا يختلف عن سابقها إلا في الدرجة والعمق والسعة في الاستفادة من التجربة لمصلحتها ولخدمة مصالحها في النهب والاستغلال والهيمنة، وهذا ما قدمه فهد في كتاباته.

***

في كراسه "**مستلزمات كفاحنا الوطني**"، حدد بوضوح

المستلزمات الضرورية للكفاح الوطني، معرفاً العدو الرئيسي وسبل مقاومته وطنياً على الصعد السياسية والاقتصادية والفكرية. ومحدداً بوضوح الإستراتيجية وتكتيك الماركسية - اللينينية في نضال حركة التحرر الوطني في العراق.

شرح **فهد** ماهية الاستعمار وطبيعته في كتابته، وبعد تعريفه له حدد أساليب الكفاح ضده: "فالاستعمار الذي تجابهه الشعوب المكافحة في سبيل انعتاقها، عدو جبار عنيد يمثل الرأسمالية العالمية المتشابكة مصالحها ومؤسساتها المالية. عدو مسلح من أسفله إلى قمته، عدو لا تفيد معه أساليب النضال القديمة ولا يفيد معه الصراخ والعويل والمطالبة بالحق، فعلى الشعب وعلى منظماته التي تضم طلائع الطبقات الشعبية التي تريد حقاً، قولاً وفعلاً، طرد هذا العدو الغاشم والتحرر والانفلات من أنيابه السياسية ومخالبه الاقتصادية، عليها أن تقيم تنظيماتها بالشكل الذي تستطيع فيه مقاومة هذا العدو العنيد، بشكل يمكن هذه التنظيمات من ضم جميع الوطنيين الواعين وتوجيههم بشكل يمكنها من جذب الأكثرية الساحقة من الشعب وزجها في المعركة". (ص 220) وأضاف: إن النضال ضد الاستعمار يستلزم أن تكون لدى المنظمات المجاهدة نظرية وطنية علمية واضحة. نظرية لا تنفصل عنها أشكال التنظيم وأساليب العمل. نظرية واضحة لا تعطي مجالاً للمهرجين والمترددين لتحريفها

وتلطيفها بالشكل الذي يتفق ونزعاتهم، نظرية تعتمد على الجماهير الشعبية في الكفاح وتلائم المرحلة التي يتمخض عنها تطور المجتمع. ويختم التقديم بسؤال وجوابه: فهل لدى شعبنا والشعوب العربية مثل هذه القوى؟. نعتقد اعتقاداً أكيداً أن لدينا مثل هذه القوى لو نسقنا أشكال نضالنا الثلاثة - السياسي والاقتصادي والفكري، وهيأنا شعبنا ودربناه على النضال.

في الكفاح السياسي أكد فهد على وجوب تدريب الشعب على جميع أشكال الكفاح السياسي وتهيئته لخوض معارك حاسمة مع العدو. وان الكفاح السياسي ضد العدو بأشكاله البسيطة والعالية، السلبية والإيجابية، من الأمور المحتم خوضها على كل شعب يريد الانعتاق والتحرر.. ويفصّل أشكال الكفاح السياسي: هي **عرائض الاحتجاج والخطب في الاجتماعات العامة والخاصة والإضرابات السياسية والجزئية والعامة والمظاهرات والانتفاضات الوطنية، ولا يجوز الاستهانة بأي شكل من هذه الأشكال مهما كانت فائدته الظاهرة**، إذ إن هذه الأشكال ترتبط بعضها مع البعض الآخر وهي **كالسُلم** يرتقيه الشعب لبلوغ أهدافه. وحمّل المسؤولية للواعين من أبناء الشعب: فالجماهير الشعبية لا تتدرب على النضال السياسي بدون توجيه من الواعين المنتظمين وبدون

كسب الخبرة من ممارسة النضال الفعلي، فالإنسان لا يتعلم السباحة دون النزول إلى الماء. فمنع الجماهير من الكفاح السياسي بأشكاله المتنوعة بحجة وجود عناصر دس وشغب في الشعب وبحجة استفزاز العدو وبحجج أخرى شبيهة، معناه الوقوف في وجه تدريب الشعب وتهيئته للمعارك الحاسمة، معناه بقاء الوضع القائم. إذ لا يعني تجريد جماهير الشعب من سلاح النضال غير الدفاع عن الأوضاع السائدة في البلاد العربية اليوم. (ص225). وأضاف مؤكداً: إن العناصر الوطنية الواعية المنظمة مسؤولة أمام التاريخ، مسؤولة أمام الجماهير الشعبية عن إفهام الجماهير أساليب النضال، مسؤولة عن السير أمام الجماهير، مسؤولة عن جعل الجماهير تتجنب أخطاءها من تجاربها في النضال. وشدد فهد على التخطيط الموضوعي لأساليب الكفاح السياسي، والانطلاق من مهام مرحلة التحرر الوطني، كأن يُعيَّن العدو الرئيسي (الاستعمار طبعاً) الذي يجب أن توجه القوى الرئيسية ضده، وأن يُعيَّن حلفاؤه الطيبون منهم والعملاء المعروفون "بالرتل الخامس" والذين يعتمدون للمحافظة على كيانهم على الاستعمار، وأن يحاربوا ويبعد تأثيرهم عن الجماهير. وأن يعين حلفاء الاستعمار غير الطبيعيين المتهادنين معه بدافع المصلحة المؤقتة أو خوفاً على تأثر مصالحهم نتيجة جبروت

الاستعمار وهيمنته على حياة القطر السياسية والاقتصادية كأن يشل نشاط هؤلاء السياسي ويعزلوا عن قيادة الحركة الوطنية. (227).

وأكد **فهد** على ضرورة الكفاح الاقتصادي، لما له من أثر فعال مساعد للنضال السياسي، في العمل على إضعاف ما سماه بشهوة المستعمرين وشركاتهم ومصارفهم الاحتكارية لغزو البلدان واستغلال الشعوب والسيطرة على مصادر المواد الخام والحصول على قوى عاملة رخيصة، "فإضعاف الأس الاقتصادي للاستعمار يضعف حتماً قواه السياسية - العسكرية - ويقوي في الوقت نفسه القوى الوطنية". وشرح ذلك في هيمنة الاحتكارات الاستعمارية على فروع الاقتصاد الأساسية مباشرة وبصورة غير مباشرة على الفروع الثانوية وحتى على التجارة الداخلية. مؤكداً "علينا أن نكافح ضد إعطاء امتيازات اقتصادية لشركات أجنبية وأن نعمل جهدنا لإلغاء ما يمكن إلغاؤه من الاحتكارات وأن نضع الموجود منها تحت رقابة فعالة تخضعها لشروط مناسبة وتفرض عليها ضرائب ثقيلة." كما حدد قوى النضال الوطني الرئيسية ضد التغلغل الاستعماري الاقتصادي بأربع هي: النضال النقابي، النضال التشريعي، نضال المنتجين والوسطاء، ونضال المستهلكين. ولكل من هذه القوى أسلوبها ووسائلها في النضال، والمهم عنده ولها هو توحيد الجهود وتنسيق النضال المشترك بينها.

على صعيد الكفاح الفكري، من أشكال النضال الوطني، وهو يسبق عادة النضال السياسي والاقتصادي، ويرافقهما في جميع مراحلهما حتى النصر وحتى تثبيت الكيان الجديد وبناء المجتمع الحر أكد على أهميته وفعاليته اليومية منطلقاً من خطر العدو الرئيس في هذا المجال. وحدد بوضوح التأثير الضار لانتشار المفاهيم الاستعمارية وتغلغلها بين الجماهير الشعبية، وحتى بين المثقفين والمشتغلين في السياسة. وفند ادعاءاتها وحاجَّ في تلقيها وترديدها وتنقلها بين تلك الأوساط. ومن قراءتها يلاحظ المرء كيف تستعيد الآلة الإعلامية الغربية نفسها رغم مرور عقود طويلة عليها، وكأنها مع تطور وسائل الاتصال تستعيد ذاتها بأشكال أخرى مستفيدة طبعاً من كل التطورات التقنية والإلكترونية والفضائية الآن. ومن تلك المفاهيم التي أوردها فهد في هذا الصدد، وكانت منتشرة كالنار في الهشيم كما ذكر: "إن بريطانيا دولة معظمة تملك أكبر أسطول حربي، وجيوشاً جرارة وأسلحة فتاكة.. الخ، وإنها فتحت البلاد بالسيف وبريطانيا دولة متمدنة، وبريطانيا دولة غنية صناعية وتجارية، وبريطانيا دولة ديمقراطية يتصف حكمها بالعدل والإنصاف...الخ. وواصل فهد: وكانت الاستنتاجات الحاصلة المتممة لهذه الأفكار أن لبريطانيا حق الفتح وهو حق طبيعي لحكم البلاد والتصرف بشؤونها ولا يمكن الوقوف ضد هذا الحق إلا عندما تكون لنا أساطيل

وجيوش وأسلحة وثروة كالتي لبريطانيا.. وإن بلادنا متأخرة وهي بحاجة إلى دولة متمدنة لتمدن شعبنا وتنشر الثقافة. **وفهد** في سجاله الفكري مع هذه المفاهيم حاول التركيز على دعاتها والرد عليهم بالخبرة والشواهد الفعلية التي تركها الاستعمار دليلاً عليه. كما نبه **فهد**: "لكن إفلاس هذه المفاهيم الاستعمارية الرئيسية لا يعني أن المستعمرين عدموا الحيلة وقبلوا نهائياً باندحارهم فكرياً. ولا يعني أنهم حرموا العملاء والأنصار الذين يروجون نفس تلك المفاهيم بأثواب جديدة كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. ولا يعني أنهم فقدوا الاستفادة من شعارات ومواقف الاندحاريين التي تخدم تلك المفهومات." (ص231). ومنذ أكثر من نصف قرن أشار **فهد** إلى خطورة وسائل الإعلام واستخدامها لمصالحهم وإغراق الأسواق بما يروج لها وتأجير أصحابها والتضييق على معارضيها، "هذا عدا ما يملكونه من وسائل الدعاية الأخرى كشركات الأخبار ومحطات الإذاعة ومكاتب إرشاد ومؤسسات ثقافية وجيش من المعلمين الأجانب والأذناب في المعاهد الثقافية الوطنية". ورفض فهد في هذا المجال أي تهاون في النضال الفكري، واعتبر أنه "لا حركة وطنية صحيحة بدون نظرية علمية وطنية، ولا جهاد وطني صادق بدون عقيدة وطنية تلهب نفوس جماهير شعبنا". وشدد على أن "الواجب الوطني يقضي على الحركة الوطنية، على كل من يريد فعلاً

وقولاً محاربة الاستعمار والتخلص من امتيازاته السياسية والاقتصادية أن يتصدى لمحاربة المفاهيم الاستعمارية ومشتقاتها أنى كان مصدرها وحيثما وجدت." وختم فهد بالقول على الحركة الوطنية - أحزابها السياسية وجميع منظماتها وصحافتها - أن تعلم الجماهير خصائص الاستعمار وأهدافه السياسية والاقتصادية وتشكيلاتها وارتباطات أجزائها وأن تفضح خططه وعملاءه مهما كانت منزلتهم الاجتماعية .

وضع فهد فعلاً خلاصة نظرية وعملية في هذا الكراس، ورغم مرور كل الفترة عليه، إلا أنه كما يتبين من نصه والفقرات المستلة هنا منه، كأنه كتب حديثاً، وكأنه وضعه لجماهير هذه الفترة التي يعيش فيها بلده العراق وباقي البلدان الأخرى احتلالاً بغيضاً من تلك القوى الاستعمارية على مختلف الأشكال والأساليب، ولكن الجوهر نفسه، مع تركيز على الاستفادة من كل التطورات العالمية ومحاولة الاستفادة منها لخدمتها ومشاريعها الإمبراطورية. وفي الوقت نفسه استعرض فهد مهمات حركة التحرر من الاستعمار والإمبريالية وأشكال النضال الوطني التي تتجدد مع متغيرات الظروف وطبائع الأشياء. ولعله في هذا الكراس وغيره أشار إلى طبيعة الاستعمار وأهدافه ونتائج احتلاله وسياساته، ومنها نهب الثروات واستشراء الفساد والبطالة وأسبابها والتمزيق أو التفتيت في النسيج الاجتماعي ومساعي التفريق على أسس

دينية أو طائفية أو إثنية عرقية. وقد لاحظ ذلك في مقدمة التقارير الرئيسية التي قدمها في المؤتمر الحزبي الأول وفي المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي العراقي وكيف استخلص فيها طبيعة المرحلة التي عاشها والتي للأسف تعيد إنتاج نفسها تحت تسميات أخرى. وقد يكون مفيداً قراءة بعض ما أورده في التقرير المقدم إلى المؤتمر الوطني الأول الذي انعقد في ربيع عام 1945، حيث قال: إن حزبنا الشيوعي يرى في تدخل بريطانيا بشؤون العراق المعترف باستقلاله من قبل بريطانيا تجاوزاً على الاتفاقات بين العراق وبريطانيا العظمى، ويرى في كل تساهل بحقوق الشعب العراقي وسيادته الوطنية نقضاً للمعاهدة العراقية الإنكليزية والدستور العراقي. وأضاف حق الشعب العراقي في المطالبة بمنع التدخل وإلغاء جميع الامتيازات المضرة بمصالحه واستقلاله التي لم يكن له رأي في إعطائها. ولم يتوقف عند هذه النقطة بل نبه إلى أمر اعتبره خطيراً وهو التنافس الاستعماري في العراق بن الإنكليز والأمريكان ومحاولات استغلال ثروات العراق وتفريق الشعب العراقي.. "إن التنافس الاستعماري الأمريكي الذي ظهر منذ أكثر من سنة بشكل اقتصادي - الاستحواذ على مصادر نفطية في بلاد العرب - ثم الدفاع عن القضية الصهيونية يظهر اليوم بشكل جديد. فالأمريكان يريدون الآن أن يوجدوا لهم قاعدة اجتماعية في

العراق، يريدون أن يستغلوا وضع الأكراد ويجعلوا منهم قاعدة اجتماعية لهم".

واختتم التقديم في التنبيه للأكراد "إلى أن قضيتهم الوطنية مرتبطة بقضية العراق التحررية وان حرية الأكراد في العراق لا تأتيهم عن طرق الوعود الاستعمارية، من هذا المستر أو ذاك، بل بالنضال المشترك مع العرب من أجل استكمال استقلال العراق". (ص144).

وركز **فهد** في كثير من مقالاته على أهمية الإعلام وتنمية الوعي الوطني والرد على الهجوم الاستعماري والرجعي على الحركة السياسية الوطنية ووسائلها المستخدمة في ظروفها. كتب: "إن الواجب الوطني أيها الرفاق يلقي علينا مسؤولية عظمى، مسؤولية تنبيه شعبنا إلى محاولات المستعمرين لتثبيت النفوذ الاستعماري في بلادنا، إلى الدسائس الاستعمارية الرامية إلى تقسيم شعبنا وتفريقه، إلى محاولات الرجعية المحلية الوقوف في طريق الإصلاح الذي ينشده شعبنا. إن الواجب يدعونا أيها الرفاق إلى العمل السريع على تنظيم شعبنا وتجنيد قواه لإحباط محاولات جميع الذين يؤيدون تكبيل حريات شعبنا وامتهان كرامتنا الوطنية، جميع الذين يريدون تفريق شعبنا، جميع الذين يريدون الاحتفاظ بامتيازاتهم على حساب حرياتنا الديمقراطية، جميع الذين يريدون الوقوف ضد شعبنا في نضاله من أجل وطن حر

وشعب سعيد، فإلى العمل المثمر أدعو جميع المواطنين" (ص149-150).

وفي كراس عن الوحدة العربية والاتحاد العربي، كتب تحت عنوان: الشيوعيون والاتحاد العربي، لم يكن الشيوعيون أقل حماسة ورغبة صادقة لفكرة التقارب والتعاون فيما بين الأقطار العربية لذلك أجمع مندوبون من مختلف الأحزاب الشيوعية العربية في خريف 1935 ودرسوا هذه القضية من جميع وجوهها، فتبين للمجتمعين أن شعار الوحدة العربية غير عملي لما بين الأقطار العربية من فروق في التطور وشكل الحكم والظروف الداخلية الخاصة... كما أن ملوك العرب وأمراءهم الحاليين ليسوا مستعدين للتنازل عن ملكهم لواحد منهم ولإدماج أقطارهم في دولة واحدة كبيرة. لذا ارتأى مندوبو المؤتمر الشيوعي العربي عدم الأخذ بشعار الوحدة العربية واستبداله بشعار عملي ممكن التطبيق ومناسب للظروف التي كانت تجتازها آنذاك البلاد العربية (سنة 1935) وهذا الشعار هو الاتحاد العربي. أي أن يتألف اتحاد عربي اختياري من الأقطار العربية المستقلة. على أن لا يمس ذلك الاتحاد شكل الحكم السياسي الذي اختاره ويختاره كل من الأقطار العربية وعلى أن يساعد الاتحاد العربي الأقطار العربية غير المستقلة على نيل استقلالها. وشخص فهد سبب ذلك في فقدان الحريات والديمقراطية والحقوق الوطنية،

"لكن فقدان التنظيمات الديمقراطية وحبس الشعور العام داخل كل قطر من الأقطار العربية كانا السبب في إضعاف الحركة التحريرية العربية وتفككها". ص 338. ووضح عودة التفكير في المشروع والمصالح الاستعمارية التي رغبت في كسب ود العرب حينئذٍ، مؤكداً على الاتحاد العربي الذي تنشده الشعوب العربية أن يكون اتحاداً اختيارياً لا اتحاد ملوك العرب وأمرائهم والطبقات الحاكمة وأن يستمد قوته من مصدرها الحقيقي، من الشعب العربي على اختلاف طبقاته ومن الحركة الديمقراطية العالمية. وختم **فهد** كتابته بموقف واضح من الاتحاد والرغبة الصادقة في تقارب وتعاون الشعوب العربية على أساس: إن اتحاداً حقيقياً لا يمكن أن يكون ما لم يغير حكام العرب، ويهمنا هنا رجال الحكم في العراق، عقليتهم القديمة الرجعية بعقلية ديمقراطية حرة تقدمية فيبرهنوا على إخلاصهم للقضية العربية وللعرب بأن يفسحوا في المجال لشعبهم بممارسة حقه الديمقراطي، بنشر المبادئ الديمقراطية وتوسيعها، بتوفير الخبز وضرب المحتكرين، بالسعي لرفع مستوى الشعب الثقافي والصحي والاجتماعي، بالكف عن مطاردة الأحرار وخنق نشاطهم وأفكارهم. (نشر في **جريدة القاعدة**، العدد الثامن- أيلول/ سبتمبر 1943).

إن ما كتبه **فهد** وجمع في هذا الكتاب يقدم في مجمله قراءات فكرية متقدمة وتحليلات سياسية موضوعية ناضجة

ومهمة تؤكد على كفاءته وقدراته وعلى تطبيقاته العملية والنضالية لما استفاد منه من قراءات ماركسية- لينينية وفهم علمي لها على الواقع الوطني والقومي والإنساني، ولا بد من الاستعادة المستنيرة لها ومراجعتها ووضعها في تاريخيتها وصدقها التاريخي الذي يدفع بها إلى راهنية يمكن أن تقرأ بها أيضاً لتكرار الأحداث نفسها بأشكال أخرى. ويكفي فهد أن ما كتبه واقتنع به تواصل، كتراث فكري وسياسي ودليل عملي نضالي رغم تشتت جهوده التي قام بها لإنقاذ بلاده وشعبه وحزبه فيما يعيشه اليوم، بعد أكثر من نصف قرن من استشهاده ورفاقه بقرار استعماري.

فهد والحزب الشيوعي العراقي

إعادة التأسيس وتعزيز الحركة الوطنية



يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الحركة الوطنية والعمالية والشيوعية في العراق على مكانة كبيرة لـ(فهد) في إعادة تأسيس الحزب الشيوعي العراقي ودوره في تقوية تنظيمه وتعزيز النضال وتطوير الكفاح الوطني والطبقي والسياسي. وقد يكون الاطلاع على سيرته الشخصية (1901- 1949) من بدايات نشاطه إلى حكم الإعدام الذي صدر عليه ونفذ في ساحة عامة في بغداد شاهداً ودليلاً على أهمية ما كان عليه وقام به أو ما بذره وزرعه ونماه في العراق. فمن هو فهد؟، وأين

ترعرع؟، وكيف أسهم في إعادة تأسيس الحزب الشيوعي ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر؟.

قبل الدخول في الرد على هذه الأسئلة وغيرها لابد من الإشارة إلى أن كتباً عديدة صدرت عن تاريخ الحزب وعن **فهد** بالذات، من بينها ما كتبته المناضلة الشيوعية العراقية الدكتورة **سعاد خيري** وتاريخ الحزب الشيوعي بالتعاون مع زوجها القائد الشيوعي زكي خيري أيضاً، وكذلك ما نشره الحزب عنه، مثل: **كتابات الرفيق فهد** من إعداد وإصدار **فخري كريم** وتقديم **زكي خيري**، وكتاب **عزيز سباهي** في ثلاثة أجزاء باسم عقود من تاريخ الحزب الشيوعي وتقديم **عبد الرزاق الصافي**، فضلاً عن العديد من الكتب العامة مثل الجزء الخاص بالحزب من دراسة الباحث الأمريكي- العربي الأصل **حنا بطاطو** عن العراق، (ترجمت إلى العربية ونشرت في ثلاثة كتب) وكتاب عن فهد والحركة الوطنية **لكاظم حبيب وزهدي الداوودي**، وكتاب صفحات من تاريخ العراق السياسي الحديث- الحركات الماركسية **لصلاح الخرسان**، والكتب التي سميت بموسوعات عن الحزب الشيوعي العراقي أصدرتها دوائر الأمن العراقية وغيرها من الكتب المشابهة بلغات أجنبية ولم تترجم إلى العربية من باحثين وكتاب سياسيين في البلدان الاشتراكية سابقاً، ومن ضمنها كتاب

صدر بالإنجليزية عن الحزب الشيوعي العراقي **لطارق إسماعيل**، وهذه الإصدارات كتبت عنه بإعجاب أو بانتقاد، ولكنها كلها لم تستطع أن تنكر دوره فيما سجله عنه رفيقه، في إصداره الكتاب الذي سنتناوله في هذا المقال، بعنوان **"الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد"**، وهو المحامي **سالم عبيد النعمان**، عضو مخضرم في الحزب واكب حياة فهد وعاش معه فترات مختلفة، أصدره عن دار المدى ببغداد في 328 صفحة من الحجم الكبير، متضمناً ثلاثة أبواب في سبعة عشر فصلاً وملاحق احتوت رسائل **فهد** إلى قيادة الحزب من سجنه. ومن خلال اعتزازه بخبرته وتجربته وصلته **بفهد** أعاد في كتابه قارئه إلى الأربعينيات من القرن الماضي، ليطل من خلال نظرة لا يقول عنها أنها متكاملة وربما يكون شطر منها بمنزلة شهادة لشخص عمل فترة من حياته المبكرة في صفوف الحزب الشيوعي في الأربعينيات من القرن الماضي تحت قيادة فهد وعلى مقربة منه حتى لحظة اختطافه من السجن. (ص 292) أو استرجاع الإرهاصات والبدايات التي فجرها تأسيس الحزب الشيوعي وقيادة فهد وتطورات عمله وتأثيره في تلك الفترة التي كانت عهد تحول وانعطاف في مسار الحركة الوطنية وأساليب كفاحها ضد الاستعمار البريطاني للعراق والرجعية المحلية التابعة، وتسجيل قدراته المتعددة في

بناء الحزب الشيوعي والاستفادة من التغيرات السياسية الدولية والإقليمية وانعكاساتها على الحركة السياسية في العراق.

في المقدمة يكتب المؤلف أنه حرص على تسجيل وقائع مسيرة الحزب متسلسلة مع زمن حدوثها، علماً بأنه لا يدعي الإلمام بها تماماً، ويضيف أنه كتب ما شاهده وما أحاط به بأمانة وصدق، مقيماً مأثرة **فهد** الكبرى التي تضاف إلى مآثره الجمة في اكتمال بناء الحزب من خلال وضع أسس البناء ووثائق العمل ليكون الحزب صرحاً عظيماً اكتمل بناؤه بقيادته وليكون له دوره الكبير في الحركة الوطنية. (ص 8).

فهد اسم حركي اختاره **يوسف سلمان يوسف**، الذي ولد في بغداد عام 1901 وانتقل مع والده إلى البصرة والناصرية، ولما لم تساعد حالة والده المالية على إكمال دراسته المتوسطة انخرط في صفوف العمال. وسأل المؤلف عن بواكير تأثره ووعيه ورد عليها: ابتداء كان **يوسف سلمان يوسف** واعياً لواقع شعبه المحتل، وهو كأقرانه مملوء كرها للمستعمر الذي احتل البلاد قهراً، ثم إنه كأي مثقف شغوف بالمطالعة وتتبع الأحداث، كان على علم بثورة أكتوبر الاشتراكية وبدورها في فضح خطط المستعمرين، وعاصر ثورة العشرين وهو شاب وعمل على تأييدها. أما عن بداياته الفكرية فسجل المؤلف تأثره بلقاءاته مع رجال الفكر التقدميين

وبقيادات عمالية وبشيوعيين خاصة من الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي كان أول حزب شيوعي تشكل في البلاد العربية. أما متى بدأت الخلايا الشيوعية في العراق فيرى المؤلف صعوبة معرفة تاريخ تأليفها، وكتب عنها في الغالب أنها ظهرت في أواخر العشرينيات من القرن المنصرم، ربما عام 1927 أو 1928 لقد كانت وليدة أسفار **يوسف سلمان** الأولى وهي في كل الأحوال تسبق ظهور نادي الشباب في البصرة أو جمعية الأحرار التي كانت من بنات أفكار **يوسف سلمان** والنشطاء المثقفين من زملائه في سنتي 1928-1929، وظن **سالم عبيد النعمان** أن الخلايا الشيوعية مع جمعية الأحرار كانتا أولى البذور المثمرة للحركة الشيوعية في العراق. وهنا حاول المؤلف تجنب البحث في الإرهاصات الأخرى التي نمت في المدن الأخرى كبغداد وجماعات أخرى أصدرت صحفاً ونشرت كتباً عن الاشتراكية والنهضة الفكرية التقدمية في العراق، كجماعة (**الصحيفة**) مثلاً وغيرها، وهو ما حاول قوله في البداية من انه سجل ما يعرفه أو يريده، مخلاً في هذا الجانب بالموضوعية التوثيقية وأمانة التسجيل التاريخية لشخصيات وتجمعات لعبت أدواراً هي الأخرى مع الحزب وفهد في وضع اللبنات الأولى أو البذور الخصبة وفي تعزيز الحركة الوطنية والفكرية والسياسية في

العراق. وقد شفع لنفسه هنا أنه اختار سياق بحثه حصراً عن حياة **يوسف سلمان** كما يبدو أو رغب فيه شخصياً لعوامل الإعجاب ورد الجميل لشخصية تاريخية جذابة وبارزة. (وزيادة على هذه الملاحظة هناك مواقف مسبقة متناثرة لا تفيد في موضوعية الكتاب وتؤثر في جوانب المصداقية والحيادية في التسجيل والنشر المعاصر لصفحات التاريخ). وفي تعريف المؤلف للنشاطات الأولى **ليوسف سلمان** في البصرة قرنها بوثيقة الأممية الثالثة (**الكومنترن**) إلى الشعوب العربية ودعوتها إلى التحرر والنضال ضد المستعمرين الذين قطعوا أوصال الجسد العربي الحي، حيث أن "مجمل نظام السيطرة الإمبريالية على الشعوب العربية لا يستند إلى استعبادها المباشر بل وإلى تقطيع أوصالها بصورة اعتباطية. فالتجزئة هنا أساس من أساسيات السيطرة الإمبريالية التي أقيمت ويحافظ عليها بالعنف الإمبريالي والتي تضعف الجماهير بصورة مصطنعة في نضالها ضد النير الأجنبي ومن أجل الاستقلال والوحدة الوطنية". ودعا الكومنترن إلى خوض النضال من أجل الاستقلال الوطني والوحدة القومية على النطاق العربي.

وبدأ المؤلف في تبيان انتماءات **يوسف سلمان يوسف** المبكرة، إلى الحزب الوطني العراقي (بزعامة الشخصية الوطنية التاريخية **جعفر أبو التمن**) والعمل الصحفي وسفراته

ولقاءاته التي ساعدته على تنمية وعيه الوطني والإنساني وكرهه للاستعمار ومن ثم انطلاقه العملي في ضرورة أن يكون للطبقة العاملة حزبها الممثل لتطلعاتها وأهدافها. فكانت باكورة الخطوات الأولى الممهدة لقيام حزب شيوعي إقدامه على رفع مستوى التنظيم الخلوي البدائي إلى مستوى جديد وإلى إصدار **أول بيان شيوعي** موجه إلى الطبقة العاملة يدعوها إلى تفهم أوضاعها ورفع وعيها الطبقي وإظهار كيانها السياسي. وكان ذلك في 13 كانون أول/ديسمبر 1932 حيث أصدر أول بيان يحمل شعار "يا عمال العالم اتحدوا" ورسم المنجل والمطرقة وقد وزع في شوارع مدينة الناصرية بتوقيع عامل شيوعي. وتمت محاكمة يوسف سلمان بتهمة تأسيس تنظيم شيوعي وترويج الدعاية الشيوعية في العراق، وبعد مضايقات الشرطة له غادر الناصرية عائداً إلى بغداد، العاصمة، ليواصل جهوده منها. حيث تنشط فيها تجمعات وأحزاب وطنية وتقدمية تعمل هي الأخرى تعبيراً عن مصالح فئاتها وقياداتها.

لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار

في جو بغداد النشط سياسياً وفكرياً وجد **يوسف سلمان** نفسه وسط مجموعة أخرى أيضاً من المتحمسين للعمل

السياسي والكارهين للاستعمار والمعجبين بثورة أكتوبر الاشتراكية والمتأثرين بعصبة أو لجنة "مكافحة الإمبريالية" (التي ساند تأسيسها **الكومنترن** في 10 شباط/فبراير 1928 ومقرها في بروكسل)، وأثنت المجموعة على بيانه وتوقيعه كعامل شيوعي فأسرعت معه إلى تأليف "لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار" بغية تحرير العراق من النفوذ الاستعماري وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية وتامين الرفاه الاقتصادي والاجتماعي للشعب العراقي وذلك بتبني مبادئ الاشتراكية العلمية وأساليبها في الكفاح لتحقيق المبادئ التي رسمتها اللجنة. وهنا يتساءل المؤلف مع غيره من الباحثين عن موعد تأسيسها وتحولها ومن هم المؤسسون وما هو ومن هم الذين حضّروا لها، ولماذا يجري الاحتفال بيوم 31 آذار/ مارس 1934 يوماً لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي وغيرها من الأسئلة التي لم تحصل على ما يوثق الأجوبة عنها. والراجح أن التاريخ هذا تم باختيار مجهول وجرت العادة عليه دون تدقيق كبير، لاسيما وأنه لا يشكل خلافاً كبيراً في المواعيد، حيث هناك أكثر من رأي يجمع على العام نفسه، إضافة إلى تحوله إلى جزء من التاريخ السياسي للحزب. ويروي المؤلف عن لقائه **عبد الفتاح إبراهيم**، أحد أبرز الناشطين الماركسيين والسياسيين الديمقراطيين، أنه ذكر له:

"صادف أني جئت سائراً في طريقي في منطقة باب الشيخ التي كنت أسكن فيها، أن توقفت أمام حانوت لشراء علبة سكائر، فإذا بـ **جميل توما** يتقدم مسرعاً نحوي، وببساطته المعهودة قال لي: أظنك تيهت (يقصد ضيعت طريق الاجتماع) فالاجتماع المتفق عليه هناك، وأشار إلى دار **قاسم حسن** في باب الشيخ وقال لي: سيحضر الاجتماع كل من **عاصم فليح وقاسم حسن ويوسف إسماعيل ويوسف متى ونوري روفائيل وحسن عباس الكرباسي وعبد الحميد الخطيب**، وربما ذكر لي أشخاصاً آخرين لم أعد أتذكرهم، وقال لي، تفضل بالحضور معي لحضور الاجتماع معنا." (ص32). ومهما كانت الوقائع وأسلوب نقلها فإن الأسماء الواردة معروفة بتوجهاتها الاشتراكية ومواقفها المعارضة للاستعمار، وهم من ضمن من شكّل النواة الأولى التي تحملت رفع رايات البناء الحزبي والسياسي بما يتفق مع الظروف والمهمات التي كانت في تلك الأيام. وهم الشيوعيون الأوائل، الرواد في العراق.

في تموز/يوليو عام 1935 صدرت جريدة باسم "**كفاح الشعب**" تحمل تحت عنوانها لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بدلاً من اسم لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار، التي ظهر بيانها الأول قبل عام.

واغلب الظن عند المؤلف أن **عاصم فليح**، أول سكرتير للحزب الشيوعي هو المبادر إلى تغيير الاسم من اللجنة إلى الحزب بعد أن رفض الاقتراح المقدم من **يوسف سلمان** في التحضيرات الأولى حينها وبعد الانسحابات منها. وفي آب/ أغسطس 1935 صدر العدد الثاني من الجريدة متضمناً المبادئ والأهداف التي يسير عليها الحزب كمنهج لنضاله السياسي. ولم يكن تحمل المسؤولية سهلاً في البدايات وواجه الحزب صعوبات متعددة، من بينها اعتقال قياداته واختراقات مشتبه فيها، وافتقاره إلى عمود فقري مركزي حسب تقييم **حنا بطاطو** لمسيرته الأولى. مما جعل هذه الفترة خاملة في حياة الحزب، فأعيد لها النشاط من جديد حسب المؤلف وبطاطو وغيرهما بعد عودة **فهد** من دراسته في **مدرسة كادحي الشرق** في موسكو (معهد أكاديمي حزبي)، في 13 كانون الثاني/يناير 1938، التي درس فيها أيضاً **عاصم فليح**، وغيرهما طبعاً، وهنا يقيّم المؤلف دور فهد في إعادة تأسيس الحزب، ويسميه الباني والمؤسس والقائد، في عنوان الباب الثاني من الكتاب.

فهد والحزب والشرارة

بعد عودته إلى العراق بدأ من بغداد نشاطه الفكري

والتنظيمي وعن طريق صديقه الشاعر **حافظ الخصيبي** تعرف إلى عدد من الذين عرفوا بميولهم اليسارية والشيوعية، زيادة على صلاته السابقة، وكان قد اختار أولاً اسماً حركياً عرف به وهو "**سعيد**" ثم اختار له اسم "**فهد**" الذي صار معروفاً به في جميع الأوساط السياسية داخل العراق وخارجه، وكان يكتب وينشر بأسماء أخرى. وفي تلك الفترة وثق الباحثون والمؤرخون نشاطاً واضحاً للحزب والحركة العمالية وأعادوها إلى دور **فهد** وما قدمه من مساعٍ في إعادة التأسيس والبناء واستخدام تجربته وما درسه في موسكو في التطبيق العملي لبناء حزب شيوعي، فوضع الخطوط الأساسية لصوغ منهاج للحزب، مجسداً بأفكاره ونضال الحزب مفهوم مرحلة التحرر الوطني من أجل استكمال استقلال العراق وقيام حكم ديمقراطي وإيقاظ الوعي الطبقي والوطني. وفي بداية عام 1940 أصدر جريدة "**الشرارة**" ونشر كراسات تثقيفية وأشرف على مجلة (**المجلة**) التي كانت تصدر بأسماء أعضاء في الحزب، فتوسع عمل وتنظيم الحزب بفعل هذه الهمة والتوجهات التي بادر إليها ونفذها. ولعل من أبرز من انضم إلى الحزب من العمال والمثقفين: **عبد الله مسعود القرني وحسين محمد الشبيبي والعامل المهني أحمد عباس الملقب"عبد تمر" وداود الصائغ وزكي محمد بسيم والعامل علي شكر** وغيرهم، الذين رفدوا الحزب بطاقاتهم وجهودهم

وساعدوا فهداً على مهماته. وتركز النشاط العمالي على الاهتمام بتأسيس نقابات عمالية لجميع أصناف العمل وفروعه. وفي تنوعه التنظيمي ومواقفه السياسية برز الحزب قوة فاعلة في الأحداث التي مرت على العراق. وختم بياناته في عبارات وضحت مكانته ودوره، في مخاطبة أبناء الوطن واستصراخهم للالتفاف حول راية التحرر الوطني، في ظروف الحرب العالمية والمواقف منها، مثل "نكرر دعوتنا إلى أبناء شعبنا، عمالاً وفلاحين، تجاراً ومثقفين، وقادة مخلصين، ورجال الحكم المسؤولين إلى السير كتلة واحدة تحت علم الانعتاق الخفاق". وفي موقف الحزب من معركة الجيش الوطنية ضد الاحتلال البريطاني، حيث بادر الحزب وفهد إلى تأييد الجيش العراقي معتبراً المعركة التي يخوضها الجيش هي حرب دفاعية ضد عدو مستعمر لابد من إسنادها، وانه لا خيار للحزب وقد وقعت الحرب إلا أن يقف إلى جانب الشعب والجيش في المعركة هذه. كما نشط الحزب لتجميع القوى الديمقراطية العراقية وتأييد النضال التقدمي العالمي ضد الحرب والفاشية والنازية. واستعرض المؤلف بيانات الحزب والانشقاقات التي حصلت فيه في تلك الفترة والتي أسهمت في تركيز القيادة للحزب بيد فهد وتحديد مهامه الوطنية والأممية. ولخصها المؤلف في الفصل السادس في نقاط: نضال الحزب في مهام الحرب ضد الفاشية، والصمود أمام

الهجوم الرجعي، والعمل والسعي لتقوية تنظيمات الحزب وتوسيعها وامتدادها إلى أنحاء القطر كافة، والعمل على إنشاء نقابات عمالية للمهن كافة، ودعوة القوى الوطنية والديمقراطية إلى تنظيم نفسها في أحزاب ورفع شعار "قووا تنظيم حزبكم.. قووا تنظيم الحركة الوطنية" والإعلان بكل حزم استعداده لمؤازرة التنظيمات الوطنية الديمقراطية. (ص73).

وانتقل المؤلف بعد أن فصّل في كتاب **فهد** الذي أصدره عام 1944 **"حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية"** إلى مؤتمرات الحزب، التي نعتها بمآثر فهد التاريخية الكبرى، في إعادة تأسيس الحزب واستكمال أسسه النظرية وقواعده التنظيمية، من خلال المجلس (الكونفرنس) الأول عام 1944 والمؤتمر الوطني الأول عام 1945. وهنا أحسن المؤلف في قراءة الأسباب التي دفعت **فهد** والحزب إلى التفكير والعمل في هذا السبيل. إذ إن الأوضاع الداخلية والخارجية قد وفرت ظروفاً ملائمة أو واجبة لعقد مؤتمر وإصدار منهج. ففي آذار/ مارس 1944 أعلن الكونفرنس الأول الذي تمخض عن ميثاق وطني، بعد شهر أو أكثر من إصدار كراسه "حزب شيوعي.. لا اشتراكية ديمقراطية". وكانت لهذه العجالة أسبابها أوجزها **النعمان**، في التطورات السياسية والفكرية وكذلك في انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي السوري اللبناني أواخر عام 1943، وكانت جريدة الحزب تصل إلى بغداد طافحة بأخبار المؤتمر

ووقائعه، وانعكاسها داخل صفوف الحزب والانشقاق الذي استغل ذلك في الطعن بمواقف **فهد** والحزب من المؤتمر. وهناك حقيقة يضعها **فهد** أمام ناظريه، كما سجل الكاتب، وهي أن الحركة الوطنية العامة في العراق كانت تفتقر آنذاك إلى نظرة واقعية وتحليل علمي لواقع مجتمعنا العراقي وأوضاعه الداخلية والخارجية وبالتالي أهدافه، ولعل هذا الافتقار إلى النظرية من أهم أسباب تلكئها في تأليف أحزاب لها وكان يتساءل دائماً عما اعددنا لبناء مستقبلنا في ظروف هذه الحرب التي أوشكت على تحقيق النصر على الفاشية وما سيكون بعد انتهائها؟، ما هو دور فصائل الحركة الوطنية وواجبها؟، هل تبقى مبعثرة في هذه الظروف التي تتطلب التعاون والتكاتف وضم الصفوف لمجابهة المرحلة الجديدة حيث يعمل المستعمر البريطاني على هيمنته السياسية والعسكرية والاقتصادية على بلادنا.. الخ؟. (ص101-102).
وقدم **فهد** في الكونفرنس تقريراً مهماً، لخص قدراته على تأصيل نظري لعمل الحزب، ودعا إلى ضرورة النهوض بالمهمات المطلوبة. حيث كتب إن العراق يوصف بدولة ديمقراطية لا يملك من الديمقراطية سوى اسمها، وطالب بإلغاء القوانين الاستثنائية والمراسيم المناقضة لروح الدستور وتحدث عن ثروة العراق التي لم يصب الشعب منها شيئاً، وأشار إلى نمو الطبقة العاملة ودورها القيادي وحجمها الذي

بلغ أكثر من ربع سكان القطر، وصدر في ختام الكونفرنس - الميثاق الوطني للحزب الشيوعي العراقي. وختم المؤلف فصله بتقرير أن اللجنة التي انتخبت من الكونفرنس أظهرت نشاطاً ملحوظاً خطا الحزب بها خطوات واسعة في كسب الجماهير ونمو الكادر الحزبي، مما فرض التوجه إلى التنظيم المبرمج والتحضير للمؤتمر الحزبي الموسع.

المؤتمر الأول للحزب الشيوعي وقيادة فهد

بعد عام من انتهاء المجلس الحزبي وتوسع عمل الحزب والتطورات السياسية الداخلية والخارجية، كل ذلك دفع **فهد** ورفاقه إلى العمل على عقد المؤتمر الأول للحزب في نيسان/أبريل 1945 في دار **يهودا صديق** في بغداد. أبرز المؤتمر **فهد** قائداً سياسياً وفكرياً ومنظماً مجرباً، ونسب المؤلف له اغلب النشاط والعمل ولم يتوقف عند غيره أو رفاقه المساعدين له وحاول كما عبر عنه أن يضعه في موقعه الذي رآه فيه وشاهده في التحضير والإعداد والتسمية للمؤتمر بمؤتمر التنظيم، والإقرار بما قدمه **فهد** من تقارير عن أهمية انعقاد المؤتمر وعن الأوضاع السياسية الداخلية والعالمية ومهمات النضال الوطني للحزب في تلك الظروف. أكد **فهد** فيها على استغلال بريطانيا ظروف الحرب للتدخل والسيطرة على شؤون الدول وعلى مرافق البلاد الحيوية، كما أشار إلى

"التنافس الاستعماري في بلادنا بين الإنكليز والأمريكان للاستحواذ على مصادر نفطية في البلاد العربية وللدفاع عن الصهيونية في سعيهم للتفرقة بين القوميتين الرئيسيتين العربية والكردية". وخلص **فهد** في تقريره الداخلي إلى: "إن الواجب الوطني أيها الرفاق يلقي علينا مسؤولية عظمى، مسؤولية تنبيه شعبنا إلى محاولات المستعمرين لتثبيت النفوذ الاستعماري في بلادنا، وإلى الدسائس الاستعمارية الرامية إلى تقسيم شعبنا وتفريقه.. إن الواجب يدعونا أيها الرفاق إلى العمل السريع على تنظيم شعبنا وتجنيد قواه لإحباط محاولات الذين يريدون تفريق شعبنا". (ص116- 117). وبعد انتهاء أعمال المؤتمر نشط الحزب في الميادين المختلفة من الكفاح الوطني، في توسيع التنظيم الحزبي وانتشاره في أغلب المدن العراقية والنقابات العمالية والتجمعات الطلابية والفلاحية والعسكرية والنسائية والإضرابات العمالية والاحتجاجات الشعبية، وصولاً إلى تقديم إجازة رسمية للحزب باسم **حزب التحرر الوطني** كواجهة علنية له، فضلاً عن تأسيس منظمة **عصبة مكافحة الصهيونية**، وإصدار صحف أو مشاركة في تحرير أخرى وإنشاء **دار الحكمة** للنشر والدعوة إلى الجبهة الوطنية وتنسيق نضال القوى الديمقراطية. وشهدت للحزب ولفهد ودوره ومواقفه في العراق طبيعة الظروف السياسية والهجمة الرجعية الداخلية والخارجية عليه

وعلى الحركة الوطنية العراقية، إثر فترة من الانفراج السياسي والتحرري بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

توسع المؤلف في شرح نشاطات فهد في قيادته لاقتحام الحزب ميادين العمل السياسي والوطني، واستعراض قدراته الفكرية والثقافية والتنظيمية، مسلطاً الضوء على كتابه عن البطالة وأسبابها، الذي مازال أو أصبح الآن أكثر أهمية ومصداقية عن الوضع في العراق. حيث حلل فيه ظاهرة البطالة ودور السيطرة الأجنبية، العلة الرئيسة وراءها، ونص: "لو استثمرت ثروات النفط بأمانة ولصالح النفع العام الوطني لوظفت صناعة النفط جميع الأيدي العاملة في المدن والريف، لكن نفط العراق محتكر من قبل مجموعة "**ديتردنك**" النفطية" وكذلك أشار إلى الأسباب الأخرى وأهمها عدم تطور الصناعة وهذا ناتج عن السياسة البريطانية الاستعمارية التي تسيّر الإدارات لمنع تصنيع القطر، والنظام شبه الإقطاعي السائد في الريف وغيرها من العوامل المعلومة.

إثر ارتفاع المد الوطني والقومي العربي جرت المطالبة بتغيير المعاهدة العراقية البريطانية وجعلها سياسية فقط، مما أثار السفارة البريطانية ورجالات البلاط مندفعين إلى التحرك المضاد والعمل على تكبيل الحركة الوطنية باتفاقات أخرى مع المستعمرين مثل مشروع المعاهدة العراقية التركية ومحاولات إبعاد العراق عن محيطه العربي وإيجاد المسوغات لبقاء قوات

الاحتلال البريطانية. وفي سبيل ذلك سعى الحزب إلى عدم ضياع الفرص الوطنية داعياً إلى تطوير العمل الجبهوي رداً على الهجوم الواضح من السفارة البريطانية وأتباعها في الحكومة العراقية، والهجوم الإمبريالي الخارجي على الشعب الفلسطيني والعالم العربي عموماً، فعمل بكل جهوده على المشاركة في لجان الدفاع عن الشعب الفلسطيني، ومجابهة حملات القمع والاعتقال وقيادة الإضرابات العمالية والتحركات الشعبية، معززاً ذلك في مذكرات تحريرية، منها المذكرة التي بعثها فهد إلى الأحزاب الوطنية ودعاها إلى الكفاح في سبيل استكمال استقلال العراق وتعزيز سيادته الوطنية، ومن أجل الحريات الديمقراطية وتثبيتها وتوسيعها والتعاون العربي ضد المستعمرين. (نصها في ص 213-215).

الكارثة.. لقد وقعت الواقعة

وصل المؤلف إلى الفصل الثالث عشر وعنونه بالكارثة، وهي نجاح الهجمة الرجعية في اعتقال **فهد** والعديد من القيادات والكوادر الشيوعية والديمقراطية. ففي عصر يوم 18/ 1/ 1947 اعتقل **فهد وزكي محمد بسيم وابراهيم ناجي وعزيز عبد الهادي ويعقوب إسحاق والسيدة أيلين**، زوجة **إبراهيم ناجي** صاحب الدار التي كانوا فيها. وكان قد اعتقل

فجر ذلك اليوم جميع أعضاء الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني وأشخاص لا صلة لهم بالحزب. وختم المؤلف الباب الثالث من كتابه عن الحياة في السجن، إلى يوم اختطاف القيادة وفي المقدمة فهد من سجن الكوت إلى سجن ببغداد لتنفيذ حكم الإعدام بها يوم 14/ 2/ 1949. وفي هذا الباب تفاصيل كثيرة عن السجن وعن حياة **فهد** فيه وعن الرسائل المتبادلة بينه وبين قيادة الحزب وسلوك **فهد** القيادي وفي الرسائل، إضافة إلى المواقف المشهودة لفهد، تتضح قدراته الفكرية والقيادية حيث وضح وهو في السجن إلى القيادات الميدانية أساليب النضال وقيادة الشارع وتوجيهات العمل السياسي والعمل الوطني، وهي بمجملها تأكيد على الكثير مما ذهب إليه المؤلف عن **فهد** ودوره وكفاحه الوطني ومعرفة العدو الطبقي والسياسي بها وجهوده الكبيرة في التخلص منه وحرمان الشعب العراقي والحركة العمالية والوطنية من شخصية من هذا العيار بكل المعاني. والخلاصة أن الكتاب والكاتب قدما صورة بارزة وواقعية لمناضل حقيقي ومثقف عضوي وقائد فعلي لحزب وحركة وشعب في ظروف ليست يسيرة ومنعرجات حادة في صفحات التاريخ الوطني. وقد يكون، وهذا ما لم يشر إليه المؤلف، إصرار الحكومة البريطانية على استمرار غلق ملفها عن **فهد** بخلاف قواعدها في النشر وطول الفترة الزمنية عليها، إشارة أخرى وتأكيداً مهماً على مكانة **فهد** وقيادته، ودورها في استشهاده.

سلام عادل.. سيرة مناضل



في جزءين وفي أكثر من ألف صفحة من الحجم الكبير وملحق صور ورسوم للفنان **محمود صبري** أصدرت السيدة **ثمينة ناجي يوسف**، أرملة القائد الشيوعي الشهيد حسين **احمد الموسوي الرضي**، والمعروف باسمه الحركي الحزبي، **سلام عادل**، ومعها السيد **نزار خالد** كتاباً، بعنوان: سلام عادل.. سيرة مناضل. أحاول تقديم قراءة فيه، لأهميته وخصوصيته، وأشير إلى غياب الأعمال الجدية التي تعرّف بنضال وحياة هذا القائد الوطني، كمناضل عراقي لم يوف حقه الاعتباري والفكري وإسهامه المعروف في رسم صفحات من التاريخ، الحزبي والعراقي. وكنت أسعى في سبيل الموضوع نفسه ولدي أغلب المصادر التي توافرت في الكتاب، بمساعدة

كريمة من المؤلفة، ولكن للظروف العامة والخاصة دائماً أحكامها وكذلك لا بد من الإقرار أن للمبادر فضل السبق في هذا المجال وغيره. وكنت قد سجلت في كراس عنونته "سلام عادل.. رجل المهمات الصعبة" صفحات من سجل حياته وكفاحه، وكان من المفروض أن يصدر في كردستان العراق قبل أحداث بشت آشان العراقية عام 1983 التي حرقت المطبعة إبانها والجهود معها أيضاً، حيث كنا هناك. وعلى كل حال فما حمله الكتاب من جهود وافية وجمع واسع لما يشمل الموضوع مهم أيضاً وله أولوياته في التأليف والربط بين المؤلف والعنوان. حيث شمل لأول مرة نصوصاً من محاضر المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وكذلك رسائل شخصية أو داخلية في التنظيم، إضافة إلى نصوص كتابات سلام عادل الفكرية والسياسية والحزبية.

ضم الكتاب سيرة المناضل، القائد الشيوعي البارز، الذي قاد الحزب الشيوعي العراقي في فترات مهمة من تاريخ العراق، منذ أواسط الخمسينيات من القرن الماضي حتى استشهاده في آذار/مارس 1963. والشهيد **سلام عادل**، **أبو إيمان**، **أبو علي**، **مختار**، **عمار**، (هذه أسماؤه الشخصية والحزبية) عرف بحنكته السياسية وقدراته القيادية التي مكنته من تحمل المسؤولية في قيادة حزب شيوعي في العراق في ظروف صعبة وإدارة مهمات عسيرة، داخلية وخارجية. وتمكن

بمواهبه المتعددة من خوض غمار الكفاح الوطني والإسهام في التحولات الوطنية والنضال اليومي في التاريخ السياسي العراقي في تلك الفترة الحاسمة من عمر الشعب العراقي، والتحضير العملي في قيادة النضال والتغيير السياسي، حتى عد قائداً شهيداً ثانياً بعد قائد الحزب ومؤسسه **يوسف سلمان يوسف، فهد**، الذي استشهد هو الآخر بقرار إعدام شنقاً يوم 14 شباط/فبراير 1949. وقاد الحزب في عهدين سياسيين مرا على العراق، العهد الملكي وإدارته الاستعمارية والصراع الأمريكي البريطاني عليه، والعهد الجمهوري، وتناقضاته حتى استشهاده.

شمل الجزء الأول فصولاً عن البدايات، أول العلاقات الإنسانية والحزبية، والانتماء إلى الشيوعية والعمل الحزبي والسياسي وتحمل المسؤوليات، وكتابات صدرت عن الحزب دون اسم وباسم قيادة الحزب وتحت إشرافه، واعتراف قياديين بعده بدوره وآرائه فيها، أو كتابته لها. وهي رسائل وتقارير وكتب وكراريس سياسية وفكرية لها قيمتها الكفاحية وتعبيرها السياسي في ظروفها وامتداداتها الزمنية التي يمكن الاستفادة منها حتى في الظروف الحالية التي يعيشها الشعب العراقي. وتلك مهمة الحزب الحريص على تراثه ورموزه والتعلم منهم تجربة وخبرة وعبراً للتاريخ والمستقبل. وشملت فصوله مراحل انتماء، مختار، الحزبي وتقديمه حزبياً وتسلمه

المهمات القيادية وصولاً إلى مركز السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب، ودوره في القيادة وتعزيز مواقع وعمل الحزب التنظيمي والكفاحي الوطني.

في حين ضم الجزء الثاني استكمال حياة ونضال الشهيد بعد ثورة الرابع عشر من تموز/يوليو 1958 والتكتلات في قيادة الحزب ومحاسبتها و"تطهير" الحزب منها وموقفه من تطورات الأوضاع السياسية انتهاء بالانقلاب على الثورة ومجريات ما حدث بعده. والأهم في هذا الجزء هو نشر اعترافات القيادات الحزبية في التكتل ونقدها لذاتها ودورها في عرقلة عمل الحزب في ظروفه الصعبة وتدهور الأوضاع السياسية وتحملها المسؤولية عما آلت إليه الأمور، وكذلك نشر محاضر سكرتارية اللجنة المركزية (سلم) والمكتب السياسي (مس) للحزب الشيوعي العراقي في تلك الفترة، والتي تنشر لأول مرة علناً في كتاب مطبوع.

ولد **حسين أحمد الموسوي الرضي** عام 1922 في مدينة النجف، لعائلة مكونة من أب يعمل موظفاً صغيراً في مطحنة آل عجينة و11 أخاً وأختاً، كان أكبر إخوته الثلاثة من الزوجة الثانية. وللظروف الاقتصادية والاجتماعية تعلم حسين في المدرسة ودخل ميدان العمل مبكراً وتميز بقوة الملاحظة والصبر والهدوء والتواضع والاستماع إلى آراء الناس واحترامها، واستطاع إكمال دراسته المتوسطة والدخول إلى

دار المعلمين الابتدائية بالعاصمة بغداد وعُيِّن معلماً بعدها. واهتم بالأدب وحفظ الكثير من الشعر، ووضع مع الشاعر زاهد محمد كلمات نشيد الجمهورية، الذي جاء فيه:

وأذلوا الموت كي تزهو الحياة
إلى الأمام
إلى الأمام

كما أحب الرسم والخط ومارسهما. "وعمل خطاطاً بمدينة النجف بعد فصله من التعليم عام 1946 وخط اللوحات الجميلة التي حملت أسماء المحال وأصحابها. وفتح محلاً لبيع المأكولات للعمال في بغداد بعد فصله ثانية علق على بابه لوحة حملت اسم المحل ورسم منظراً أخاذاً وكتب في زاوية من اللوحة، الرسام والخطاط حسين الرضي يعلن عن عمله بهذه المهنة".

ومارس التمثيل المسرحي متاثراً بعالم "التشابيه" في أيام عاشوراء، والإخراج المسرحي، فمثل وأخرج مسرحيات شعبية. كما أنه استفاد من ذلك في عمله التعليمي ونشاطاته وحتى لقائه زوجته وعمله الحزبي فيما بعد. وقد وصفه بهذه الصفات أغلب من تعرف إليه وجمعتها المؤلفة في صفحات الكتاب، ولا بد من الإشارة إلى سعة اطلاعه وقراءاته النقدية للتراث العربي الإسلامي وتفهمه لدوره، واختيار لقب الشريف

الرضي، سلفه الشاعر، تفرداً وكيلا يكرر لقب العائلة الديني الواضح.

عن الحالة الاجتماعية تذكر المؤلفة، زوجته، قصة عائلتها وتطورات حالتها الاجتماعية وانتقالاتها بين المدن، مشيرة إلى دور والدها، الشخصية الوطنية، المحامي ناجي يوسف، والمصادفات في اللقاء والتعارف والحب والزواج. وهو الفصل الخاص الذي تكتب فيه عن نفسها، من خلال طبيعة العلاقة بينما تتفرغ في باقي الكتاب لسيرة المناضل، وقد تعرج على ذكرياتها الخاصة في ما بين السطور.

عندما تخرج في دار المعلمين وعُيِّن معلماً في مدينة الديوانية عام 1944 التقى صديقه **محمد حسين فرج الله** الذي رشحه للحزب الشيوعي. قال عنه القيادي في الحزب **مهدي عبد الكريم**: "كان **سلام عادل** يتمتع بمواهب متعددة، فهو رياضي ولاعب كرة سلة ماهر، ومعلم الرياضة والرسم في الثانوية وكان يطلب للتحكيم في ألعاب الكرة المختلفة لمعرفته قوانينها وكان يدرب فريق الجيش في الديوانية. لقد كان شخصية محبوبة بين طلابه والأساتذة والرياضيين والعسكريين الذين يتعرف عليهم". ولهذا النشاط رشحته لجنة المدينة إلى عضويتها وهو ما يزال مرشحاً وطلبت رأي القيادة فيه فردت القيادة بطلب حضوره إلى بغداد حيث التقى فيها قائدي الحزب **فهد وزكي بسيم** وعاد من اللقاء عضواً في

الحزب وباسم حزبي هو: **مختار**. وظل يعتبر نفسه تلميذاً **لفهد**، يتعلم منه وينهل من خبرته التي تعلم منها الشيوعيون من بعده. وعاد من لقائه متحمساً للعمل الحزبي وموسعاً نشاطاته السياسية حتى عرف أمره في المدينة ولدى الشرطة. واستدعي من قبل مدير الأمن العام **بهجت العطية** وحاوره قبل فصله من التعليم. وانتقل إلى بغداد مفصولاً من مهنته، وفي لقائه فهد ثانية طلب **فهد** منه أن يتفرغ للحزب مثله ويقبض 6 دنانير شهرية من الرفيق **زكي**، فأقنعه بأنه وعد **العطية** بالعمل بائع لبن على الجسر، وأن عدد المعلمين المفصولين تجاوز المائة ولا بد من نموذج يعيلهم فشجعه فهد على ذلك. واتفق مع رفيقه **محمد حسين فرج الله**، وهو الآخر مفصول، على العمل سوية في بيع (الفشافيش) والعيش منها، مع تفرغه للعمل الحزبي. وتركها ليفتح دكاناً لبيع الكبة والفطور للعمال، وانتقل منه ليعمل مفتشاً في الحافلات، وليكون مثالاً لأمثاله المفصولين ومتواصلاً مع كدح العاملين والعمال ومعاناتهم في هذه المهن وغيرها. وساعده **ناجي يوسف** على توظيفه معلماً في مدرسة خاصة لتدريس الطلبة الفقراء من الأكراد الفيلية وبعد انتهاء مدة فصله أعانه على التوظيف في دار المعلمين الريفية. تكتب **ثمينة ناجي يوسف** عنه "تميز **سلام عادل** بقوة شخصيته وجاذبيتها لذلك وقع أبي وأمي تحت تأثير حديثه الممتع المفهوم وأدبه الجم وتواضعه. فكان

موضع احترام والدي وحفاوتهما عندما يأتي لزيارة بيتنا. وقد رجاه أبي أن يدرسني مادة الرياضيات ......وجاء لتدريسي، جلست أمامه على الكرسي في غرفة الاستقبال وتحول الدرس دون قصد أو تخطيط من الرياضيات إلى السياسة وأخذ يحدثني عن الشيوعية ولينين والاتحاد السوفيتي ومعنى الثورة." ص 34.

وكأي شيوعي في العراق خصوصاً، لا بد أن يمر المناضل بمرحلة السجون والفصل عن الوظيفة والمحاكمات الصورية. وفصل مرة أخرى من التعليم عام 1948 وتفرغ للعمل الحزبي وسكن في بيت حزبي وفتح دكاناً للعمل والعيش منه إلا أنه اعتقل في عام 1949 وحكم ثلاث سنوات تلتها سنتان في الإقامة الإجبارية تحت مراقبة الشرطة. نقل إلى **سجن نقرة السلمان** الشهير في الصحراء الجنوبية وهناك كلف مسؤولية مكتبة السجن فتوافرت له فرصة جيدة لقراءة الكتب النظرية ونسخها بخط واضح وعلى ورق صغير لتوزيعها على الرفاق الآخرين. بعد انتهاء مدة الحكم عليه عام 1953 نقل من سجن النقرة إلى بغداد وأُبعد إلى الرمادي لوضعه تحت رقابة الشرطة، كما هي أحكام ذلك الزمان، إلا أنه تمكن من الهرب منها وعاد إلى بغداد ليلتحق بالحزب ويتصل بخطيبته ثمينة مرة أخرى، فسكن مع **طالب عيد الجبار** مسؤول بغداد واطلع معه على وثائق الحزب وناقشه في

تطوراته وعندما اعتقل سكرتير الحزب **بهاء الدين نوري** كلف **كريم أحمد** المهمة وفي لقاءاته معه ومع **ناصر عبود** القيادي الثاني في الحزب تقرر إيفاده إلى مسؤولية منظمة الجنوب للحزب، التي تعرضت لضربات متتالية من الشرطة.

ونقلت المؤلفة عن القيادي الشيوعي **كريم أحمد**: "سجن سلام عادل في بداية عام 1949 وأرسل إلى سجن نقرة السلمان ليواجه فيه مع رفاقه ظروفاً صعبة. وبعد خروجه من السجن في عام 1953 أرسل للإبعاد، فكتبت له رسالة باسم اللجنة المركزية أطلب منه الالتحاق بالحزب، وبعد يومين هرب من الإبعاد والتحق بالحزب. كلفت اللجنة المركزية سلام عادل السفر إلى البصرة لقيادة المنظمة عام 1954. وواجهتنا مشكلة تدبير عائلة يسكن عندها في البصرة. وأخبرنا بأن لديه خطيبة يمكن أن يتزوجها وهي حزبية جيدة ومناضلة معروفة ساهمت بانتفاضة عام 1952 واختفت وعانت كثيراً، فأرسلنا إليها رسالة باسم الحزب نسألها عن رأيها بالزواج من الرفيق سلام عادل.... ويبدو أن ثمينة نجحت في إقناع أبيها **ناجي يوسف** بالزواج....". (ص 39-40) وسردت قصة إقناع والدها واللقاء بينه وبين **سلام عادل** وكتابة عقد قرانها عن طريق حاكم مدني ثم عن طريق (السيد)، احتراماً للتقاليد المرعية. وتروي في فصل تال صفحة جميلة من الشهور الأولى لحياتها العائلية المتواضعة، كما تسميها وتضيف،

ولكنها حياة نضالية مشتركة وجميلة. (ويبدو هنا اختلافات في التوقيت، بين كريم أحمد وثمينة ناجي يوسف!)، إلا أن يوم العرس لا ينسى للزوجة خصوصاً، فهي تسجله بدقة، في 2 حزيران/يونيو 1953، وأنتقلت بعده بثلاثة أيام إلى البصرة ليقود سلام عادل المنظمة ويطبع بنفسه أول منشور سياسي تضامني مع السجناء السياسيين في مجزرة سجن بغداد ويقود تظاهرة خاطفة في البصرة لإعلان عودة نشاط المنظمة الشيوعية ومن ثم إضراب عمال النفط. وهنا تعتمد على ما كتبته الباحثة والمناضلة الشيوعية **سعاد خيري** في كتابها عن تاريخ العراق، وعن تلك السنة وما بعدها من تاريخ نضالي للحزب والحركة العمالية، ولا سيما نشاط سلام عادل:

"شهدت البصرة في الربع الأخير من عام 1953، موجة كبيرة من الإضرابات العمالية، إثر تسلم **سلام عادل** قيادة تنظيم المنطقة الجنوبية، عندما أخذت سماته القيادية وقدرته التنظيمية تتجسد في الحياة السياسية، فالبصرة مدينة عمالية فيها المئات من عمال الموانئ وعمال النفط والسكك... الخ" وهذا ما درسه **سلام عادل** ووضع الخطط السياسية لعمله في هذه الأوساط، إضافة إلى الجماهير الفلاحية في المنطقة الجنوبية. وشهدت المنطقة في تلك الفترة سلسلة من الإضرابات والفعاليات التضامنية معها بين أوسع الفئات الاجتماعية في المدن والأرياف. وبعد كل هذا العمل المنظم

والموسع تعود إلى حديث كريم أحمد المسجل وتنقل منه: " لقد لفت نشاط **الرفيق سلام عادل** وبروز مؤهلاته التنظيمية نظر قيادة الحزب وقررت ضمه عضواً أصيلاً في اللجنة المركزية دون المرور بفترة الترشيح الاعتيادية" (ص56). وهكذا خلال سنوات أصبح فيها سلام عادل قائداً مبرزاً في قيادة الحزب الشيوعي العراقي، ليس على الصعيد التنظيمي وحسب، وإنما على الصعيد الفكري أيضاً، من خلال ما حازه تقرير، جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب، الذي ساهم فيه، من استحسان الأحزاب الوطنية وكذلك من الأحزاب الشيوعية في اجتماع لندن عام 1954، الذي اشترك فيه، ومن ثم مساهمته في إقامة الجبهة الوطنية الانتخابية في عام 1954. هذه التطورات المتلاحقة التي لعب فيها سلام عادل دوراً واضحاً بوأته موقعه الصحيح في قيادة الحزب وأعطت للحزب من خلالها تميزاً مشهوداً. وهي شهادات متتالية له وللحزب من القوى الوطنية والعالمية. لا سيما مقدرته على خوض غمار الكفاح في تلك الفترة المحتدمة، بين نضال الحركة الوطنية والسلطات الحاكمة ومشاريع الأحلاف العسكرية وربط العراق بها.

بعد عودته من لندن عهدت اللجنة المركزية إليه بمسؤولية اللجنة القيادية في بغداد ومسؤولية لجنة العلاقات الوطنية فانفتحت أمامه مجالات ومقولات تقرير اللجنة المركزية الذي

أسهم فيه. ونشط في علاقات الحزب الوطنية لتشكيل جبهة انتخابية، نشرت جريدة الحزب "**القاعدة**" في عددها الصادر في أواخر أيار/مايو 1954 عنها تحت عنوان: انتصار عظيم تحرزه قوى شعبنا الديمقراطية بعقد الجبهة الوطنية. في الانتخابات شنت السلطات حملات تزوير واضطهاد للناخبين ومارست كعادتها أصنافاً من الأساليب القمعية لأهدافها المرسومة لها. وكتبت جريدة الحزب افتتاحيتها في عدد حزيران/مايو 1954 تحت عنوان: في سبيل حكومة ترفض الأحلاف العسكرية وتطلق حريات الشعب. أوضحت سبب لجوء السلطات إلى كل وسائل الإرهاب وخنق الحريات ومطاردة مرشحي الجبهة وإعاقة ترشيحهم بغية إيصال الأكثرية الرجعية إلى البرلمان لإمرار مشاريع المستعمرين الحربية. وشخص الحزب وسلام عادل طبيعة المرحلة وفي أول لقاء له مع الشخصية الوطنية البارزة كامل الجادرجي انتقد دور الأحزاب الوطنية وشدد على ضرورة التحالفات الوطنية المخلصة لأهداف التحرر الوطني وتخليص الشعب من المشاريع الاستعمارية، التي كانت تهيئ العراق للدخول في حلف بغداد وضرب الحركة الوطنية العراقية.

في قيادته لمنطقة بغداد وسع من نشاطاته في التنظيم والعمل الديمقراطي، وبناء حزب جماهيري له ركائز في كل القطاعات الاجتماعية، بما فيها الجيش. وقد أشار عدد من

الكتاب في مذكراتهم أو مؤلفاتهم عن وجود خلايا شيوعية أو صديقة للحزب في أغلب القطاعات الجماهيرية في تلك الفترة الزمنية، في بغداد وغيرها من المدن الرئيسية. وبعد هروب **حميد عثمان**، سكرتير الحزب السابق، في شهر أيار/مايو 1954 من السجن سلمه **كريم أحمد** سكرتارية الحزب لأنه كان كذلك قبل سجنه، وعرفت عنه فرديته وعدم التزامه النظام الداخلي للحزب والقيادة الجماعية، ومصادمته مع **سلام عادل** في العمل التنظيمي والجماهيري. واقترح من بين عدد من "العقوبات" الحزبية، تحميله مسؤولية منطقة الفرات الأوسط للحزب، وظل **سلام عادل** مصراً على أن تكون محاسبته في هيئته، اللجنة المركزية بحكم عضويته فيها حسب النظام الداخلي للحزب. وكانت القيادة الشيوعية مكونة من **حميد عثمان، كريم احمد، سلام عادل، سليم الجلبي، هادي هاشم، فرحان طعمه، عبد الله عمر محي الدين (كاكه فلاح)، ناصر عبود وعطشان ضيول الايزرجاوي**. ووزعت المسؤوليات عليهم وقام **سلام عادل** بقيادة منظمة الفرات الأوسط، ولإمكاناته ورؤيته للعمل الجماهيري الواسع نشط الحزب وخلاياه في كل القطاعات الاجتماعية ومجالات الصحافة وأنصار السلام وغيرها، مثلما قام في الجنوب وبغداد، مما زاد من شعبيته داخل الحزب وخارجه. وبين من ذكر ذلك ما نقل مسجلاً عن تصريح للمناضل الشيوعي **باقر**

إبراهيم: في الحقيقة إن فكرة تكوين منطقة الفرات الأوسط كانت فكرة سلام عادل عندما كان مسؤولاً عن ثلاثة ألوية هي الديوانية وكربلاء والحلة ... لقد تجسدت موهبة **سلام عادل** في هذه المنطقة، فقد ساهم في تطوير كوادر المنطقة وأغنى تجربة الحزب في الحركة الفلاحية والتنظيم الديمقراطي. وأتذكر أنه كان عندنا كراس عن مهمات الحزب التنظيمية، لا أتذكر عنوانه ولكن أتذكر أن **سلام عادل** هو الذي ألف هذا الكراس وطبعه وظل متداولاً بين الرفاق لفترة طويلة امتدت إلى ما بعد ثورة 14/ 7/ 1958، وقد صدر الكراس عام 1955 وصدرت بإشراف **سلام عادل** أول جريدة للمنطقة وهي جريدة "**صوت الفرات**" التي واصلت الصدور .... ثم صارت علنية في 14 تموز/يوليو وكان رئيس تحريرها الشهيد **حسن عوينة** وكنت أتعاون معه في التحرير وفي كتابة الكثير من المقالات ومعالجتها." (ص 90)

حمل عام 1954 تطورات سياسية كثيرة، تمهيداً لعقد حلف بغداد ربيع 1955، تغيرت حكومات وزورت انتخابات وحل مجلس الأمة بعدها وصدرت مراسيم رئيس الوزراء **نوري السعيد** ضد الحركة الوطنية بحل الأحزاب والنقابات والجمعيات وغلق الصحف وزج شخصيات وطنية معروفة في السجون وغيرها من الإجراءات القمعية المتكررة. وكان **حميد عثمان** يقود الحزب في بغداد فأصدر بياناً سمي بـ"إطلاقات

أيار/مايو"، وبتوقيع اللجنة المركزية للحزب. علق عليه الباحث القدير **حنا بطاطو**: "لم تؤد سياسة النزول إلى الشارع والنضال المباشر والشامل ضد الحكومة الذي سعى نافد الصبر **حميد عثمان** إلى إسقاط حلف بغداد بواسطتها، إلى أي نتيجة". امتنع **سلام عادل** عن توزيع البيان على التنظيم وطلب اجتماعاً للجنة المركزية لمناقشته لأنه باسمها ولا يعبر عن تحليل ملموس للظروف الموضوعية. وفي جدل الحوارات واجتماع اللجنة المركزية في حزيران/يونيو 1955 قررت تجميد عضوية السكرتير **حميد عثمان** وانتخاب **سلام عادل** لهذا المركز. وبعد شهر عقدت اللجنة المركزية اجتماعاً لها بقيادة **سلام عادل** واتخذت قرارات جدية، لتقوية التنظيم الحزبي وتعزيز وحدة الحزب ولإنهاض الحركة الوطنية أمام سياسة الإرهاب والقمع الحكومي والتحضير لعقد كونفرنس للحزب، سيكون الثاني في عمر الحزب، بعد الأول الذي عقد بقيادة فهد عام 1944.

عاد **سلام عادل** إلى بغداد وإلى قيادة الحزب من المركز/العاصمة وتنفيذ ومتابعة القرارات التي اتخذت في اجتماع اللجنة المركزية. وكانت متسمة برؤية شمولية جديدة واندفاعة متميزة للحزب والحركة الوطنية العراقية. وفي تقرير اللجنة المركزية للحزب الذي قدم إلى الكونفرنس الثاني للحزب، وقاده **سلام عادل** مختصر لما قام به وأنجزه حزبياً

ووطنياً وأممياً. جاء فيه إن "حزبنا استطاع رغم الانتكاسات والمحن التي تعرض لها في السنوات الأخيرة أن يفرض وجوده كأقوى تنظيم سياسي في البلاد". وفي الفصل العشرين من الكتاب الأول عرض مفصل للتقرير. أبرز ما فيه تأكيد الحزب وقيادته على تقوية البناء الحزبي وشن الكفاح من أجل تطبيق المبادئ الجماعية وضد سياسة التفريط والغرور ونبذ جملة من الأساليب البيروقراطية في السياسة والتنظيم. وخلال فترة عام تقريباً عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعين مهمين اتخذت خلالهما قرارات، كان من شأنها أن خطت للحزب نهجاً نضالياً واضحاً صحيحاً أثر بقوة لا في حياة الحزب الداخلية وحسب، وإنما أيضاً، في سياسته الوطنية، وصحافته وسلوك أعضائه. (ص113).

كما أشار التقرير إلى ما حققه على صعيد المنظمات الديمقراطية في المدن وفي الريف. ودعمه لنضالات النقابات العمالية والإضرابات ولاسيما العاملات، كما شجع على تصاعد الحركات الفلاحية بقيادة الجمعيات الفلاحية. وفي تلك الفترة تشكلت لجان العمل الديمقراطي، لقيادة رابطة الدفاع عن حقوق المرأة، واتحاد الشبيبة الديمقراطي، واتحاد الطلبة العام وتوسيع نشاطها الوطني الديمقراطي، كما انتعشت حركة السلام وشاركت مع غيرها في حضور فعاليات المنظمات العالمية.

بلا شك اهتم الحزب بالصحافة الحزبية وتعزيز دورها في التقرير أيضاً، معتبراً أنها ساعدت على التعريف بسياسة الحزب وبلورة أهداف الحركة الوطنية في مجابهة حلف بغداد وطرح موضوع الجبهة الوطنية والتفاعل مع الحركة الوطنية والقومية في قضاياها المهمة والبارزة. الأمر الذي شجع على كسر جليد الصمت بين قوى حركة التحرر الوطني في العراق من جهة ومع البلاد العربية من جهة أخرى، رافعة شعار الحزب في النضال من أجل تطبيق الدستور وتمتع الشعب بالحريات المنصوص عليها وفي سبيل لحمة قوى المعارضة ضد الأحلاف والمشاريع الاستعمارية وفضح سياساتها العدوانية، ليس على العراق وحسب، كما قامت الجمهورية العربية المتحدة في حينه.

لعل أبرز الانجازات التي رفعها التقرير إلى الكونفرنس هو وحدة الحزب الشيوعي، بحل كتلة **(راية الشغيلة)** ومجموعة **(وحدة النضال)** نفسيهما وانضمامهما إلى الحزب، بعد حوار قاده سلام عادل في آب/أغسطس 1955 وانتهى في حزيران/يونيو 1956. وأصدرت اللجنة المركزية بياناً في 17/ 6/ 1956، رحبت فيه بعودة المناضلين الحزبيين، ودعت إلى تعزيز وتوطيد وحدة الحزب الشيوعي العراقي، وانتقد البيان الأفكار الانشقاقية وكذلك المقاييس البيروقراطية التي عولجت بها مشاكل الرفاق الفكرية والسياسية. وكانت اللجنة

المركزية مكونة من **سلام عادل**، سكرتيراً، **وفرحان طعمة، محمد صالح العبلي، هادي هاشم الأعظمي، عطشان ضيول الايزرجاوي وناصر عبود**، أعضاء.

انعقد في أيلول/سبتمبر 1956 **الكونفرنس الحزبي الثاني**، بعد أن اعتقل وأعدم قادة الحزب، **فهد وحازم وصارم** عام 1949، وتناوبت على القيادة من 1949 إلى 1956 شخصيات شيوعية متنوعة ومختلفة الأساليب والتصرفات والإمكانات، منها من اقترف أخطاء كبيرة في العمل السياسي أدت إلى التكتلات والانقسامات في الحزب ومنها من استطاع بجهوده ومن استطاع من كادر الحزب تسيير أمور الحزب واستمراره فاعلاً في الساحة السياسية الوطنية. وبعد تكليف سلام عادل القيادة، كما أشرنا، وضع خطة عمل للحزب مكنته من إعادة وحدته وبناء جبهة وطنية والاهتمام بالعمل في المنظمات الديمقراطية والجيش، وصولاً إلى عقد (المجلس الحزبي) الكونفرنس الثاني. وانتخاب قيادة جديدة، جددت إلى **سلام عادل** مركزه، وأضافت إليه **جمال الحيدري وعامر عبد الله** إلى المكتب السياسي، **وعبد الرحيم شريف وجورج تلو**... إلى اللجنة المركزية. ونشر تقرير الكونفرنس تحت عنوان: خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي. ومن العنوان وأخذاً في الاعتبار الظروف المحلية والدولية زمنياً يعرف مدى نجاح الكونفرنس وتطور عمل

الحزب وتوسع نشاطاته داخلياً وارتباطه الأممي وتأثره في تطوراته ومواقفه الإيديولوجية والسياسية. وهذا الارتباط ترك آثاره وتداعياته تاريخياً على مسيرة الحزب والحركة الشيوعية، ليس في العراق حسب.

جاء في مقدمة التقرير: تتطور الأحداث العالمية بسرعة فائقة لصالح قضية السلم والحرية والديمقراطية، ويتقلص ظل الاستعمار وينهار بنيانه حجراً حجراً تحت ضربات قوى الشعوب المناضلة ببسالة في سبيل حريتها وتقدمها. ولقد كشف المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي الذي عقد في شباط/فبراير بوضوح ودقة ميزات عصرنا الحالي واستخلص بعمق وجهة النضال العام لحركة التحرر في العالم كله، ولذلك اكتسب هذا المؤتمر أهمية عالمية وتاريخية استثنائية.

وربطت مقدمة التقرير بين الحركة التحررية الوطنية والقومية وتفاعلها مع الحركة العالمية. كما اعتبرت أن المجلس الحزبي جاء نصراً كبيراً لسياسة الحزب الشيوعي. مؤكدة "أن الوحدة التنظيمية ليست هي وحدها التي أصبحت حقيقة واقعة في حزبنا وحسب، بل إن وحدته الفكرية والسياسية كذلك تزداد رسوخاً وتتطور بسرعة. وما كان الحزب ليستطيع أن يحرز هذا النصر لولا وحدة وتنمية العمل

الجماعي في هيئاته. لولا الشعور العالي بالمسؤولية الذي ينمو بين مناضلي الحزب والمساندة العظيمة التي يتلقاها من القوى الثورية ومن جماهير شعبنا المجاهد..." (ص128). وأعلن الحزب أن تقرير المجلس هو خطة عمل لمنظمات الحزب في نشاطها العام لإيجاد أساس للتفاهم والتعاون والاتحاد الكفاحي مع جميع القوى الوطنية من أجل التحرر الوطني والقومي وهو يدعو "الشعب العراقي للنهوض يداً واحدة للتخلص من عبودية الاستعمار وعملائه في سبيل التحرر الوطني والقومي وفي سبيل السلم والتقدم والديمقراطية والتقدم" وهذه الوثيقة مهمة لأسباب كثيرة، ليس لأنها صادرة عن كونفرنس حزبي فقط أو لأنها تعبير عن نهج قيادة جديدة وحسب وإنما لأنها تحتوي على مؤشرات جدية. تركزت في الخطة السياسية الجديدة وأسلوب النضال الرئيس وطبيعة التحالفات والمواقف الفكرية والسياسية من القضايا الوطنية والقومية. حيث وصفت القوى السياسية وطبيعتها والمرحلة التاريخية واختارت لغة وتأثراً بالأجواء العالمية سبيل **الكفاح السلمي** غالباً، مما ميزها بطرحها وحملها تداعيات ما أثير بعدها والتحولات التي جرت عليها وفي الواقع العراقي. قدرت الخطة: "إن ما يواجه بلادنا الآن هو قبل كل شيء ضرورة تحويل السياسة القائمة من سياسة تعاون مع

الاستعمار وتوافق مع الصهيونية وانعزال عن حركة التحرر العربي، إلى سياسة وطنية عربية مستقلة". ومن خلال ذلك ترى الخطة "أن مهمة الانتقال إلى الاشتراكية وتحويل السلطة إلى أيدي العمال والفلاحين وحلفائهم، ليست هي المهمة التي تواجهها حركتنا في الظرف الراهن" (ص 129). وبعد تحليل الوضع السياسي الداخلي تستنتج الوثيقة مهام وقوى التغيير السياسي، وتضع احتمالات الوسائل التي سيلجأ إليها الاستعمار في قمع النضال التحرري وانجاز سياسته المتبعة في العراق. ومن بين الاحتمالات وردت النقطة الرابعة التي أثارت جدلاً ووضعت الوثيقة والحزب أمام مراجعة طرحها وإعادة النظر وتغيير الوجهة هذه انعكاساً للتطورات والتحولات الواقعية على الأرض. جاء في هذه النقطة ما يلي: "إن تحديد القوى على هذا النحو يحدد بدوره طبيعة المعركة باعتبارها معركة ذات طابع سلمي غالب، أو بكلمة أدق، شكلاً من النضال الثوري يمكن في المرحلة الحاضرة وفي المستقبل من باب أولى، ان يكون ذا **طابع سلمي** قائم في الأساس على تعبئة القوى الوطنية في جبهة واسعة والضغط بها على نحو مركز، وبأشكال مختلفة، مؤثرة، بغية تبديل السياسة القائمة بسياسة وطنية عربية مستقلة" (ص131). وتنتبه الوثيقة إلى خطورة ما سجلته الفقرة فتستدرك: "إن

مسألة العنف بالنسبة لنا... مسألة يقررها سلوك الخصم عندما لا يريد أن يتنازل أمام إرادة الشعب.. وإننا نعتقد اعتقاداً لا يتطرق إليه الشك، بأن ما يسعى إليه الشعب سيحققه دون أدنى ريب ولكنه يحرص على أن يحقق مبتغاه بأقل كلفة وبالطريق الأقل تضحية". (ن. ص).

وضعت الوثيقة مهام الحكومة الوطنية المخلصة التي دعا إليها الحزب بالنقاط التالية:

1- الانسحاب من حلف بغداد وإلغاء الاتفاق الخاص مع بريطانيا واتفاقية التسلح الأمريكية وغيرها من الاتفاقات الاستعمارية.

2- اتباع سياسة عربية تضمن للعراق شرف المساهمة في المحالفات العربية والمساعي النبيلة المبذولة لتحقيق الوحدة العربية.

3- إلغاء المراسيم السعيدية (من اسم نوري السعيد، رئيس الوزراء العراقي) والقوانين المقيدة للحريات، وإطلاق حقوق الشعب الدستورية وحل المجلس النيابي وإجراء انتخابات جديدة تقيم مجلساً يعكس إرادة الشعب بدرجة كافية، هي شروط ضرورية لإطلاق قوى الشعب من أجل صيانة وتطوير مكاسبه وحقوقه.

4- انتهاج سياسة اقتصادية وطنية سليمة تضمن حماية

وتطوير الاقتصاد الوطني وتحسين ظروف الجماهير المعيشية والصحية والنقابية.

5- إعطاء أهمية لتلبية مطالب الشعب الكردي ورعاية حقوقه ومطامحه القومية واحترام حقوق الأقليات القومية.

6- ضرورة إيقاف تدخل شركات النفط في شؤوننا السياسية وتطمين مصالح العراق في عوائد نفطه... ويكون طبيعياً في الظرف الراهن أن يعتبر الشعب العراقي اتفاقية النفط لعام 1952 غير مرضية، بل ومخلة بحقوقه وهو يرى أن من الضروري معالجة هذا الأمر، على ضوء المصلحة الوطنية والقومية.(....)

7- وفي الوقت نفسه، يرى الشعب العراقي، أن الظروف التي ستنشأ بعد تخلص العراق من قيود الأحلاف والمعاهدات ستكون بلا شك ظروفاً ملائمة لإعادة صياغة علائق التعاون التجاري والاقتصادي والثقافي والسياسي بين العراق وبين سائر الدول وفق مبادئ التعايش السلمي".

هذه المهام مرحلية ومستنبطة من ظروف الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية، وهي ليست برنامج الحزب وخططه الإستراتيجية كحزب شيوعي، ولهذا أخذت بما يناسب الواقع ومتأثرة بأجواء التحولات العالمية ومقررات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي. وناقشت الوثيقة

أيضاً قضية الجبهة الوطنية والسياسة التحررية العربية والمسألة القومية الكردية.

ولكن الوثيقة طبعت بما سبق ذكره من إشارة إلى النضال السلمي في عملية الكفاح التحرري، مما عرضها للتغيير مباشرة بعد تطورات الوضع السياسي الداخلي والعدوان الثلاثي على الشقيقة جمهورية مصر. وهذا يعني انتقاداً جدياً لطبيعة قراءة الأوضاع السياسية المحلية والإقليمية، والتحالفات الدولية والإيديولوجية التي أثرت حتى في هذه المجالات الخاصة أو ذات الخصوصية المعينة. وهي قضية مهمة في تاريخ الحزب والحركة الشيوعية في العالم العربي خصوصاً، عانت منها بعض الأحزاب وتعرضت بسببها إلى صراعات وانقسامات كبيرة.

وتناولت الوثيقة قضيتين أساسيتين هما: الجبهة الوطنية الموحدة والموقف حيال السياسة التحررية العربية والمسألة القومية الكردية. وبينت موقفاً واضحاً منهما، مسترشدة بالماركسية اللينينية وواقع العراق القومي والسياسي والنهضة العربية التحررية الصاعدة والظروف الدولية المستجدة.

ورغم ما أخذ على خطاب الوثيقة السياسي والإيديولوجي ظل سلام عادل مفعماً بالآمال العريضة لانتصار الشعب على الطغيان وعلى دور الشيوعيين العراقيين في الكفاح التحرري الوطني والقومي. فيختم الكونفرنس بكلمة معبرة ومتفائلة

وتعبوية كعادته في العمل التنظيمي مركزاً على روح التضحية والنضال في سبيل حرية الشعب وعزة الوطن. "إن عقرب الساعة يشير إلى أن نهاية حكم الاستعمار وعملائه وشيكة لا محالة... وشعوب العالم بأجمعها تنهض في سبيل حريتها وكرامتها، وفي سبيل تحررها الوطني والقومي... ولن يتخلف شعبنا العراقي الأبي عن ركب العروبة السائر إلى الأمام في هذا الموكب الجليل المتعاظم الزاخر بالحيوية. إن آفاق المستقبل القريب مفعمة بالأمل، وأمام القوى الوطنية أن تعالج المواقف بيقظة تامة وبروح واثقة مقدامة... وإن أقصى ما يكافح حزبنا من أجله هو أن يحقق التزاماته التي قطعها لجماهير الشعب، وأن يبرر الثقة العظمى التي وضعها فيه، وأن ينهض بقسطه في هذا الواجب التاريخي النبيل". (ص152).

قبل وبعد انتهاء الكونفرنس الحزبي وانطلاق الحزب لتنفيذ منهجه الجديد هددت القوى الاستعمارية مصر لتأميمها قناة السويس وشنت حربها العدوانية التي سميت **بالعدوان الثلاثي** (البريطاني، الفرنسي، الإسرائيلي) عليها يوم 29/ 10/ 1956. وفي اليوم التالي تحرك الشعب العراقي معلناً تضامنه مع الشعب المصري ومطالباً بالوقوف إلى جانبه، وطوال الأشهر الثلاثة التي أعقبت العدوان استمرت الانتفاضة الشعبية في أغلب المدن العراقية، فدرسها الحزب وأصدر

وثيقة بعنوان: "**انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن**" موقعة باسم المكتب السياسي، جاء في تحليلها للانتفاضة، كما نقلته المؤلفة في ص 157 ما يلي:

"1- ترتبط الحركة الوطنية في العراق ارتباطاً عضوياً بحركة الأمة العربية من أجل التحرر والوحدة فهي تتأثر وتؤثر فيها إيجاباً وسلباً بالرغم من كل الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل من جانب الاستعمار وأعوانه لعزل العراق من حظيرة التحالف العربي".

"2- لذلك كانت البلدان العربية المتحررة على حق عندما لم تكتف برفض الانضمام إلى حلف بغداد وإنما شنت نضالاً حازماً لإخراج العراق من هذا الحلف وضمه إلى الأسرة العربية فوجود العراق ضمن الأسرة العربية وهو البلد العربي القوي بشعبه والغني بثرواته وموارده، وهو مصدر قوة كبيرة لحركة التحرر العربية... إن وجود العراق في حلف بغداد قد جعل منه مركز عدوان وتآمر على الأمة العربية".

"3- فإذا كان الشعب العراقي يسعى ويكافح للخروج من **حلف بغداد** والانضمام إلى الأسرة العربية المتحالفة بوجه الاستعمار، وإذا كانت الشعوب العربية الشقيقة تعمل للقضاء على هذا الحلف وتمد يد المؤازرة للشعب العراقي وتنظر بطموح وأمل إلى الساعة التي سينطلق فيها العراق من أسر عبوديته ويعود إلى حظيرة التضامن العربي فليس هذا إلا

تأكيداً لذلك الترابط التاريخي بين الحركة الوطنية في العراق والحركة التحررية العربية"..." ولذلك كان الشعار الرئيسي للانتفاضة الشعبية الأخيرة هو الانتصار لمصر وللسياسة العربية التحررية التي تقودها مصر وذلك عن طريق دحر ميثاق بغداد وسياسة بغداد عدوة مصر والعرب أجمعين".

في هذا التحليل السياسي والفكري للانتفاضة ولما بعدها أصدر الحزب عدة بيانات انتقل فيها إلى استعمال أسلوب **الكفاح العنفي** ضد الاستعمار وعملائه، بشكل اعتيادي دون الإشارة إلى ما كان قد طرحه وتبناه في وثيقة الكونفرنس الحزبي الثاني. وأوردت المؤلفة نصاً حدد الحزب فيه جنون المستعمر وعدوانه تفسيراً وتبريراً للموقف الجديد: "وفضلاً عن ذلك فإن مواقع الاستعمار في العالم العربي لم تكن من قبل متداعية مزعزعة كما هي عليه الآن، وسير التطور التاريخي العالمي لم يكن ذهب إلى الحد في مسألة التصفية النهائية لنظام الاستعمار. ومن هنا كانت مقاومة الاستعمار وعملائه لانتفاضة الشعب الأخيرة بالغة الشدة والجنون، فلم يبد العدو إبان هذه الانتفاضة وخلالها أي بادرة للمناورة أو التراجع كما فعل في وثبة كانون مثلاً". وكان الحزب قد أيد الدعوة إلى إعلان إضراب تضامني مع الشعب المصري يوم 16/ 8/ 1956، التي دعت إليها الأحزاب الوطنية، كالمؤتمر الوطني والبعث، وكتبت جريدة "**اتحاد الشعب**" مقالاً تحت

عنوان: الاتحاد الوطني هو السبيل الوحيد لإحباط مؤامرات الاستعمار وعملائه، نص على أن نجاح الإضراب كان مصداقاً لأهمية الاتحاد بالنسبة إلى القضايا الوطنية التي تجابه البلاد وضرورة تفهم المحتوى العربي والعالمي لحركتنا الوطنية وأن تعالج مواقفها على أساس الشعور بالمسؤولية تجاه مصالح الوطن والشعب والعروبة.

واكب الحزب تحرك الشارع العراقي وساهم مع الأحزاب الوطنية في النضال الوطني ضد الحكومة وقوانينها وقمعها العنيف، فأصدر بياناً في 11/ 12/ 1956 باسم اللجنة المركزية، موضحاً فيه انتقالته وتطوير أساليبه ودعوته إلى استخدام "**أساليب فعالة ومؤثرة**"، جاء فيه: "إن مسألة العنف هي بالنسبة لنا مسألة يقررها الخصم عندما لا يريد أن ينزل على إرادة الشعب. فبالرغم من أن شعبنا قد عبر عن هذه الإرادة **بأساليب سلمية مختلفة**، سواء بمذكرات الاحتجاج التي قدمتها الهيئات الوطنية أو بالمذكرات الجماهيرية أو بالإضرابات العامة وأخيراً بموجة الإضرابات والمظاهرات التي شملت جميع مدن العراق، فإن العدو لم ينكص على عقبيه ولم تجد هذه السياسة الأساليب في زحزحته عن مواقعه وإنما على العكس قد استفزت هذه الأساليب عدوانيته وشراسته.. وهكذا تصاعد تيار الإرهاب إلى درجة لم يسبق لها مثيل في البلاد وفرضوا على الشعب

معركة دموية رهيبة لإبقائه مصفداً بأغلال حلف بغداد وبضروب الاستغلال الاستعماري ولكبح نضاله المشروع للتظاهر مع الأقطار العربية في معركة الحرية والشرف...". ودعت اللجنة المركزية في بيانها هذا إلى "تطوير أساليب الكفاح والتنظيم ورفعها إلى درجة أكثر حزماً وفعالية لمواجهة الأساليب العنيفة التي شرع العدو يستخدمها دون تردد أو هوادة، **بأساليب فعالة ومؤثرة**" (ص 165). وهكذا استجاب الحزب إلى متطلبات الواقع والتغيرات الحاصلة فيه وعبر عنها بما أصدره من بيانات ومقالات، كان سلام عادل مسؤولاً عنها أو بحكمه، وتدل من جهة أخرى على طريقة تعامله الحزبي وتفكيره السياسي في الفهم اللينيني للواقع الملموس وتجلياته والمهمات المطلوبة من القائد والقيادة والحزب. وهذا ما شهد له عدد من القياديين الحزبيين الذين عملوا معه حينها رغم اختلاف بعضهم مع أسلوبه معهم، وهو ما نقلته المؤلفة عنهم أيضاً. وفي تطورات الأحداث كشف الحزب وقائده سلام عادل عن إمكانات نضالية واسعة شملت العراق كله، وعكست وجوده فيها، ومما نقلته المؤلفة عن تقييم الحزب عنها، ما كتبه الدكتور **فائق بطي** في كتابه: الصحافة اليسارية في العراق، (ص 124 و125): "أما انتفاضة 1956 في العراق، فإنها وإن لم تحقق هدفها المباشر في إسقاط نظام حكم نوري السعيد والخروج من ميثاق بغداد (الحلف

العسكري) إلا أنها أدت النتائج الايجابية التالية، كما أوردها الحزب الشيوعي العراقي السري في معرض تقييمه الكامل للانتفاضة: عززت شعور التضامن ووحدة المصير بين الشعب العراقي والشعوب العربية الأخرى، لعبت دوراً في إحباط تآمر نوري السعيد على سوريا، أيقظت وعي الجماهير أكثر على حقيقة الأهداف العدوانية لحلف بغداد ومدى خطورته على حركة التحرر العربي، جذبت إلى ميدان النضال الوطني والقومي قوى وطنية جديدة، أفهمت الرأي العام العالمي أن السياسة العراقية آيلة إلى السقوط وأن حلف بغداد ومن ورائه السياسة الاستعمارية إنما يقوم على أساس متزعزع لا يلبث أن ينهار، ثقفت كل القوى والأحزاب الوطنية بنواقصها وأخطائها، وعززت إلى حد كبير وحدة هذه القوى، وبددت الكثير من المفاهيم التي كانت تعرقل وحدتها وجعلتها أكثر تماسكاً وأكثر قدرة على العمل المشترك، وكشفت عن نقاط الضعف في الجبهة المعادية ومدى الضرر الذي يلحقه قطع النفط عن الدول الاستعمارية معززة شعبية تأميم النفط".

وبرزت حنكة القيادة وفهمها للمهمات المطلوبة في الرسالة الداخلية التي فند **سلام عادل** فيها التوجه نحو الاغتيالات الفردية وجاء فيها: "ومن المعروف قطعاً، أننا كماركسيين- لينينيين، نتجه في الكفاح الوطني وجهة أخرى، وجهة تعبئة وتنظيم وتوحيد أوسع القوى الجماهيرية وزجها

في صراع مكشوف ضد قوى وتنظيم الاستعمار وعملائه الخونة... وعلى هذا المبدأ الصريح القويم تنهض جميع تكتيكاتنا. وليس هناك ما يبرر على الإطلاق إعادة النظر في هذا المبدأ المستمد من الإدراك الصحيح لجوهر التبدلات الاجتماعية ومن التجارب التي لا تحصى في كفاح الشعوب من أجل تحررها وتقدمها، أو التقليل من أهميته على حساب إعطاء أهمية أكبر للتكتيكات الفردية. وهو لم ولن يصبح عتيقاً أو بالياً إلا لدى المغامرة، التي تؤدي فعلاً إلى حرف نضال حركتنا الشعبية عن وجهة سيرها المحتمة تاريخياً.

ووضح أكثر بأن مثل هذا الإرهاب لا يلجأ إليه إلا المستعمر عادة وأعوانه ضد القادة الوطنيين البارزين أو ضد أولئك الذين يديرون ظهرهم فيقفون مواقف جدية مضرة بمصالحه الاستغلالية. إلى أن ينتهي إلى "أن الأحداث تمر بسرعة، والحركة العربية تشق طريقها في ممارسات ضد الاستعمار، وتسير الحركة الوطنية في قطرنا نحو معارضة الأحداث القائمة، وينبغي أن لا نتأخر في أداء رسالتنا ودورنا التاريخي في تعبئتها وتوجيهها وجهة صائبة، ومن الخطأ التوقف عند أوهام ومفاهيم مضللة وتعليق الآمال عليها". (ص 185).

من خلال الرسالة والبيانات الأخرى توضح أن **سلام عادل** والحزب والحركة الوطنية أمام مهمات نضالية كبيرة،

وأن أي حزب في العراق لا يستطيع وحده انجازها، لذا عمل الحزب على التوجه على مختلف الصعد لأداء دوره الفعال فيها، فعلى صعيد العلاقات الوطنية، أسهم في قيام **(جبهة الاتحاد الوطني)** ربيع 1957 مع الأحزاب الوطنية الفاعلة على الساحة العراقية، **الوطني الديمقراطي والاستقلال والبعث العربي الاشتراكي والحزب الوطني الكردستاني وشخصيات وطنية مستقلة.** وعلى صعيد العمل التنظيمي شن حملة توعية إيديولوجية وتثقيف سياسي لمواجهة شتى الميول والتوجهات "التحريفية القومية التصفوية" كما أطلق عليها حزبياً. وكما وردت في نص الكراس الذي كتبه سلام عادل وعممه على جميع منظمات الحزب مناقشاً تلك الأفكار. و"تجاه المشكلة التي أثارها الآن ورفاق آخرون فان قيادة الحزب بذلت جهدها لعدم تكرار الأمثلة السيئة التي سبق أن عولجت بها حالات من هذا القبيل". "وكجزء من كفاح الحزب الفكري والسياسي ضد دسائس الاستعمار والرجعية ومن أجل رفع يقظة الرفاق إزاءها فان قيادة الحزب ارتأت نشر رسالتها إلى قادة المنظمات في كردستان وكذلك نشر بعض المقتطفات التي تلقي الضوء على تراجع الرفاق عن أفكارهم الخاطئة وتمسكهم بسياسة الحزب ولا شك أن هذا الكراس سيلقى اهتماماً كبيراً من جميع مناضلي الحزب وخصوصاً في كردستان وكذلك سائر الوطنيين والقوميين

المعادين للاستعمار والرجعية الخائنة". وصدر الكراس بعنوان: **رد على مفاهيم برجوازية قومية تصفوية.**

تصاعدت التوترات الداخلية وتفاقمت الصراعات بين السلطات الحاكمة والاستعمار من جهة والحركة الوطنية العراقية والطبقات الاجتماعية التي شددت من إضراباتها واحتجاجاتها، من جهة أخرى. مما هيأ الفرصة لتلاحم الضباط الأحرار الذين تلاقوا بتأثير الأحداث الوطنية والقومية، وخططوا للقيام بثورة 14 تموز/يوليو 1958، وقد أسهم الحزب الشيوعي في التحضير والتهيئة لها والتعاون مع قيادتها والتهيؤ لتطوراتها. حيث أسهم في تصعيد الحركة الاضرابية بين العمال وتعبئة الجمعيات الفلاحية، وتنشيط المنظمات الاجتماعية الديمقراطية التي كان الشيوعيون يلعبون دوراً متميزاً فيها، وهي اتحاد الطلبة العام واتحاد الشبيبة الديمقراطي ورابطة الدفاع عن حقوق المرأة إلى جانب حركة السلام ونقابات الأطباء والمحامين والمعلمين وغيرهم. وفي نشرة داخلية مؤرخة في 8/ 8/ 1957 أشار الحزب إلى توجيهه الجماهير إلى المبادرة، وجاء فيها: "ولا شك أن حركتنا الوطنية تستطيع ويجب أن تستفيد من هذا الوضع وتركز خطتها أولاً في تعبئة الجماهير وزجها في نضالات موضعية وعامة لحمل السلطات الرجعية على التراجع إلى أبعد الحدود الممكنة وتحقيق بعض المطالب الجماهيرية وثانياً تثبيت هذه

الخطوات وتعزيزها وثالثاً التأكيد على المطالب الوطنية مثل الخروج من حلف بغداد وفك الارتباط بمبدأ إيزنهاور". كما لعب الحزب دوراً في تأمين دعم ومساندة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية بعد اتصال **الزعيم عبد الكريم قاسم** به وأوفد **عامر عبد الله**، عضو المكتب السياسي، إلى موسكو، ولم يكتف الحزب بذلك بل عاود بذل جهوده عبر وفد ترأسه **سلام عادل** بنفسه مستغلاً حضور مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية الذي انعقد في موسكو في الذكرى الأربعين لثورة أكتوبر في تشرين الثاني/نوفمبر 1957. وبعد حصوله على وعد من الرئيس **خروشوف** بمساندة الثورة، التقى قادة الأحزاب الشقيقة وحصل على تفهمهم وانتقل من موسكو إلى الصين الشعبية والتقى **ماوتسي تونغ**، سكرتير الحزب الشيوعي الصيني ومسؤولين آخرين لضمان الدعم والمساندة. ومنها إلى ألمانيا الديمقراطية. وعند عودته عبر سوريا التقى فيها ممثل **الرئيس جمال عبد الناصر، كمال رفعت**، وأوفد **عامر عبد الله** إلى بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا للغرض نفسه. وعاد **سلام عادل** إلى العراق في شهر أيار/مايو 1958 مدعوماً بوعد من أكبر دولتين اشتراكيتين في العالم للثورة العراقية القادمة. وهكذا ومن خلال هذه الزيارات وأسلوب **سلام عادل** يتبين دور الحزب الوطني والعالمي، وإمكانات الحزب في التحضير للتغيير المنشود، وإدراكه لبلوغ الصراع الوطني نقطته الحاسمة

وقرب نهاية الحكم الاستعماري في العراق. وهذا ما تحقق في الرابع عشر من تموز/يوليو 1958، وبداية مرحلة جديدة ومهام جديدة للحزب الشيوعي العراقي وقيادته.

في 12 تموز/يوليو 1958 أصدر الحزب تعليمات لأعضائه بالتهيؤ لأحداث جسام في الوطن، وكان قد أعلم من قبل الضباط الأحرار بموعد تحركهم للتغيير. وبعد يومين أذيع البيان الأول وأعلن سقوط النظام الملكي وإعلان الجمهورية العراقية، فأسرع الحزب الشيوعي صباحاً في إرسال برقية تهنئة إلى قيادة الثورة موقعة باسم سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. أكد فيها: "أننا نعبر عن تفاؤلنا بأن هذه الخطوة الحاسمة ستكون فاتحة عهد جديد، عهد حرية وتطور عراقنا الحبيب، وتبوؤ شعبنا البطل مركزه في الموكب الظافر، موكب العروبة المتحررة الناهضة المحبة للسلام، وموكب الإنسانية العاملة من أجل تحررها وإلى الأبد من أنيار الاضطهاد والاستعمار. إن شعبنا العراقي، بعربه وأكراده، سيسجل لكم بفخر جرأتكم وتفانيكم من أجل تحقيق أهدافه الوطنية الكبرى وهو يحمي ويصون بدمائه الغالية جمهوريته الوطنية الفتية". وسار سلام عادل والقيادات الأخرى في الحزب في تظاهرات عمت شوارع العاصمة والمدن الأخرى ابتهاجاً بالثورة وتأييداً لقيادتها، وواصل الحزب موقفه منها بإصدار بيان سياسي في اليوم نفسه،

إضافة إلى توجيهاته وبرقيته. وأضاف في البيان تأكيده على دعم حركة الضباط والانتصار للجمهورية وصيانتها والحذر من أعدائها ومن أعوانهم، وحفل البيان بالثقة التامة بالإرادة الشعبية والتضامن العربي والدولي لنجاح الثورة واستمرارها. كما كتب سلام عادل بعد عودته إلى المقر الحزبي من مشاركته في عدد من المظاهرات الجماهيرية تعليمات مستعجلة ووقعها باسم المكتب السياسي/صباح 14 تموز، تضمنت:

- أيدوا الجمهورية بالبرقيات، أكدوا على الجبهة والاتحاد الفدرالي مع ج.ع.م (الجمهورية العربية المتحدة).
- نظموا المظاهرات.
- شكلوا لجان الدفاع عن الجمهورية ومساندة الانقلاب.
- اليقظة وعدم زج الرفاق والكوادر والمختفين.
- اليقظة.. نظموا صلتكم بنا.
- تمسكوا بتعليمات الحزب وخطه السياسي.
- نظموا الجماهير العمالية والفلاحية.

كما رفع الحزب مذكرة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، أكد فيها على التهنئة والتمنيات بنجاح المهمة النبيلة التي اتخذتها القيادة العسكرية وتقديم ملاحظات عاجلة لأهميتها، تدعم خطط الثورة وصيانتها ورفع اليقظة بوجه مؤامرات الاستعمار وأعوانه. والتأكيد من جديد بوضع كامل قوى

الحزب وإمكانياته لمساندة الزعيم والدفاع عن الجمهورية البطلة، كما وصفتها المذكرة.

منذ اليوم الأول وبعد هذه التحضيرات المسجلة في برقية ومذكرة وبيان وتوجيهات، واجه الحزب وقيادته مهماتهم الجديدة. وانبثقت اللجان الشعبية للدفاع عن الجمهورية وسارعت المنظمات الديمقراطية إلى فرض علنيتها وفتح مقرات لها في بغداد. وتوسع العمل والمهمات أمام الحزب، فكرياً وتنظيمياً. فشهد حراكاً واسعاً على جميع الصعد، وعقد اجتماعاً موسعاً لقيادته في بغداد ضم كوادر آخرين، من بينهم من خرج من السجون بعد الثورة، للنهوض بالمهمات العاجلة والواسعة والجديدة. وقاده **سلام عادل وجمال الحيدري**، ومما جاء في مداخلة **سلام عادل**: "إن السلطة القائمة التي أسفرت عنها ثورة 14 تموز/يوليو هي سلطة برجوازية وطنية، معادية للاستعمار وتمثل مصالح فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى والكبيرة. إن تركيبة حكومة الثورة لا تمثل كافة القوى الوطنية ومن هنا نشأ التناقض، قوى الثورة الأساسية (العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية) من جهة وبين مواقع التي استلمت زمام السلطة بعد الثورة، اقتصرت على تمثيل البرجوازية الصغيرة والمتوسطة فقط. وهذا هو الأساس في إيجاد وتعميق الخلافات داخل الحركة الوطنية وأحزابها. أما عن ابرز شخصيات الثورة. فقد ذكرنا

بأن **عبد الكريم قاسم** متعاطف معنا منذ 1954 وعلاقتنا به عبر **وصفي طاهر وحامد مقصود**. ولم يسبق وأن التقى بأحد الرفاق القياديين في الحزب. معلوماتنا العامة- أنه تقدمي، ويساري ولديه بعض المفاهيم والطموحات الأولية عن الديمقراطية، وهناك إمكانية للتأثير عليه لتعميق هذه الصفات الايجابية. ليست لديه قناعة بالوحدة الفورية، وذلك واضح من البيان الأول للثورة- ومن الدستور الموقت وغيرها من الظواهر. أما **عبد السلام عارف** فهو معاد للشيوعية، ليست له علاقة بالأوساط التقدمية، مندفع ومتهور وذاتي إلى أبعد الحدود. وكانت قد توفرت لدينا معلومات سابقة عنه عندما انضم إلى اللجنة العليا للضباط الأحرار، إنه أسوأ شخص فيها. ولكن عارف يحتل مواقع حساسة في السلطة، فهو الآن الشخص الثاني في قيادتها ويشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية".

وأضاف ملاحظاته عن إجراءات السلطة السلبية، كإبعاد الحزب عن المشاركة في الحكومة وكذلك الموقف من الضباط الشيوعيين والصحف وأهداف برنامج **جبهة الاتحاد الوطني**، لاسيما الخروج من **حلف بغداد**، وغيرها. مؤكداً: "إن كل تلك الحقائق طبيعية وتركيبة السلطة تضع أمامنا مهمة دفع عملية الثورة إلى الأمام، وأساساً بواسطة "الضغط من الأسفل" أي تنظيم مختلف الفعاليات والنشاطات الجماهيرية

للمطالبة بانجاز أهداف الجبهة واللجنة العليا للضباط الأحرار والضغط لتحسين المستوى المعيشي للجماهير الكادحة وبالأخص غالبية السكان من العمال والفلاحين، بإصدار قانون الإصلاح الزراعي وغيرها من التشريعات والقوانين التي تحض وتدافع عن مصالحهم" (ص 246- 248).

واصل **سلام عادل** تأكيده على دعم وصيانة الثورة وتوسيع عمل الحزب ومنظماته وعلنية المنظمات الديمقراطية وشرعيتها واليقظة والحذر والتوجه إلى مهمات أخرى جديدة بحسب تطورات الأوضاع على الأرض. وعقد اجتماعاً آخر للجنة المركزية في 2/ 9/ 1958، لبحث الوضع السياسي وخطة الحزب في الكفاح لصيانة ودعم الجمهورية ومن أجل تعزيز الديمقراطية ومسائل الوحدة العربية. وأسفر الاجتماع عن اتخاذ قرارات هامة تدعم نشاط الحزب والقيادة الجماعية والمهمات الجديدة التي لم يسبق للحزب أن استعد لها بسبب تغير الظروف بعد إعلان الجمهورية وإسقاط الملكية.

وانتهى الجزء الأول عند شرح ما سمته المؤلفة بالمؤامرات على الثورة وعدم التطرق إليها جميعاً مكتفية بمؤامرة الشواف نموذجاً. وملحقه من كتابات **سلام عادل**.

أما الجزء الثاني فقد واصل التطورات السياسية بعد إفشال "مؤامرة" **عبد الوهاب الشواف**، والصراعات السياسية داخل السلطة وبينها وبين أحزاب الحركة الوطنية، وانتكاسات

المد الثوري المتصاعد قبل الصدامات التي حصلت. وتفاصيل تأثيراتها في سياسة الحزب ومواقف قيادته منها ومن خط الحزب وقيادته أيضاً، ولم يمض عام على الثورة. حيث تشكلت ما سمي حزبياً بكتلة الأربعة في المكتب السياسي للحزب، مكونة من **زكي خيري (جندل) وبهاء الدين نوري (نهاد) وعامر عبد الله (محمد) ومحمد حسين أبو العيس (ثامر)** ، ضد سكرتير الحزب **سلام عادل**، وباقي أعضاء المكتب السياسي وهم **جمال الحيدري وهادي هاشم الاعظمي وكريم أحمد وجورج تلو، وعزيز محمد.**

وبعد عام على الثورة التقى **سلام عادل** زعيمها **عبد الكريم قاسم**، لا سيما إثر تصريحه عن الأحزاب واصفاً إياها بأنها رجس من عمل الشيطان في خطابه عشية الأول من أيار/مايو وخروج الحزب على قيادة التظاهرات الشعبية الواسعة في بغداد خاصة ورفع شعار المطالبة بمشاركة الحزب في السلطة. نقلت المؤلفة في ص 17- 18 ما يلي: "وبإصرار من **سلام عادل** وافق (م.س) على أن يتم اللقاء القادم بمشاركة **عامر عبد لله وعبد القادر إسماعيل**. وتم اللقاء. ومن خلال المناقشات التي استعرض فيها الوضع السياسي والمخاطر التي تواجه الجمهورية والأساليب المتجددة التي يلجأ إليها الاستعمار وعملاؤه وبالأخص تفرقة صفوف القوى الوطنية ودق إسفين بينها وبين السلطة الوطنية

لإضعافهم جميعاً وتمرير مؤامراته. إن ذلك يتطلب بالضرورة إحياء جبهة الاتحاد الوطني وإطلاق الحريات الديمقراطية للعمل السياسي. ضحك **عبد الكريم قاسم** ورد على **سلام عادل** بسؤال هو "لماذا يحتاج حزب المليون.. (يقصد مظاهرة أول أيار/مايو التي قدر عدد المساهمين فيها بمليون متظاهر) إلى الجبهة؟!. وأردف بسؤال آخر هو: ثم من من الأحزاب يمكن أن ينضم إليها؟، هل تقصد الحزب الوطني الديمقراطي؟. هذا الحزب الذي كلما اشتد الإرهاب على الشعب يتركه ليتدبر نفسه ثم ينسحب من الساحة. أما حزب البارتي (الحزب الديمقراطي الكردستاني) فالملا **مصطفى البارزاني** ذهب إلى الاتحاد السوفياتي وبقي هناك سنين طويلة مرتاحاً، أما نحن فقد كنا معرضين للخطر في كل الأحوال. هل أنت تعول على هؤلاء لصيانة الجمهورية؟".

موقف **عبد الكريم قاسم** هذا من الأحزاب الوطنية لم يرض **سلام عادل**، وبالتأكيد لن يخدم الوحدة الوطنية ويؤدي إلى تصديع جبهة الشعب التي تستحق حرية العمل المشروع، "فأجابه **سلام عادل** بلهجة قاطعة: نحن لا نريد هذه الحرية حتى وإن اقتصرت على حزبنا.. نريد حرية للجميع.. لجميع الأحزاب والقوى الوطنية المخلصة". جفل **قاسم** بعد ما سمع هذا الرد ونهض معتذراً بموعد آخر لديه (..) ومن هذا اليوم بدأ إصرار **قاسم** على إبعاد **سلام عادل** عن الحزب".

وإزاء تطورات سياسية كثيرة، منها تجميد نشاط الحزب الوطني الديمقراطي، أحاطت بالوضع السياسي انبرت القوى التقدمية الديمقراطية لتوحيد جهودها وتنسيقها لإعادة تشكيل **جبهة الاتحاد الوطني**. وكان هذا موقف الحزب الشيوعي وقائده **سلام عادل**، الذي قال: إن أخطاء الحزب عام 1959 التي هي في جوهرها ترتكز على الفهم الخاطئ لطبيعة البرجوازية الوطنية بما في ذلك عداؤها للشعب، وكذلك لوزنها آنئذ في الحياة السياسية في البلاد، نقول إن هذه الأخطاء التكتيكية قد أعطت مبررات، كان من الممكن تجنبها، لتتعكز عليها السلطة لستر حقيقة أغراضها المعادية للشعب وحقوقه وحرياته الديمقراطية. إن الكفاح داخل قيادة الحزب لتصحيح أخطائه كان كفاحاً ملحاً وضرورياً وصحيحاً. ولكن هذا الكفاح منذ بدايته لم يخل من شوائب لا مبدئية وهو لم يقف عند حدود تصحيح الأخطاء!، وإن بعض الرفاق في المكتب السياسي لم يدركوا أو لم يريدوا أن يدركوا عمق ومتانة العلاقة بين أخطاء الحزب هذه وبين الجهد الجبار الذي يبذله الحزب للنهوض بواجباته المتعاظمة الجديدة وبمسؤولياته إزاء الطبقة العاملة والشعب الكادح.. ومن ثم يشير إلى تكالب أعداء الحزب والثورة، تحت شعار مكافحة الفوضوية والحزبية الضيقة والإجرام لتشكيل جبهة واسعة من مختلف فئات وعناصر الرجعيين والإقطاعيين

وأعوان العهد المباد وسائر عملاء الاستعمار وحلف السنتو ومختلف الزمر القومية اليمينية والسلطة بأجهزتها وإمكانياتها ومختلف أحزاب البرجوازية بما في ذلك بعض الفئات البرجوازية التي تحمل عادة شعارات ديمقراطية، كالوطني الديمقراطي والبارتي. وحتى عدد من المداهنين والمناقضين الذين بقوا مدة من الزمن يتظاهرون بالعمل تحت شعارات الحزب. واستمرت مدة طويلة تكرس جهودها ضد الحزب باستخدامها كل ما هو معروف من الأساليب الدنيئة، وكل ما استطاعت القيام به ضد الحزب والحركة الديمقراطية وضد الجماهير الشعبية المخلصة. منهياً بالإشارة إلى وصول هذه الحملات متسللة بأفكارها وعناصرها وشعاراتها إلى داخل الحزب نفسه بغية فل وحدته وتفتيته بأمل القضاء عليه، وخصوصاً قيادة الحزب نفسها.

سياسة الحزب في بداية عهد الثورة وعلاقاته مع قيادتها تموجت بين الدعوة إلى صيانة الجمهورية والتراجع غير المنظم أمام الهجوم الرجعي المتعدد القوى ضده، ومنه ما قامت به الكتلة القيادية في الحزب التي أسهمت أيضاً في تراجع دور الحزب الطليعي ومن ثم ما حدث في بغداد بعد انقلاب الشواف، وفشل مؤامرة 5 تموز/يوليو وبعدها الاستعداد إلى أحداث كركوك وما تلاها من تغيرات في صفوف الحركة الوطنية وقيادة الجمهورية. وقد فتحت أحداث

كركوك صفحات جديدة في تلك العلاقات وتدهور الأوضاع. كتب الباحث **حنا بطاطو** عنها في موسوعته عن تاريخ العراق (ج3 ص 230) بعد أن رد قاسم بحدة على أنباء إراقة الدماء في كركوك، وأعلن في 19 تموز/يوليو استطاعته سحق من يواجه أبناء الشعب بأعمال فوضوية نابعة من الضغائن والحقد والتعصب الأعمى: "والواقع أنه اعتقل في الفترة بين 19 تموز/يوليو و12 آب/أغسطس 1959 مئات من شيوعيي القاعدة ورفاق دربهم، و"عطل" فاعلية قوة المقاومة الشعبية، وأغلق فروع اتحاد الشباب الديمقراطي في مدن المحافظات، كما ختم مكاتب الاتحاد العام لنقابات العمال، وسرح ما لا يقل عن 1700 احتياطي بينهم كل الضباط الاحتياط من الدورة الثالثة عشرة التي يحظى الشيوعيون بنفوذ واسع بين صفوف أفرادها".

وضعت هذه التطورات الحزب أمام اختيارات صعبة، فعقد اجتماعاً موسعاً للجنته المركزية في تموز/يوليو 1959 كشف التباينات الواسعة بين صفوف قيادته من جهة والضغوط القوية من أعدائه وقيادة السلطة وإجراءاتها من جهة أخرى. في تقرير الحزب الذي أطلق عليه بيان (جلد الذات) صورة لتناقضات الوضع في قيادة الحزب وبدايات الصراع الداخلي، حتى إن **سلام عادل** سماه بعد ما حصل في 1963 بأن الانقلاب كان قد بدأ منه وليس في شباط/فبراير 1963

وسهلت الكتلة مروره. وتقيّم المؤلفة وضع القيادة وما حصل في الاجتماع في خلاصة واستنتاجات، بأن الحزب لم يكن موحد الإرادة، وضعفه بوجود كتلة داخل قيادته وحتى هذه الكتلة لم تكن موحدة فكرياً ولا متجانسة بين رموزها رغم اتفاقها في وحدة الهدف. (فصل الاجتماع الموسع للجنة المركزية.. من ص 74 وما بعدها). وقد يكون لحصول المؤلفة على "محاضر اجتماع الهيئات القيادية للحزب في أيلول/سبتمبر 1962 لمحاسبة الكتلة الانتهازية الدور الرئيس في كشف ذلك الاجتماع، وأدوار أبرز أشخاصها. وعندما أضع هذه المحاضر بين يدي القارئ الكريم (والتي حصلت عليها بعد بحث طويل وجهود مضنية) أجدني على ثقة كاملة في أن لا تقتصر قدرته على تقييم أحداث ذلك الاجتماع فقط، بل وأن يلمس مردودات ونتائج السياسة الانتهازية على مصير الحزب والحركة الثورية في تطورات الأحداث اللاحقة، بعد انقلاب شباط/فبراير"(ص 80).

تتوالى الأحداث وتتراكم القضايا المصيرية في العراق، فتصاعدت **قضية الكويت**، وشركات النفط، **والقضية الكردية** وعملت هذه القضايا على تأزيم الوضع السياسي والمواقف منه وقيادة السلطة. وتقدمت مقترحات من قبل الضباط الشيوعيين والمنظمات المؤيدة للحزب أو العاملة تحت قيادته ولكن وضع قيادته المنقسمة أثّر وتأثّر بجميع هذه التطورات

وتعرقل دوره وسكرتيره العام في اتخاذ ما يلزم وتنفيذه رغم وعيه لها وإبداء رأيه فيها. فأصدر الحزب بياناً في 22/ 8/ 1961 حول الوضع في كردستان كتبه سلام عادل قبل سفره إلى موسكو بستة أيام للمساهمة في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، وضح فيه مواقف الحزب وحددها ونبه من الانزلاق في مخططات الاستعمارين الأمريكي والبريطاني الناشطة ضمن **حلف السنتو** ومحاصرة الاتحاد السوفياتي. "وإذا ما نظرنا إلى الوضع في الجمهورية العراقية، والنتائج السلبية التي نجمت عن السياسة اللاديمقراطية التي انتهجتها الحكومة منذ أكثر من سنتين، في توسيع الثغرات بين القوى الوطنية وفي صفوف أبناء الشعب، وفي تصفية الحريات والحقوق الديمقراطية الذي وسع الثغرة بين الشعب والحكومة، وفي تشجيع القوى المعادية للثورة، وفسح المجال لها بإعادة تجميع صفوفها، لوجدنا أن من المتوقع تماماً في الظرف الراهن ازدياد دسائس المستعمرين ومكائدهم ومحاولاتهم للنيل من استقلالنا الوطني، ومما يشجع المستعمرين أيضاً تفاقم التناقضات بين البلدان العربية جراء مشكلة الكويت والعقبات الجديدة التي برزت في طريق تضامنها ضد الاستعمار والصهيونية والتي لعبت دورها في تسهيل إنزال ومكوث الجيوش البريطانية في الكويت والتهديد الذي تحمله معها لاستقلال بلادنا وللحركة التحررية بوجه

عام. وتكتسب معاودة الحكومة العراقية مع شركات النفط الاستعمارية أهمية خاصة بالنسبة للظرف السياسي الذي تمر به البلاد، فلقد اقترنت المفاوضات النفطية دائماً بألاعيب ودسائس استعمارية هدفها إضعاف مركز المفاوض العراقي والضغط عليه لحمله على التخلي عن المطالب العادلة للشعب العراقي في نفطه مستغلة نقاط الضعف في سياسة الحكومة ذاتها التي تخشى من الاعتماد على الشعب وعلى قواه الوطنية في مواجهة المستعمرين وشركاتهم ودسائسهم".

وأشار الحزب إلى بيانه السابق عن **القضية الكردية** في 30 أيار/مايو 1961 ودعوته إلى وقف القتال ونصحه الحكومة بعدم الانسياق وراء المخططات الاستعمارية ومحاربة الشعب الكردي. وأكد الحزب: "إن جماهير الشعب في كردستان تعلم جيداً بأن مصلحتها الصميمية ترتبط بالدفاع عن الاستقلال الوطني للبلاد، وأن عملاء الاستعمار المرتبطين بالرجعية الإيرانية **وبحلف السنتو** وبشركات النفط لا يمكن أن يقودوها إلى ما فيه حريتها، بل طبقاً لمخطط الاستعمار لإحكام سيطرتها عليها. وهي تعلم جيداً بأن حقوقها القومية هي جزء من الحقوق الديمقراطية المهضومة للشعب العراقي باجمعه، ولا يمكن تحقيقها دون كفاح مشترك وثيق ضد الاستعمار وضد الإقطاع وضد السياسة الدكتاتورية التي تفرض الآن على البلاد." وبعد استعراض الأوضاع في

كردستان وعموم الوطن، اختتم بيانه بدعوة عامة : "إن حزبنا الشيوعي العراقي يدعو الجماهير الشعبية، عرباً وأكراداً وغيرهم، يدعو جميع القوى الديمقراطية والوطنية في كردستان وأنحاء البلاد الأخرى، شعباً وحكومة، إلى إرهاف يقظتها ضد دسائس الاستعمار وخططه والنظر للوضع الخطير الراهن ببعد نظر وبروح بعيدة عن الاستئثار، وعن المكاسب الخاصة الضيقة التي تعيق توحيد الصفوف والجهود على أسس تآخي ديمقراطي كفاحي وطيد، فمعالجة الأزمة الراهنة في كردستان لا تكون مثمرة ومضمونة العواقب دون إعادة نظر جذرية في سياسة الحكومة باتجاه العمل على تعبئة طاقات الشعب بكافة قومياته وطبقاته المعادية للاستعمار والإقطاع، وتطمين الحقوق والحريات الديمقراطية بما فيها الحقوق القومية للشعب الكردي ومعالجة مشاكله الاقتصادية والمعيشية، والعمل الجدي السريع لإرساء الحكم الوطني على أسس ديمقراطية حقة".

هذا البيان والدعوات من الحزب دلت على خطورة الأوضاع في العراق وانتباه الحزب لها، ولكن نشاط ومخططات الأعداء من الاستعماريين وعملائهم كانت تتسابق في استثمارها وتحريكها لخدمة مصالحها، من جهة، وتحاصر الحزب والقوى الوطنية في إيقافها، كما جرى أيام الثورة الأولى، من جهة أخرى. ولا شك أن شلل القيادة الحزبية

وتمكن الحكومة من تعميقه، وانسياق الحكومة إلى التحرك العسكري في كردستان، وزيادة الهوة بين الحركة الوطنية والديمقراطية نفسها والسلطة من جهة ثالثة، دفع في اتجاه الانقلاب على الجمهورية وشعاراتها الوطنية، وشوه من صورتها الأولى رغم كل إنجازاتها العامة. قال **سلام عادل** عن أحد ادوار الكتلة في القيادة الحزبية: ".. وكذلك دور الجو المتذبذب الاستسلامي الذي خلقته الكتلة الانتهازية في تأخير الحزب وإضعاف اهتمامه بموضوع الطوارئ وفي تأخير الحزب لأكثر من عام ونصف، وفي فرصة تاريخية سياسية مناسبة عن تبني سياسة صحيحة بشأن **القضية القومية الكردية** ..." (محضر اجتماع 2/ 9/ 1962). هذه العرقلة على جميع الصعد أنهكت الحركة الوطنية وفاقمت من التدهور العام في الكفاح الوطني ضد الاستعمار ومخططاته. وهو ما أشار إليه **عزيز محمد** في مطالعته في الاجتماع المذكور: "فلقد وقفت المعارضة ضد كثير من الإجراءات التي كان من الممكن أن تهيئ للحزب إمكانيات "للتراجع المنظم" ولعبت في إبقاء الحزب بدون أية خطة لمواجهة الحالات الخطرة التي تواجه الاستقلال الوطني ولم ينتبه أكثرية الرفاق إلى هذه المسألة الحيوية إلا بعد ضرب **عبد الكريم قاسم** وحتى بعد ذلك أثرت المعارضة في إيقاف التدابير التي اقترحها **الرفيق**

عمار بشأن استعداد الحزب لمثل هذه الحالات التي يتعرض فيها الاستقلال الوطني إلى خطر الضياع".

رغم كل هذه الأوضاع غادر **سلام عادل** العراق لحضور المؤتمر 22 للحزب الشيوعي السوفياتي في 28/ 8/ 1961 واكتشف في موسكو، حسب رواية المؤلفة في فصل كامل عن الزيارة، محاولات الكتلة الحزبية في القيادة إبقاءه هناك. وفي رسائل متبادلة تقررت عودته، وكانت الحرب في كردستان قد اشتعلت، فكتب رسالة في شهر أيار/مايو 1962 إلى الأحزاب الشيوعية يشرح فيها الوضع السياسي في العراق ويناشدهم التضامن والضغط على الزعيم قاسم لإيقاف هذه الحرب. محدداً فيها طبيعة الوضع والحرب وآثارها على الحركة الوطنية التحررية. وخلال تلك الفترة من خروجه من العراق إلى عودته في أواسط حزيران/يونيو 1962 كان الوضع السياسي في تدهور مستمر لمصلحة قوى الردة ولمعالجة هذه الأوضاع تحمل **سلام عادل** مسؤوليته في تطوير سياسة الحزب إزاءها، لاسيما تصعيد الكفاح ضد الدكتاتورية وإيقاف الحرب وإزالة التبعات السلبية التي ترتبت على عدم تنفيذ خطة الحزب عند بدء الحرب، كخطوة عملية نحو إنهاء الحكم الديكتاتوري وتحقيق الديمقراطية. فأصدر بياناً مؤرخاً في 8/ 7/ 1962، حدد فيه طبيعة الظروف والمرحلة والمهام العاجلة التي تتطلب التنفيذ والعمل عليها. مؤكداً "أن

الاستعمار وأعوانه الذين باغتتهم الثورة كزلزال صاعق سرعان ما أنزلوا جيوشهم في الأردن ولبنان وسرعان ما حركوا أساطيلهم لتهديد جمهوريتنا الفتية الباسلة ولكن انطلاق الشعب ويقظته وحزمه وتضامن الشعوب العربية وسائر شعوب العالم وبوجه خاص الدور الحاسم الذي نهض به نصير شعبنا الاتحاد السوفيتي كل ذلك أحبط محاولات التدخل العسكري الاستعماري" وبعد إشادة بالتطورات التي حصلت سلط الأضواء على التراجعات في الكثير منها، ليختتم بنداءات واضحة ومعبرة. "إن الذكرى الرابعة لثورتنا الوطنية الكبرى تمر في أعقد ظروف مرت عليها الثورة وأكثرها خطراً، جراء السياسة الدكتاتورية البوليسية الفردية التي تواصلها الحكومة منذ ثلاث سنوات. إننا ندعو جماهير الشعب وكل القوى الوطنية إلى اليقظة تجاه المخاطر التي تهدد البلاد بسبب تدهور سياسة الحكومة وبوجه خاص بسبب القمع الدموي الذي تمارسه في كردستان".

داخليا، شدد **سلام عادل** على محاسبة القيادة المتكتلة، وبعد نقدها الذاتي شهدت الفترة اللاحقة تصاعداً ملموساً في النشاط الفكري والإعلامي والفعاليات الجماهيرية. كتب **سلام عادل** إلى **عبد السلام الناصري** (عضو م. س) في 17/ 10/ 1962: "تلاحظون أننا نؤكد على رفع الوعي الطبقي والحزم المبدأي واليقظة الثورية وتنشيط النضال ضد

الأفكار والميول الانتهازية، ومن أجل تنشيط دور الحزب في الحركة العمالية ومن أجل تعميق الوعي والنضال الطبقي في الريف، وضد الميول المتذبذبة أو الذيلية من البرجوازية أو في الحركة الجماهيرية. إننا نعمل للجبهة الوطنية بداية من أساسها الصحيح، تحالف العمال والفلاحين، وفي مسائل الحزب الداخلية من أجل تعزيز الوحدة والضبط".

هذه الكلمات تشرح الإجراءات اللاحقة لها في الحزب والعمل الجماهيري ولكنها كما حدثت لم تكن كافية لصد الانهيار ووقف الانقلاب على الثورة ومنجزاتها. وفي فصول لاحقة تسهب المؤلفة في ما تسميه بـ"تطهير الحزب من الكتلة الانتهازية الاستسلامية" وتنشر نصوص النقد الذاتي التي قدمها أعضاء في الكتلة القيادية للحزب وأدوارهم في عرقلة عمل الحزب وتداعياته على الحركة الوطنية والوضع السياسي في البلاد. وفيها دروس حزبية وتاريخية ليست للحزب وحده. في رسالته المؤرخة في 28/ 8/ 1962 إلى الحزب كتب سلام عادل تفصيلاً حولها. "إن علينا أن ندين الرفاق (محمد، نهاد، ثامر، جندل) باعتبارهم قد كونوا كتلة معارضة استمرت فترة غير قصيرة من الزمن، منذ بدء الهجوم الرجعي البرجوازي على الحزب (حزيران/ يونيو 1959) حتى آذار/ مارس 1961. بالنسبة للرفيق جندل، وحتى الوقت الحاضر بالنسبة للرفاق الآخرين".

بعد كل هذا النضال المتواصل والقيادة الحزبية التي واجهت رياح التغيير والتكتل وتموجات المد الوطني والشعبي، حصل انقلاب شباط/فبراير 1963 وأصدر بيانه المرقم 13 لإبادة الشيوعيين. وكان الحزب قد أصدر العديد من الإنذارات والبيانات وتنبيه السلطة والجماهير إلى المخاطر المحدقة، وآخرها بيانه المؤرخ في 25/ 1/ 1963، أي قبل أسبوعين. وفي يوم الانقلاب 8/ 2/ 1963 خط سلام عادل بياناً تم توزيعه باليد وكانت لهجته قاسية وشديدة الانفعال، كما ذكر **بطاطو**، دعا فيه إلى حمل السلاح و"سحق المؤامرة الرجعية الامبريالية".. وأشار **بطاطو** إلى إحصائيات الإبادة والاعتقال، والى مقاومة شعبية للانقلاب وردود أفعال عربية ضده في الوقت الذي رحبت به العواصم الغربية وشركات النفط الأجنبية. ونقلت المؤلفة عن خطاب للرئيس **جمال عبد الناصر** في 11/ 8/ 1963 قوله: " لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتحد مع حكم فاشستي، حكم بنى وجوده على الإرهاب والدماء والسجون". (ص368).

في تقييمه كتب **سلام عادل ملاحظات أولية، أكد فيها ان الانقلاب بدأ فكرياً وسياسياً واقتصادياً منذ أواسط 1959 حينما تصرف قاسم** بما يشبه الاستسلام للقوى السوداء التي أخذت تسترجع المواقع واحداً بعد آخر، في الجيش والدولة

وفي الحياة الاقتصادية والمجتمع. وحمل المسؤولية في ما حصل إلى "القوى البرجوازية التي ساندت **قاسم** وتجاهلت نشاط العصابات الفاشية". وحلل طبيعة نظام **قاسم** والقوى السياسية التي لعبت دوراً في الوضع السياسي الداخلي وفي العزلة السياسية والتمهيد لانقلاب "الدكتاتورية السوداء الجديدة".

منتصف ليلة 19/ 2/ 1963 تمكن الحرس القومي من اعتقال **سلام عادل** في بيته السري بعد خيانة **هادي هاشم** (عضو قيادة الحزب) الذي أرشدهم إليه. وروت المؤلفة باقي القصة وصور التعذيب الوحشية التي لا توصف في الفصول الأخيرة من الكتاب. وقد أعلن صباح 7 آذار/مارس 1963 استشهاد **سلام عادل**. وكان في ملاحظاته الأخيرة متيقناً أن الشعب لا يمكن إفناؤه أو فل إرادته مهما استخدمت ضده أساليب الاعتقال والتشريد والتقتيل الجماعي.

في الجوانب الفكرية **لسلام عادل** جمعت المؤلفة في الجزءين عدداً من الكتابات والرسائل والتقارير التي سجلها أو نشرها باسم الحزب أو باسمه. وفيها تتوضح قدراته الفكرية وجهاديته إضافة إلى عمله الحزبي وكفاحه الذي اختصرناه فيما سبق. كما تبين مواقفه المبدئية من القضايا المبحوثة وفهمه الماركسي اللينيني، وتحليلاته لتطوراتها. وهي

ضمن المهام الواسعة التي كان يقوم بها ويقودها والتي تكشف عن إمكانات وقدرات كبيرة، أسهمت في تبوئه مكانته الحزبية والوطنية. في الجزء الأول وتحت عنوان وثائق ضمت: **البرجوازية الوطنية في العراق**، دراسة علمية لها وتقييم موضوعي لتطورها منذ نشوئها في العراق وولادة نقيضتها الطبقة العاملة. (ص ص 305 - 337 ج 1). و: **رد على مفاهيم برجوازية قومية تصفوية**، (ص 339) وهو مناقشة ورد على أفكار قيادات وكوادر حزبية كردية ومواقف من القضية القومية وفق المفهوم الماركسي اللينيني. و: **انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن.** (ص 391) و: **الإصلاح الزراعي**، كتب في عام 1961. (ص 453) و: **وجهة نضالنا في الريف**، كتب في كانون الأول/ ديسمبر 1962. (ص ص475 -489). أما في الجزء الثاني فأوردت رسائل ومداخلات وتقارير كتبها إلى اجتماعات اللجنة المركزية وموسعاتها، شاملة تحليله للتطورات السياسية والموقف الحزبي منها. وفي جل ما كتب عكس قدراته الفكرية والتنظيمية ودوره في قيادة الحزب وإسهاماته في الحركة الوطنية العراقية في تلك الظروف الصعبة والمهمات النضالية التي حفظت له مكانه في صفحات التاريخ السياسي للحزب والعراق.

الكتاب في جزءيه سطور تعريفية بنضال شيوعي عراقي، خدم العراق وشعبه وقدم حياته من أجل مبادئه ومواقفه ونضاله الوطني، بقيت صورته وصفحات تاريخه ونُسي القتلة والجلادون الذين اقترفوا جريمة تصفيته بطريقة بشعة رويت في الكتاب.

زكي خيري
وصدى السنين في ذاكرته الشيوعية

عاش **زكي خيري** (1911- 1995) من بدايات القرن العشرين الماضي إلى نهاياته، فأصبح شاهداً عليه ومطلعاً على كثير مما تمخضت فيه من تطورات وتحولات تاريخية، توقف عندها، متمعناً وممارساً، في التحليل والقراءة الواعية والمواقف التقدمية. ولهذا فما كتبه في مذكراته شهادة تاريخية وموثقة منه على مجريات القرن وصلتها به شخصياً وبتطورات الأحداث المحيطة به سياسياً. وقد كتب في تقديم مذكراته، إن العديد من الرفاق والأصدقاء حثوه على كتابتها وأبى إحالة نفسه على التقاعد دون الثمانين، ولكن زوجته **سعاد مشعل**، شريكة الحياة وزميلة النضال، لم تكف يوماً واحداً عن تذكيره بواجبه نحو الجيل الطالع بتذكيره بتجارب (الآباء المؤسسين) الذين أمسوا أجداداً. وورطه فيها أيضاً **ظهير عبد الصمد** العضو السابق في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري. مشجعين إياه على الإقدام على كتابة ذكرياته التي استندت إلى ذاكرته التي تشيخ مع العمر. كما اعترف،

"شرعت في الشام منذ منتصف عام 1988 بكتابة هذه الذكريات بلا مراجع ولا أسانيد ولا وثائق ولا يوميات. وخلال السنوات الست المنصرمة أنجزت **سعاد** أم ولدي تبييض المسودات مرتين أو ثلاث. ولولاها لما خرج هذا الكتاب بالصورة التي يراها القارئ بفضل ما بذلته هي من تشذيب وتهذيب وتبويب". كتب ذلك في استكهولم في 25/ 12/ 1994 وكله ثقة أن مذكراته ستجد طريقها إلى القراء يوماً ما. وقد حصل ذلك بجهود شريكة حياته بعد رحيله دون أن يراها هو بنفسه. فقدمته بنبذة عن حياته. تحت عنوان المناضل الشيوعي والمفكر والكاتب الشيوعي **زكي خيري**.

اختصرت **سعاد خيري** في نقاط متسلسلة حياة المناضل والمفكر، ملخصة لما سرد فيها في فصول الكتاب. فأشارت إلى أنه ساهم في الحركة الوطنية منذ صباه، وشارك في أول مظاهرة في بغداد دفاعاً عن حرية الرأي عام 1927 وفي أول مظاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني وضد الصهيونية في 8 شباط/فبراير 1928. ودعم الحركة العمالية النقابية منذ نشوئها وأسهم عضواً في أول لجنة مركزية للحزب وفي تحرير أول جريدة مركزية باسم **كفاح الشعب** عام 1935. وساهم في تنظيم خلايا شيوعية داخل الجيش واعتقل بسببها وعمل بعد خروجه من السجن صحفياً محترفاً في جريدتي الأهالي للجادرجي والرأي العام للجواهري. وعمل مترجماً في مركز

الإعلام البريطاني ثم الأمريكي في فترة الهجوم الفاشي على الاتحاد السوفياتي. وساهم في تأسيس اللجنة الوطنية الثورية واعتقل عام 1946 أثناء إلقائه خطاباً في حشد جماهيري في الكاظمية وحكم عليه بالسجن سنتين في سجن الكوت. والتقى هناك الرفيق **فهد** وبعد خروجه عمل في جريدة الأساس طوال فترة الوثبة. واعتقل في19 شباط/فبراير 1949 وحكم عليه سبع سنوات تضاعفت بسبب محاولات الهروب الفاشلة وقراءة الأناشيد الثورية وأسقطت عنه الجنسية العراقية مع مجموعة من المناضلين البارزين مثل **كامل قزانجي وتوفيق منير**. وترجم في السجن العديد من الكتب الماركسية وألف كراسه (**ربع قرن من تاريخ الحركة النقابية في العراق**) عام 1954. وبعد تسع سنوات ونصف السنة أطلقت ثورة 14 تموز/يوليو 1958 سراحه ليعود عضواً في اللجنة المركزية للحزب وعضواً في تحرير جريدة الحزب المركزية (**اتحاد الشعب**) . ووضع أسس سياسة الحزب في القضية الزراعية في كراسه (**مسائل في الإصلاح الزراعي**) وساهم في صوغ مشروع الحكم الذاتي لكردستان عام 1961 لحل القضية الكردية حلاً ديمقراطياً وسلمياً. وفي تموز/يوليو 1961 تزوج المناضلة **سعاد**. وهرب إلى الخارج أواخر عام 1964 وأصبح ممثل الحزب في **مجلة قضايا السلم والاشتراكية** وعضو هيئة تحريرها. وعاد إلى الوطن صيف عام 1966 سراً وأصدر

وثيقة تقييم سياسة الحزب منذ عام 1958 حتى 1967 التي أقرها الكونفرنس الحزبي الثالث المنعقد في خريف 1967. وضع مشروعاً للجبهة الوطنية ومشروع برنامج الحزب للمؤتمر الثاني الذي انعقد عام 1970. شارك في مباحثات الجبهة مع حزب البعث ولم يوقع ميثاقها. خرج من العراق عام 1978 ولم يعد. وفي الخارج ساهم في العديد من الفعاليات الحزبية ومثل الحزب في الكثير من المناسبات. أحب الإقامة في دمشق وعاش فيها ثماني سنوات وفارقها إلى براغ ومنها إلى السويد حتى غيابه الأخير. بدأ كتابة مذكراته في سوريا عام 1987 (وهو يذكر، كما نقلنا عنه من تقديمه، بعد تاريخ سعاد هذا بعام) وأتم الجزء الأول منها في براغ عام 1991 ولم يتحمس لكتابة الجزء الثاني ومشاريع أخرى لصعوبات النشر. واختتمت: "أي ينبوع من المعرفة.. وأية قابلية للحديث والإقناع وأي أسلوب سلس وممتع في الكتابة ذو نكهة متميزة رائعة". وفي مقدمة للكتاب أسهبت في وصف خصاله وهي الجديرة بذلك لقربها منه ومعرفتها به. وقد سجلت أبرز ما لديه من قدرات وإمكانات وإسهامات، فكرية وسياسية ونضالية. وكان زكي خيري مثالاً حقيقياً لكل ما ذكرته عنه.

سجل **زكي خيري** مذكراته على شاكلة فصول رقمها بـ 78 فصلاً، وبأسلوبه الأدبي الفني استعاد فيها أيامه التي عاشها،

بمرها وحلوها، منذ ولادته حتى أيامه الأخيرة. معنوناً كل فصل بما يتضمنه، مبتدئاً بالفصل الأول: مولدي، وكاتباً فيه: "ولدت يوم 12 نيسان/أبريل 1911 (سنة الثلجة) بعد شتاء فريد في تاريخ بغداد المعاصر إذ هطل الثلج كثيفاً وبلغ حد الركبتين. ولدت في دار كانت في الساحة المجاورة لجامع المرادية مقابل قلعة الدفاع". ويتحدث بعدها عن والديه. "أما أمي (**زينب محمد**) فهي من بدرة (بدرايا) على الحدود الشرقية من الأكراد الجنوبيين (الفيلية). كان أبي (**خيري سعيد**) مأمور مخفر الدرك (الجندرمة) في البلدة وقد رآها وهي لا تزال صبية تلعب مع أترابها. فشغف بها وخطبها من أهلها بعد أن دفع لهم كل ما لديه من مال مهراً لها". ووصف مولده وطفولته وصفاً سينمائياً يقرب ويبعد زوايا ذاكرته فيه، مسجلاً أحوال تلك الأيام منتقلاً بين العاصمة بغداد والمدن الأخرى التي تنقل إليها حسب عمل والده والتزاماته. وفي وصفه تقرأ أحوال العراق في تلك الفترات التي مرت عليه، بذاكرة خصبة وأسلوب أدبي شيق، وكأنه يرويها حكايات لأحفاده.

في فصل ثورة العشرين وضعها مولد العراق المعاصر. ودورها في بناء الدولة وسماعه لأول مرة لكلمة **البولشفيك**، التي وردت إثر الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش الأحمر على الإمبراطورية البريطانية وحلفائها وتبدد الأسطورة

القائلة بأن من المستحيل خروج الانكليز من أرض دخلوها. ولم يعرف معنى كلمة **بولشفيك**، "بالطبع لم نعرف كنه الكلمة، جوهرها الداخلي بل التقطنا صورتها الحسية: مواكب بشرية لا نهاية لها تحمل غابة تغطي الأفق من الأعلام الحمراء والرايات. تواصل السير كتيار جارف ما من شيء يصدها. كانت هذه الصورة الذهنية التي تصورها ثوار 1920 للبلشفية دلالة كافية على إدراكهم للطابع الشعبي للبلشفية ومنهجيتها وروحها الثوري التي لا تقهر." ص35. وأسهب في تفاصيل الثورة ودروسها. كما واصل في الفصول التالية الربط بينه وبين أحداث وطنه. فبين حالة عائلته الفقيرة والراكضة وراء الرزق وبين ممارسات المستعمر والحكم وأدواته. "في يوم 22/ 8/ 1922 ونحن في الفلك سمعنا دوي القنابل المتفجرة يلقيها سلاح الطيران البريطاني على منازل آل فتلة وهي إحدى القبائل الكبيرة التي ثارت ضد الاحتلال البريطاني وأبلت بلاءً حسناً خلال الثورة الوطنية 1920". وهذه الإشارة الثانية إلى عدوان المستعمرين، فقد ذكر إصابته بشظية من قصف طائرات الانكليز وهو في الرابعة من عمره في الحبانية. وكان الانكليز قد سحبوا من العراق معظم قواتهم البرية واحتفظوا بسرب من الطائرات لقمع تطلعات الشعب العراقي، عندما تعجز القوات المسلحة للدولة العراقية الخاضعة للانتداب البريطاني. (ص41). وعند زيارة أخرى

خاطفة لبغداد شاهد وسمع تمرير المعاهدة الاستعمارية والمظاهرات الوطنية في جانب الكرخ حيث انعقد **المجلس التأسيسي** لإبرامها. وكانت هذه المشاهدات تختزن في ذاكرة الصبي الذي عاد إلى بغداد للدراسة في مرحلة جديدة، مراقباً نشاط الأحزاب السياسية والعلاقة بالمفاوضات الجارية بين العراق وبريطانيا لتجديد المعاهدة وتعديلها." قررنا نحن الزملاء الثلاثة: لبيب الألوسي، وحسين فوزي، وأنا، أن ننتمي إلى الحزب الوطني برئاسة الزعيم **محمد جعفر جلبي أبو التمن** (....) مشينا إلى مقر الحزب وكان في رأس القرية في دار بغدادية فريدة الطراز ذات ثلاثة طوابق (....)، وبعد تبادل السلام بدأنا الحديث رأساً بلا مقدمات ولا مواربات: نريد الانتساب للحزب لنعمل في صفوفه لتحرير العراق. وبعد أن فرغنا من حديثنا تولى الرد الزعيم **أبو التمن** بحديث ناعم مخملي متأن يتساقط على السمع كنقاط الماء الصافي، يقطر نقطة نقطة على مهل فلا يخدش الأذن ولا يثير أحداً ولا يستجيب لشيء. والخلاصة هي أننا ما دمنا لا نزال طلاباً فما علينا إلا أن ننصرف كلياً للدراسة حتى نتخرج وعندئذ فقط يمكننا أن نتعاطى السياسة. وفي الحقيقة لم يكن هذا ما قاله حرفياً بل ما استشفيناه من حديثه استشفافاً. أما حديثه فكان حديثاً أبوياً طويلاً ممطوطاً يدور حول القضية ولا يدخلها. حرنا فيما عسانا أن نقول فاستأذنا بالخروج (...) كنا لا نزال

في السادسة عشر وقد غدونا من رجال السياسة كما كنا نعتقد". (ص55). وكان وهو يوثق سنواته الأولى يعود إلى تطلعه السياسي وبدايات وعيه بما ألحقه المستعمر من سياسات عدوانية واضحة ضد شعبه ووطنه. أثرت فيه ودفعته إلى البحث عن سبل العمل من أجل تخليص شعبه ووطنه من الاستعمار والاستثمار الأجنبي. فتحول إلى مكتبة مجاورة لمدرسته الثانوية المركزية وشرع مع شلة من زملائه في البحث فيها. "فوجدنا كتاباً عنوانه "**مذكرات لينين**" مطبوعاً في مصر. وبعد أن قرأناه تبين أنه لا يمت بصلة إلى العنوان وأنه كتاب نظري صعب علينا فهمه والترجمة العربية حرفية ولم تكن سلسة على أي حال. وقد علمنا فيما بعد أنه كتاب لينين "الدولة والثورة" وعثرنا على كتاب محمد عبد الله عنان، وهو مصري، أيضاً عنوانه إن لم تخني الذاكرة "الجمعيات السرية والحركات الهدامة" وأعجبنا بخاصة بما سرده عن زعماء اليعاقبة الفرنسيين، أبطال الثورة الفرنسية، ومنهم (مارا) داعية الإرهاب الثوري ضد أعداء الثورة، الذي قتلته الإرهابية (شارلوت كورادب) وهو غاطس حتى ذقنه في حوض الماء (البانيو) إذ كان لا يستطيع العمل خارج الماء لابتلائه بمرض جلدي أصابه منذ عهد النشاط الثوري السري عندما كان مطارداً ولا يجد ملجأً أو مخبأً آمناً إلا في مجاري المياه القذرة تحت الأرض في أنفاق باريس "كاتاكوم" وغدا

"مارا" بطلاً من أبطالنا الأسطوريين، وحياته نبراساً لنا في الصبر والتحمل الثوري وركوب الأهوال. وصرنا من أنصار الإرهاب الثوري في الحقيقة جيشاً "يعقوبياً"." (ص 57). ولقلة الكتب والرجال القادرين على التنظيم التجأ مع أقرانه إلى تعلم اللغة الانجليزية وتثقيف أنفسهم ذاتياً. فكانت تلك بدايات القراءة والوعي والانتماء إلى صفوف الفقراء والمعدمين من الشغيلة والفلاحين. وفي بغداد إضافة إلى وجوده في المدرسة الثانوية المركزية انتمى إلى نادي التضامن، حيث تتوافر الصحف العربية، وكان من أبرزها "الشورى" الفلسطينية التي صدرت في القاهرة و"فتى العرب" الدمشقية. وتوسع وعيه الوطني والقومي بعد اطلاعه على الحياة السياسية في البلاد العربية. وهنا في الفصل 11 الذي عنونه بالمعركة الأولى في سبيل فلسطين شرح تطورات الوعي لديه وجيله عربياً والمشاركة في المظاهرات، واعتبر مظاهرة فلسطين الأولى في تاريخ العراق، حيث عمل مع زملائه الطلاب **حسين جميل وتوفيق وهبي وجلال الخطاط** وغيرهم على حشد الطلاب لها، وهي ضد زيارة الصهيوني **الفرد موند** لبغداد وكتب عنها: "كانت المظاهرة علامة واضحة على الوطنية العربية الجديدة المناهضة للامبريالية والصهيونية. فقد دعا فيصل الأول موند آملاً بأن يستثمر رؤوس الأموال البريطانية والصهيونية في الزراعة في العراق

ولم يدر بخلده أنه سيفاجأ بمثل هذا الرفض من لدن الشعب. فهل من المعقول أنهم يرفضون أن توظف الملايين من الباونات الإسترلينية لإعمار بلادهم الخربة؟!. هكذا فكر الملك ولكن الشعب العراقي كان دائماً يباغتهم بوعيه الوطني الثوري. لم تعد الوطنية العربية حكراً لحفنة من الملوك والمشايخ أو لحفنة من المثقفين ولاسيما الضباط بل غدت ملكاً للجماهير. لقد رفعت المظاهرة اهتمام الشعب العراقي بمصائر الشعب العربي ولاسيما الفلسطيني. أما الطبقات الحاكمة وبإيعاز من المندوب السامي البريطاني فقد اعتقلت قادة التظاهرة وطردت بعضهم من مدارسهم وألغت إجازة نادي التضامن وأبعدت رئيسه المدرس يوسف زينل إلى عانة. وهللت البلاد العربية للعراق وشعبه لنهضته لنصرة الشعب الفلسطيني." (ص63).

في الفصل 12 بواكير التنظيم، قدم **زكي خيري** صورة البدايات التنظيمية. فقد غدا وأقرانه رجالاً بعد التظاهرة، "وأخذنا نفكر بالتنظيم وقد اتفقنا، أنا و**عبد الوهاب محمود** (من البصرة) و**أحمد الشيخ الطيف** (من العمارة) على تأسيس جمعية سرية تآمرية. ولم يخطر على بالنا تأسيس تنظيم علني أو شرعي أو العمل بين الجماهير". وانتهت الجمعية دون أن تنشط، و"انتسبت إلى جمعية أخرى وقد تألفت من رجال كان كلهم أكبر مني سناً وكان من بينهم **حسين الرحال وعزيز**

الأعرجي والضابط شاكر محمود شكري. وقد تأسست في أواخر العشرينات كرد فعل على حوادث حائط المبكى وهبة البراق في القدس للكفاح ضد الصهيونية". ولكنها أيضاً لم تفعل. فبقي بدون تنظيم "حتى تأسيس **(لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار)** التي انتميت إليها في آذار/مارس 1935 وأصبح اسمها (الحزب الشيوعي العراقي) في تموز/يوليو من نفس السنة." (ص64). وانتقل في الفصل 17 إلى الحديث عن مخاض ميلاد الطليعة الجديد، وهو يشهد على تلك البدايات الأولى للميلاد وضرورته التاريخية. متحدثاً عن دور العمال في وعي مصالحهم الطبقية والوطنية في مشاركتهم الإضرابية وتعزيز النقابات وتنشيط الحركة العمالية سياسياً. بدأه "في ذلك الحين وبالضبط في تموز 1931 انتشر الإضراب العام في جميع المدن والقصبات احتجاجاً على رفع الرسوم المحلية لسد العجز في ميزانية الدولة (....) استمر الإضراب أسبوعين كاملين (5-19 تموز/يوليو 1931) وكانت مطالبه لصالح الحرفيين والتجار ولم يكن للعمال فيها مطالب خاصة بهم، ومع ذلك فقد كانوا هم الطليعة في الشارع والمنظم. بيد أنهم كانوا ينتظرون القيادة من الأحزاب البرجوازية الوطنية. وانتهى الإضراب بحل وسط، بتخفيف مقدار الزيادة التي فرضت على الرسوم والضرائب المحلية وليس إلغاؤها بالمرة." (ص73). وأضاف إلى الإضرابات

صدور جريدة "الأهالي" وكراس "الشعبية" والرد عليه "الشعبية في الميزان" ونشاط النخبة المثقفة التي كانت السلطات والسفارة البريطانية تعتبرانها شيوعية وتعملان على قمعها بشتى السبل. مما "أوحت تجربة "الأهالي" للثوريين أن الطريق إلى الشرعية العلنية، لم تكن كافية كوسيلة للنضال الوطني الديمقراطي. وأن اللاشرعية أو التنظيم السري والنشر السري كانا ضروريين ومكملين للوسائل الشرعية العلنية. وأن الاثنين يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب وأن يتضافرا على تحقيق الأهداف. وفي تلك الفترة من عام 1932 ظهرت على جدران الناصرية بعض الملصقات بتوقيع "عامل شيوعي" وهو **فهد**، (القائد الشيوعي يوسف سلمان يوسف) كما يروي **حنا بطاطو** ومن اللافت للنظر ظهور شعار "يحيا اتحاد الجمهوريات العمالية الفلاحية العربية" على تلك الملصقات". ص77. وكانت هذه إرهاصات وبذور الشيوعية في العراق، وهي موضوع فصله العشرين، الذي عنونه "بذور الشيوعية تنبت في التربة العراقية". "ولكن الحركة الشيوعية كانت قد بدأت إذ نبتت جذورها في أرض العراق الخصبة وكان من المحال وقفها من جانب أي مخرب أو وكيل مندس. واستمر النشاط والبحث عن رأس الخيط للبدء بالنشاط الشيوعي المنظم في بغداد التي تخلفت سنتين عن البصرة والناصرية ومدن جنوبية أخرى حيث كان يعمل **فهد** ورفاقه في النضال،

سامي نادر وظافر صالح وزكريا دوكا وغيرهم". ص79. وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1934 تم اعتقال عشرات الشيوعيين وأكثرهم من الجنوب وبعضهم من بغداد وزجوا في سجن الناصرية، ولم يجد الحاكم نصاً في قانون العقوبات صريحاً يحرم الشيوعية فكانت تلك أول محاكمة للشيوعيين في العراق. وهكذا سمع الشعب بمخاض الحزب الجديد- الحزب الشيوعي العراقي، حسب رأيه. وبعد حل الأحزاب البرجوازية لنفسها بسبب استنفاد الغرض من تأسيسها، فكان لا بد من حزب سياسي يفتح أبوابه للجماهير. وكانت الثغرة في بغداد، إلا أنه في أواسط 1934 عاد من الدراسة في الاتحاد السوفياتي الخياط **عاصم فليح** وبدأ بتنظيم الخلايا الشيوعية في حي باب الشيخ، وكان الشيوعيان **يوسف إسماعيل ونوري روفائيل** يعملان بين المثقفين وقد وحدا جهودهما مع **عاصم فليح** لبناء منظمة الحزب في بغداد، ولتكون مركز الحزب في العراق. وقد اختار **عاصم فليح** اسم (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار) عنوانا لأول تنظيم شيوعي مركزي. وصدر أول بيان في آذار/مارس 1935 بتوقيعها تضامناً مع انتفاضة الفرات الأوسط المسلحة. وغيّر **عاصم فليح** رأيه عشية المؤتمر العالمي السابع للأممية الشيوعية في أواخر تموز/يوليو من العام نفسه، إذ حضره مراقباً، فأصدر أول جريدة للحزب "**كفاح الشعب**" وكانت

أول جريدة تصدر سراً في العراق، وكان زكي خيري قد انضم إلى الحزب قبلها وشارك في تحريرها، ولم يكن مع إطلاق اسم الحزب ولسانه لأنه برأيه سابق لأوانه، (وهناك رأي آخر في الصراع بين فهد وفليح حول التسمية في وثائق أخرى).. وشرح كيفية انتسابه إلى الحزب ونقاشاته مع فليح ورفاقه. "وبعد لقاء آخر مع **عاصم فليح** ومناقشة حادة بيننا أخذت أعيد النظر في موقفي المتطرف ولاسيما بعد أن قرأت تقرير **ديمتروف** عن الفاشية والحرب في المؤتمر السابع للأممية الشيوعية - **الكومنترن** (تموز/يوليو 1935) ولا أعني مطلقاً أنني تخلصت من التشدد مرة وإلى الأبد. وسرعان ما ضموني إلى الهيئة القيادية وأنا في الرابعة والعشرين من العمر في ربيع 1935." ص82.

في الفصول التالية شرح كيف تعلم اللغة الانجليزية وقرأ المجلات الماركسية ونشر مقالات عن الإضرابات والعمل التنظيمي للحزب في الظروف السرية. ومن ثم تكليفه قيادة الحزب في غياب فليح في اجتماع حضره **عبد الرحمن داوود** المسؤول عن أدوات الطباعة **وموسى حبيب**. وتتواصل قصة الاعتقالات للشيوعيين وصفحات السجون والاندساس في العمل السياسي وشرح بدايات العمل الحزبي وأساليبه وطرقه العلنية في العمل السري، واليقظة والسذاجة وقلة الخبرة والتجربة وغيرها من قواعد العمل الحزبي والسياسي في تلك

الأيام. ومنها العمل في الجيش، وبتنظيم أولى الخلايا العسكرية للحزب في فوج المخابرة في الفرقة الأولى في صيف 1935. ورغم حداثة ولادته شارك الحزب في مؤتمرات دولية عقدت خارج العراق. فحضر **قاسم حسن** المؤتمر العالمي السابع للأممية الشيوعية في موسكو، وحضر **فهد** مؤتمر الاتحاد العالمي للنقابات العمالية الحمراء في موسكو أيضاً، عام 1935. ومن التوجه للعمل والبحث عن البروليتاريا، والتعرض للسجون والاندساس المنظم من قبل الأعداء للحزب والشيوعية ومن السلطات الحاكمة وأسيادها. "كان نظام السجون قاسياً جداً وحتى شرب الشاي كان محرماً فضلاً عن التدخين ومستوى التغذية واطئاً. وتتواطأ إدارة السجون مع المقاول المتعهد بتجهيز طعام السجناء لتسرق أكثر من نصف أرزاقهم. ومع ذلك كان مستوى معيشتنا في السجون العراقية أفضل من مستوى معيشة أكثرية الفلاحين وبالتالي أكثرية سكان العراق. (...) وكانت قراءة الصحف ممنوعة على السجناء ولم تكن الإذاعة دخلت إليها وكنا نسمع في الزيارات النادرة بعض الأخبار. وقد سمعنا مثلاً صدور قانون العمل رقم 72 لسنة 1936 وكان صدوره يعود من جهة لنشاط الحركة العمالية النقابية وظهور الحزب الشيوعي، ومن جهة أخرى مجاراة روح العصر وميل الطبقة الحاكمة للظهور بمظهر حضاري، وتلبية توصيات مكتب

العمل الدولي لدى عصبة الأمم المتحدة التي صار العراق عضواً فيها منذ أربع سنوات، وأخيراً لاحتواء الحركة العمالية الفتية وسد الطريق أمام التيار الشيوعي كما كانوا يظنون" ص99.

وكالعادة الجارية التي تميز بها كل الشيوعيين، أو في الحقيقة ابتلوا بها، السجون والاعتقالات. فيخرج المناضل من سجن ليعود إلى العمل السياسي والصحفي، بالنسبة إلى **زكي خيري**، ويعتقل من جديد. "اعتقلت للمرة الثانية في تشرين الثاني/نوفمبر 1937 بعد كبس التنظيم الشيوعي في الجيش واعتقال كوادره من جنود وضباط صف على يد الاستخبارات العسكرية التي كانت خططها أشد حبكاً من خطط الشرطة "التحقيقات الجنائية"، فبعد نجاح انقلاب **بكر صدقي** وصدور الصحافة الديمقراطية تصاعد نشاط الشيوعيين في فوجي المخابرات "اللاسلكي" الأول والثاني في بغداد وكركوك وانتشر النشاط في الأفواج والكتائب الأخرى وجرى هذا النشاط المتصاعد على حساب سرية العمل والصيانة والضبط الحزبي والدقة في التنظيم وهي الأمور الأساسية في منظمات الحزب ولاسيما منظمات الجيش". "وعلى أثر محاكمتنا صدرت المادة القانونية التي تنص على الحكم بالإعدام حتى الموت على من يروج الشيوعية في صفوف القوات المسلحة وقد رفضت محكمة التمييز أن يكون للمادة

أثر رجعي أي رفضت تطبيقها بحقنا" ص109. وأمضى فترة محكوميته في سجن الأشغال الشاقة في كركوك. وفي تلك الفترة عاد **فهد** بعد غياب ثلاث سنوات وعمل على لَمِّ شعث الحزب وأصدر جريدة سرية باسم "الشرارة" عام 1938 بمساعدة **عبد الله مسعود القريني**. ومن السجن إلى مدينة عانة تحت مراقبة الشرطة، وكانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت وظل هو ويوسف متى هناك دون أن يزورهما أحد لمعرفة الأخبار. ولم يتصل بهما الحزب، "فقد بقينا صامدين في السجن والمنفى حتى آخر يوم. ولم يعف عنا طيلة المدة رغم تتابع الحكومات والانقلابات. فتولد لدينا شعور بالغبن وهو أخطر مرض يصيب الثوريين الشباب. وقد أقعدنا هذا الشعور فتقاعسنا بدورنا عن بذل المحاولات للاتصال بالحزب والعودة إليه حال انتهاء مدة المحكومية. تحت وطأة كبرياء المثقفين!. وبقيت أنا هكذا ضائعاً حتى سجنت للمرة الثالثة عام 1947 حيث التقيت **فهد** في سجن الكوت في أواسط سنة 1947 حتى وثبة كانون الثاني/يناير 1948." ص118. في تلك الفترة قبل اعتقاله اشتغل بوظيفة مترجم في مكتب العلاقات العامة للقنصلية البريطانية في البصرة لتزويد الصحف المحلية بترجمة عربية لبرقيات رويتر وبصور جبهات القتال للحلفاء. وقد جرّت عليه هذه الوظيفة الكثير من اللغط والتشويه بعد ذلك. وفي أواخر عام 1943 تركها ووجد مثلها

في مكتب الإعلام الحربي الأمريكي في بغداد، وعند فصله عاد إلى العمل بمساعدة من شريف الشيخ في الصحافة الحزبية الوطنية.

أفرد فصلاً عنونه: مع **فهد** في محبسه أورد فيه استقبال **فهد** له في سجن الكوت، وكيفية الحياة داخل السجن. "لم يفرط **فهد** بالمناضلين في السجن بل كرس جهوده على العناية بمعيشتهم من مأكل وملبس ومنام ونظافة ورياضة وترويح عن النفس وقد عني بتثقيفهم، ليس سياسياً فقط ولا بمبادئ الشيوعية العلمية وحدها، بل بثقافتهم المدرسية وباللغة العربية والانكليزية وبالأدب العربي خصوصاً". وكان **فهد** يتحمل المناقشات الشفوية الحادة بين الرفاق بطول بال ولكن لم يرد له على بال نشر أي رأي مخالف في صحافة الحزب". "ولم يكن يعاصر **فهد** سياسي آخر أكثر إلماماً بأحوال العراق كما أنه كان واسع الاطلاع بشؤون البلدان المجاورة." ص130. "وكان حديث **فهد** أخاذاً آسراً ومعرفته موسوعية، وكان ملماً بالفولكلور وبحياة الجماهير، متضلعاً بالشيوعية العلمية ولاسيما في الاقتصاد السياسي". "ومن اهتمامات فهد العناية بمطبخ السجناء السياسيين فكان يجري التحسينات على طريقة التحضير والإفادة من المواد ..الإضافية". ص131." وفي مقدمة اهتمامات **فهد** العناية بمزاج السجناء والترفيه عنهم.

ففي كل أسبوع كان يقيم حفلة واحدة على الأقل للغناء والموسيقى والسمر فضلاً عن الحفلات السياسية بالمناسبات التاريخية. كان **فهد** إنساناً وإنسانياً من كل الأوجه بقدر ما كان ثورياً صارماً، وكانت لديه نقطة ضعف للشطرنج يمضي ساعات طويلة يلعبه وهمه الأول التدريب وليس الفوز". ولم يتوقف عند صفحة واحدة في وصف **فهد** بل يستمر في صفحة 136: "كان **فهد** يربي حب التضحية ونكران الذات بقوة المثل يضربه بنفسه سواء في العمل المتواصل على حساب أوقات الفراغ والراحة أو في التقشف في المعيشة واللباس. كان **فهد** خارج السجن يعيش في مساكن شعبية من أرخص فئات بدل الإيجار ويشتري أرخص أنواع الخضروات كالحمقاء (البربين) والقرع الأحمر ويعمل منها سلطة. وهكذا استطاع بناء الحزب عندما كانت موارده شحيحة جداً لقلة عدد أعضائه وفقرهم". ومن ثم تطرق إلى مساعديه وخصالهم، مثل **زكي بسيم وحسين الشبيبي وسالم عبيد النعمان ومحمد حسين أبو العيس وحمزة سلمان وساسون دلال.** (ص132-134). وفي كل صفحة استعاد ملامح وملاحم تلك البطولات العراقية. ليعود من جديد إلى مذكراته الشخصية. وبعد خروجه من السجن لم يفاتح فهد بالعودة إلى صفوف الحزب إذ كان عضواً في "**اللجنة الوطنية الثورية**"

وتمكن من إقناع أعضائها بطلب الانتماء إلى الحزب وتم له ذلك. وترافق مع خروجه أيام وثبة كانون الثاني/يناير 1948، وسكنه مع **مالك سيف ويهودا صديق** بضعة أيام وانتقاله إلى بيوت حزبية أخرى، والعمل في صحيفة "الأساس" التي حصل على امتيازها **شريف الشيخ** ووضعها تحت تصرف الحزب. وعلم من إفادة **مالك سيف** أن **فهد** أوصى بمنحه العضوية والآخرين من زملائه في اللجنة وأن يكلف الكتابة وليس التنظيم، وفعلاً لم يمارسه. وبعد الوثبة اشتدت الحملات البوليسية وتمكنت من اعتقال القيادات الشيوعية وإسقاطها، **كمالك سيف ويهودا صديق** وانفراطها. ولم يجد غير الهرب والتنقل بين بيوت حزبية متعددة، منها بيت اللبناني **سليم الراسي** بواسطة **يوسف متي**. "كان البيت في مجموعة نمطية من اللبن غير المشوي للاجئين الأرمن إلى العراق بعد الحرب العالمية الأولى وعلى نحو 300 متر من ساحة التحرير فأعطاني غرفة خاصة وأحاطتني العائلة بكل رعاية وهي من العوائل التي لم أوفها من عرفان الجميل. وقد روعت بسببي عندما داهمتني الشرطة في بيتها بعد أسابيع وفي هذا البيت عانيت من عذاب الانقطاع الاضطراري من الحزب والعذاب الأشد إيلاماً بما لا يقاس حين سمعت في هذا البيت بالذات الأنباء الكارثية بتنفيذ أحكام الإعدام بالرفاق

الخالدين يوسف سلمان يوسف (فهد) وحسين الشبيبي (صارم) وزكي بسيم (حازم) في 14 و15/ 2/ 1949. وآلمني أيضاً فيما بعد دهراً طويلاً جمود الانتظار في ذلك البيت زهاء شهرين ونصف دون جدوى. وقد تركني المراسل الحزبي بعد أن زارني في تلك الدار أنتظر حتى جاء بالشرطة لتلقي القبض علي بعد تنفيذ أحكام الإعدام بالرفاق الأماجد بأسبوع". ص 146. وللمرة الرابعة عاد إلى السجن، وهذه المرة رغم السجن يتفتح قلب السجين حين رأى رفيقاته السجينات. "وقد تميزت من بينهن، **سعدية مشعل** بمحياها الأصهب وحيويتها الفاتنة فأصابت قلبي دون أن تدري، في ذلك اليوم بوابل من نبالها لا براء منه." ص149. وفي سجون متعددة "أجريت لي **ولشريف الشيخ** محاكمة واحدة لوحدنا. وكانت الاتهامات المسندة إلينا واحدة ومسؤوليتنا واحدة، سوى أنني تخفيت في بيت حزبي منذ خروجي من السجن ولكن المجلس العسكري حكم عليه بالحبس سنتين ومثلها تحت الرقابة وعلي بالحبس سبع سنوات زائداً المراقبة سنتين وقد زيدت فيما بعد بسبب محاولة الهروب من السجن مرتين لأقضي في السجن تسع سنوات وسبعة اشهر، أي حتى ثورة 14 تموز/يوليو 1958 التي أنقذتني من الإبعاد إلى تركيا مع إسقاط جنسيتي لأعيش بقية عمري أسيراً في سجن

المعاهدة المركزية "سنتو" كما كان أطراف حلف بغداد يقدرون ولكن الأقدار ضحكت عليهم". ص150. خلال تلك السنوات مر **زكي خيري** بتجارب السجون واختباراتها وتنوع القيادات الحزبية وعلاقاتها به والحزب والحركة السياسية، وسجل عنها ما بقي في ذاكرته عنها.

في الفصل 50 انتقل إلى ثورة 14 تموز/يوليو وكيف سمع خبرها وهو في السجن، وختمه بلفتات قلبه. "جاءتني أختي **زكية** بعريضة **عمومة مصري وسعدية مشعل** لأنقلها إلى رئيس حكومة الثورة عن طريق **وصفي طاهر** ليبقين في وطنهن ومن ثم زرتهن في السجن لأطمئنهن باحتمال تلبية طلبهن. وكان قلبي متحيزاً لواحدة منهن وما بي من حيلة. لم أكن قد ودعت بعد شبابي بقلب باك ولم... فأنا الذي بلغ السابعة والأربعين وأمضى نحو ثلثها في السجون والنفي قد ولدت ثانية. ورحت أسعى لأبني عشاً." ص184. ثم انتقل في الفصول التالية في الكتابة عن الثورة والحزب والعلاقات بين قيادة الحزب وقيادة الثورة، في التحضير لها وبعد انطلاقها ونجاحها، ومواقفه النظرية منها ومن التحالفات السياسية والأحزاب الوطنية.

في الفصلين 51 و52 شرح نظرياً وتاريخياً إشكاليات التحالفات الاجتماعية وجبهة الاتحاد الوطني وأكد على تقلبات البرجوازية الوطنية ونقضها لتحالفاتها، وانهيار تجربة

جبهة الاتحاد الوطني، "وبدلاً من استمرار التعاون بين الأحزاب السياسية حلت المزاحمة والاصطراع على النفوذ معتمدة على نفوذها بين ضباط الجيش" (ص188). وحول شعار الوحدة الاندماجية أو الاتحاد الفيدرالي، سجل **زكي خيري**: كان الكرد وأكثرية العرب (الشيعة) أي نحو ثلاثة أرباع سكان العراق تخشى الوحدة الاندماجية، التي من شانها ترجيح كفة الأقلية الطائفية السنية وهذا العامل السيكولوجي السلبي ضد الوحدة الاندماجية عبرت عنه جماهير النجف، مركز الشيعة الروحي بهتافها "جمهورية لا إقليم، ماكو زعيم إلا كريم" وانجرف الشيوعيون مع الجماهير ولم يصمدوا أمامها. إن تقديس **عبد الكريم قاسم** جاء تعبيراً عن الوطنية العراقية المتزمتة أو "الإقليمية" على حد تعبير الوحدويين وكانت البرجوازية الصغيرة وفئات من العمال تريد أن تنفرد بثروات العراق الطبيعية ولاسيما النفط لتثري منها هي نفسها. ونفس الأسباب أدت إلى انهيار الوحدة السورية المصرية بعد أربع سنوات. وغدا الصراع في العراق بين الوحدة الاندماجية الفورية والاتحاد الفدرالي صراعاً على السلطة، من الذي يحكم العراق ويدوس على عنق خصمه" (ص 190). ثم تطرق في الفصول التالية إلى مولده من جديد في الحياة الحزبية والقيادة السياسية والنشاطات الثقافية، ومساهماته الفكرية في "مسائل في الإصلاح الزراعي"،

وزياراته إلى الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وبلغاريا الشعبية.

في ربيع 1959 ضم **زكي خيري** إلى المكتب السياسي مع **محمد حسين أبو العيس** إضافة إلى أعضائه الخمسة، وهم **سلام عادل، جمال الحيدري، هادي هاشم الأعظمي، عامر عبد الله، وبهاء الدين نوري**. "وغدا المكتب السياسي أغنى خبرة سياسية ولكن أقل تجانساً... وجاء اجتماع السبعة هذا في ظروف جديدة على الجميع وفي غاية التعقيد وسرعة التغيير. يضاف إلى ذلك ضيق الصدور وحدة الطبع العراقي والافتقار الشديد إلى إتقان فن المناقشة والجدال ولا يستثنى من ذلك السكرتير الأول نفسه. بيد أنه كان يتمتع بتفوق نسبي على الآخرين". ولكنه كتب عنه" "كان **الرضي** قائداً جريئاً للرجال ومعتداً بنفسه ويمتاز عن منافسيه بالمبادرة السياسية والثبات والإصرار على قناعاته والجدال عليها دون كلل. وكان دبلوماسياً حاذقاً أيضاً. برزت مواهبه هذه في تأليف جبهة الاتحاد الوطني عام 1957 وفي التنسيق مع حركة الضباط الأحرار. وكان يعرف كيف يشخص ويستخدم الكفاءات الحزبية وكيف يصطفي الكوادر الجديدة بسرعة" (...) ويقي **الرضي** مهيباً في مرحلة النهوض الثوري بفضل إنجازاته السياسية وفي بناء الحزب ووحدته، بقي القطب الموحد الذي تلتف حوله القيادة الحزبية ومنظمات الحزب.

بيد أن الانتصارات التي تحققت للحزب تحت قيادته في مدة وجيزة تركت عليه جانبها السلبي أيضاً. وهو الشعور بالرضا عن النفس وهو أسوأ الأمراض التي تصيب القادة الثوريين. وعندما أخذ المد الثوري بالانحسار وتألبت القوى الأخرى ولاسيما الحكومة ضد حزبنا ظهرت المعارضة وكان قطباها حسب تشخيص **الرضي**: "**بهاء الدين نوري وعامر عبد الله**". (ص211- 212).

في زحمة المد الثوري وانتكاساته تصاعدت الصراعات السياسية داخل الحكم والحركة الوطنية والحزب الشيوعي، ولعبت الكتلة الرباعية التي كان من أركانها **زكي خيري** دورها في الأحداث كلها، وعاد إليها بعد محاسبة **سلام عادل** لها ومعاقبتها حزبياً (ص 242)، وكذلك في عدم الانتباه إلى الفخاخ التي نصبت للحزب، وكيفية التصدي لها، ورغم إشارته إلى دور **بهاء الدين نوري** في التكتل ضد السكرتير الأول (ص226) إلا أنه لم يتطرق بتوسع إلى دوره فيها وإلى حجمها في عرقلة عمل الحزب ودوره في العملية السياسية، بل حاول كالعادة الجارية تبرير الموقف أو تخفيفه والتهوين من خطره وما أحدثه وتبعاته من بعده، ولكنه ومن موقعه الفكري والسياسي عالج موقف الحزب من القضية الكردية ومن اليسار الكردي وكذلك عمل الحزب داخل الجيش وحل تنظيمه، ثم محاولة قاسم لترويض الحزب الشيوعي وتغيير

اسمه، وموقف الحزب منها ومن الخلاف السوفياتي الصيني. وصولاً إلى انقلاب شباط/فبراير 1963 ومقتل **عبد الكريم قاسم** وإعدام قيادة الحزب الشيوعي.

حين عاد **سلام عادل** من موسكو عام 1962 دون أن يكمل دراسته التي انتدبه المكتب السياسي لها، كما كتب **زكي خيري**، وهي جمل تقريرية باردة لا تعبر عن حقيقة الانتداب وما أورده خيري أيضاً عن الظروف السياسية. "فقد كان في دخيلته يظن أن انتدابه للدراسة في موسكو محاولة من المعارضة لإبعاده عن التأثير المباشر على سياسة الحزب وكان في ظنه هذا شيء من الحقيقة ولكن حتى أصدقاءه كانوا موافقين على إخراجه من العراق بدافع الحرص على حياته إذ كان التوتر مع قاسم يتفاقم يوماً بعد يوم والوضع الأمني يتفاقم. (...) عاد الرضي وباشر بممارسة نشاطه القيادي وأعد تقريراً لإدانة المعارضة وكان قطبا المعارضة على حد تعبيره يدرسان في موسكو فضلاً عن أن بهاء الدين، أنشطهما مشلول النشاط بعد قرار المكتب السياسي تجميده. وجمدت قيادة الحزب عضويتي في اللجنة المركزية قبل أن تبدأ المحاسبة. فكان الجو مهيأً لإجراء محاسبة في جو يسوده الهدوء والاتجاه الواحد. وقد وصف الحيدري المعارضة بأنها "معارضة منظمة" ولقب أعضاءها "بالفرسان الأربعة" (ص242). وهم **بهاء الدين نوري وعامر عبد الله وزكي**

خيري ومحمد حسين أبو العيس. وكانت العقوبات تنحية من اللجنة المركزية ونقد الذات. كتب زكي خيري: "في ذلك الجو ركبني شعور بالإثم لميلي للجانب الصيني في تقييم قضية ستالين و"الجزاء من نفس العمل" فقد انتقدت نفسي، أي جلدتها على الطريقة الستالينية، تكفيراً عن النفس تجاه أئمة الشيوعية وليس أعداءها كما يفعل المرتدون اليوم (ص243). وكغيره أيضاً لم يشرح **زكي خيري** الأسباب الحقيقية وبموضوعية الباحث والكاتب الذي يسجل التجربة بعد زمن من حدوثها، لاسيما التي كانت وراء التكتل ودور التكتل في عرقلة عمل الحزب والانقسامات في الحركة الوطنية والحزب وتعثر المد الثوري والولاءات السياسية التي قادت إلى الهلاك!..

في الفصل 67 وتحت عنوان: في بارحة الكارثة، قرأ رسالة لسلام عادل قبيل انقلاب شباط/فبراير 1963 وعلق عليها ناقداً لها، محللاً ومعقباً على خطط الانقلاب الدموي ورأي الرضي في التطورات السابقة عليه، منتقلاً من الرسالة إلى الحدث. "كنا في النجف عندما أعلن "البيان الأول" لانقلاب 8 شباط ولم يكن الانقلاب مفاجأة لنا بيد أننا فوجئنا بضعف المقاومة. كنا نعول كثيراً على التنظيم الشيوعي في الجيش الذي كان يضم (400) ضابط و(1000) ضابط صف. ولكنهم على العموم مكثوا في بيوتهم وقل من بادر

منهم ليهرع إلى معسكره حتى جاءهم الانقلابيون ليعتقلوهم أو يقتلوهم فوراً. وتجمهر الشيوعيون على أبواب وزارة الدفاع مطالبين بالسلاح ليقاوموا الانقلاب الفاشي ولكن عبثاً فإن قاسم كان مصاباً بمزاج انتحاري كالذي أصيب به، مع الفارق، روبسبير زعيم اليعاقبة الثوريين في الثورة الفرنسية الكبرى في آخر أيامه. (...) "وكانت اللامبالاة السياسية هي المزاج السائد لدى أوسع الجماهير بعد أن توقفت الثورة والإصلاحات منذ ثلاث سنوات ولم تجن الجماهير بعد ثمرات تأميم 5، 99% من مساحة امتيازات النفط". (...) " كانت مصيبتنا أننا كنا ندافع عن عدو" (...) أمام عدو آخر هدفه: "إبادة الشيوعيين والديمقراطيين المتحالفين معهم وقمع الثورة الكردية. وكان جمال عبد الناصر مع الانقلاب وقد تبنته إذاعاته منذ اللحظة الأولى وتحت تأثيره كما يبدو سارع الاتحاد السوفياتي بالاعتراف بشرعية حكومة الانقلاب كما اعترفت أمريكا وبريطانيا أيضاً. وهذه الاعترافات كانت من المثبطات لعزائم المقاومين للانقلاب". (...)" وكانت ثالثة الأثافي إعلان نبأ إعدام **حسين الرضي** قائد الحزب الشيوعي العراقي مع رفيقيه **محمد حسين أبو العيس وحسن عوينة**" (ص248). وكان **زكي خيري** معاقباً حزبياً ومرسلاً إلى الريف للتربية الحزبية والتعلم من الجماهير القاعدية، فخاض معهم سبل الكفاح والعيش والمقاومة، حتى انقلاب 18 تشرين

الثاني/نوفمبر 1963 الذي جاء، كما كتب **زكي** متنفساً للناس. حيث انقلب كبار العسكريين وعلى رأسهم **عبد السلام محمد عارف** وتخلصوا من حزب البعث وحرسه القومي بعد أن استخدموهما كمخلب قط ضد الشيوعيين والديمقراطيين. مشيراً إلى عودة نشاط منظمات الحزب من جديد واستئناف كثير من الرفاق القياديين دورهم وتكوين المركز القيادي في بغداد، حيث انتقل **باقر إبراهيم** من الفرات الأوسط و**عمر علي الشيخ** من كردستان ليقودا عمل الحزب ونشاطه. ولكن المشانق لم تتوقف عن تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة في أيام حكم قاسم وحكم البعث ضد الشيوعيين والديمقراطيين. "وذهبت قيادة الحزب في الداخل بقيادة **باقر إبراهيم وعمر علي الشيخ** أبعد من ذلك فقد أصدر المركز الحزبي في بغداد بياناً زكى فيه حكومة **عبد السلام عرف** وبالغ فيه بتقييم إجراءات التأميم لبعض المشاريع الوطنية. واعتبر ذلك تجديداً لثورة 14 تموز/يوليو مما أثار القاعدة الحزبية وغضبها وكذلك فعلت قرارات اللجنة المركزية في براغ في آب/ أغسطس 1964" (ص260). وهو أول اجتماع لقيادة الحزب خارج العراق بعد انقلاب شباط/فبراير، بقيادة **عزيز محمد،** الذي انتخب فيه سكرتيراً أول للحزب، وضع سياسة الحزب للتعاون مع حكومة **عبد السلام عارف،** والخشية منه هو السير في طريق حل الحزب والدخول في حزب السلطة الجديد،

"الاتحاد الاشتراكي"، المستمد من التجربة المصرية تحت قيادة الرئيس **جمال عبد الناصر**، وما سمي بطريق التطور اللارأسمالي. حيث انقسم الشيوعيون إلى ثلاثة اتجاهات، حسب خيري، في الموقف من التطور اللارأسمالي. وقاد هذا العمل فيما بعد إلى انقسام الحزب عمودياً وأفقياً، لاسيما بعد عودة الكثير من القيادات الحزبية إلى الوطن من "المنافي الاشتراكية". وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1965 انعقد في بغداد اجتماع ضم 25 كادراً حزبياً متقدماً ومن بينهم أعضاء في اللجنة المركزية والمكتب السياسي، مثل **بهاء الدين نوري**، **وعامر عبد** الله، وكان التحضير "**للعمل الحاسم**" محور الاجتماع. ولم يكن العمل الحاسم، كما كتب خيري، سوى انقلاب عسكري تقوم به وحدات من الجيش بأسلوب "الكتمان والمباغتة" كما جرى في 14 تموز/يوليو 1958. ولكن الظروف المحلية والدولية لم تسر نحو مثل هذه الأفكار. ولأسباب أخرى اندفع انقسام الحزب فوق كل الأفكار، منها تردد القيادة في تبني شعار إسقاط الحكم العسكري والخيبة والإحباط من نجاح انقلاب شباط/ فبراير وتشتت قوى الحركة الوطنية، فتشكل "الميل اليساري المغامر بين جمهرة من الشيوعيين متمركزاً في منظمة بغداد وهي أقوى منظمات الحزب الشيوعي. وقد تزعم هذا الميل كوادر متوسطة طموحة وتزعمهم فيما بعد عزيز الحاج" ص275. وذكر خيري رأيه السلبي في الحاج وقدراته.

حضر **زكي خيري** في شباط 1967 في بغداد أول اجتماع للجنة المركزية للحزب بعد عودته إليها وانتخابه عضواً في المكتب السياسي في السنة الماضية بغيابه، وساهم كما كتب في "اتخاذ تكتيك الكفاح المسلح المتوازن الذي لا ينفي دور الجيش ولا دور الجماهير غير المسلحة ونضالها العنفي وغير العنفي جنباً إلى جنب مع كفاح القوات المسلحة ولاسيما الجيش خلافاً للخطتين وحيدتي الجانب، اللتين طرحهما ميلان متعارضان في اللجنة المركزية. وقد أكدت اللجنة المركزية على ضرورة التنظيم الحزبي والدعاية في القوات المسلحة ونفت النظرة المتحيزة إلى تأليه الجيش باعتباره صانع "جميع الأمجاد الوطنية" والنظرة الأخرى التي تعتبره أداة قمع بيد الطبقات الحاكمة. ومع ذلك بقيت الجذور الفكرية للنزعتين المتحيزتين راسخة في أذهان الشيوعيين العراقيين" ص281. وفي هذا الاجتماع ذكر **خيري** أنه ارتكب خطأً بانتخاب **عزيز الحاج** في المكتب السياسي، والموافقة على عرض **عزيز محمد** قراره بالرحيل إلى موسكو وتكليفه إدارة المركز الحزبي. وأصبح **زكي خيري** قائد الحزب، "فاقترحت عليه أن يدع اللجنة المركزية تختار نائبه كما فعل **حسين الرضي** لدى سفره إلى موسكو وقد رشحني وانتخبت بالتصويت السري. ولكن **عزيز محمد** استغنى عن التقليد الديمقراطي وقال لا حاجة لذلك فهو أمر مفروغ منه. وسكت

سكوت الرضا مبرراً لنفسي هذا الخطأ وقلت لربما استشارهم واحداً واحداً كعادته. وقد تحملت المسؤولية في وقت حرج سواء بالنسبة للوضع السياسي في العراق أو البلاد العربية أو في قيادة الحزب ومنظمة بغداد".

تحت عنوان طريف: القادة مضربون، كتب **زكي خيري**: "في بداية حزيران/يونيو عام 1967 انعقد اجتماع اللجنة المركزية ولم يحضر بعض الرفاق وبقينا ننتظر بقية الرفاق ليحصل النصاب دون جدوى". وفي 5 حزيران/يونيو شنت "إسرائيل" الهجوم على الدول العربية المجاورة دون سابق إنذار. فأصدر الحزب الشيوعي العراقي في اليوم نفسه نداء إلى الشعب تحت عنوان: كل شيء إلى الجبهة!. طالب بتوزيع السلاح على الشعب وفتح مكاتب التطوع وتنظيم وتدريب الفصائل من العمال والطلاب والشباب وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول التي تساند العدوان الإسرائيلي ومصادرة أسهمها في شركات النفط وتعزيز العلاقات مع الاتحاد السوفياتي الصديق الثابت للشعوب العربية ومع سائر بلدان المنظومة الاشتراكية. كما أصدر المكتب السياسي توجيهات إلى جميع المنظمات الحزبية تستهدف تعبئة الجماهير في المعركة التي تخوضها الأمة العربية ضد العدوان الإسرائيلي، ونظم الشيوعيون عشرات المظاهرات وشكل الحزب فرق الدعاية. وفي 9 من حزيران/

يونيو اجتمعت اللجنة المركزية والأنباء تتوارد عن الحرب وتتوالى الأحداث التاريخية. كان ذلك الاجتماع فريداً في نوعه، كما وصفه **زكي خيري**، في تاريخ الحزب، حيث ناقش الأزمة في ضوء المستجدات وطرح مطلب حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه على أرضه. وكانت أشد الأخبار وقعاً استقالة الرئيس المصري **جمال عبد الناصر** ومظاهرات الشعب المصري لدعمه وحمله على سحب الاستقالة التي كانت بمثابة تقديم الحساب إلى الشعب عن مسؤوليته الشخصية عن الكارثة وهو ما لم يقدم عليه أي مسؤول دولة آخر في تاريخ الأمة العربية.

تحضيراً للكونفرنس الحزبي الثالث كتب **خيري** تقييماً انتقادياً لسياسة الحزب منذ الكونفرنس الحزبي الثاني في أيلول/ سبتمبر 1956 حتى اجتماع اللجنة المركزية في آب/ أغسطس 1964، ثم طوره إلى موعد الكونفرنس 1967. وكان محور التقييم ضعف اهتمام الحزب بقضية السلطة السياسية في الدولة وتضييع الفرص التاريخية التي سنحت له. ومن الأخطاء التي ارتكبها خيري، كما كتب، تكليفه **عزيز الحاج** إضافة حشو نظري له حذفه مع **باقر إبراهيم** عند تقديمه للمناقشة في الكونفرنس الحزبي الثالث عام 1967. كما كتب **عامر عبد الله** تقييماً آخر أقوى منه انتقاداً أو رداً عليه، لكن الكونفرنس أقر ما كتبه خيري وشذبه مع **باقر**

إبراهيم. وفي ضوء المناقشة شجب الكونفرنس الانحرافات اليمينية واليسارية على السواء. فرفض تكتيك الانقلاب العسكري أو الحرب الأهلية، وأدان انشقاق 17 أيلول/ سبتمبر 1967 "والزمرة التي شقت الحزب واقترن عملها بأساليب فوضوية ولصوصية وإرهاب فردي ضد رفاق الحزب". وحلل الطبيعة البرجوازية الصغيرة لحزب البعث وأكد على الحكومة الائتلافية الانتقالية. وبعد هذا التلخيص ذكر المؤلف أنه ساهم بنشاط في صوغ وثائق الكونفرنس ووضع الخطة السياسية وما أولاه الكونفرنس من اهتمام للقضية الفلسطينية وحلل هزيمة حزيران بعجز البرجوازية العربية عن قيادة حركة التحرر الوطني بالمقارنة بقيادة الثورة الفيتنامية. وأكد ضرورة قيادة الطبقة العاملة للنضال التحرري العربي. وبصدد الصراع في صفوف الحركة الشيوعية العالمية أعلن الكونفرنس التضامن مع الحزب الشيوعي السوفياتي ضد قيادة ماوتسي تونغ. ولكن **خيري** لم يطرح وجهات نظر المنشقين كما سماهم وظل أميناً لقناعاته ضدهم وهذا ما أخذه على نفسه ولم يناقشه في المذكرات التي كتبها بعد عقود. وختم حديثه عنه: "لقد عانيت عام 1967 كثيراً بسبب الصراع الداخلي العنيف حقاً في صفوف الحزب وخرجت منه بعد الكونفرنس بعقد أقل وتجارب أغنى. وكان أثمن ما تعلمته هو ضرورة الصبر في معالجة الخلافات بين المناضلين

وأن شر الأخطار على الحزب والحركة الثورية ضيق الصدر السياسي". ص294.

خلال قيادته الحزب وفي ظل الظروف السياسية الداخلية والعربية والدولية تصاعد انتعاش الحركة المطلبية ونظم الحزب مقاومة الفلاحين للملاكين الكبار وانتعشت الحركة العمالية وإضراباتها كما انتعشت الحركة الطلابية والمهنية في اتجاه التغيير. وعرض الحزب في جريدته السرية "**طريق الشعب**" مشروع برنامج للجبهة الوطنية حدد فيه الهدف السياسي المباشر: حكومة ائتلافية تضم الأحزاب السياسية كافة التي يهمها إنهاء الدكتاتورية العسكرية البوليسية المتسلطة على البلاد. ومن أجل ذلك دعا الحزب ولا يزال يدعو إلى ائتلاف سياسي للنضال في سبيل أكثر المطالب الآنية إلحاحاً التي تلتقي عندها جميع القوى والأحزاب الديمقراطية.

حضر **زكي خيري** آخر اجتماع تحضيري في بودابست مع **عمر علي الشيخ** لمؤتمر عالمي للحركة الشيوعية (عقد عام 1969)، وسجل فيه مواقف الحزب من كل الأحداث المحلية والدولية، ونشر مداخلته في جريدة الحزب الشيوعي السوري وعند عودته إلى العراق في جريدة الحزب السرية. وزار براغ وبرلين وموسكو للقاء المنظمات الحزبية والرد على "أتباع المنشقين"!. وكذلك حضر ندوة العيد المائة والخمسين لميلاد **كارل ماركس** في موسكو في 5 أيار/مايو

1968. وحضر في دمشق اجتماع الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي لدعم قرار الحزب الشيوعي الأردني تأسيس قوة مجاهدة مسلحة باسم "**الأنصار**" للمشاركة في الكفاح مع الفصائل الفلسطينية. وختم الجزء الأول من مذكراته هذه بفصل 87 وعنوان: الموقف من انقلاب 17 تموز 1968.

لم تخل فقرات المذكرات من خطرات القلب وتشوقه إلى بناء عائلة. فمنذ نظرته الأولى إلى **سعاد** ظل قلبه مشدوداً إليها. وفي فصل خاص عنونه: أن تموت شاباً بعد عمر طويل، بدأه: "أن أكتب ذكرياتي من دون التطرق إلى حياتي الخاصة، لا يتفق مع روح العصر، بل يجرد الذكريات من أي رونق. وقد سبق ان بسطت للقارئ في الفصول الأولى انطباعات صباي وحداثتي وقد توزع شبابي بين السجون والتخفي وعلي الآن أن أذكر شيئاً عن كهولتي. بعد أن حوسبت كأحد أفراد المعارضة جاء الرضي السكرتير الأول وأطرى خصلتين من خصالي وهما: روح الشباب والفكر العلمي، على حد تعبيره." (...) خرجت من السجن للمرة الأخيرة وأنا في السابعة والأربعين من عمري دون ان أجد الزوجة والأطفال. فلم أكن قد تزوجت بعد. فأي حياة جافة كنت قد عشتها قبل أن ألتقيها. التقيتها أول مرة في نهاية الأسبوع الثالث من شباط/فبراير 1949 كنا معتقلين مع نحو ثلاثين رفيقة ورفيقاً في دار التحقيقات الجنائية في شارع

النهر. والتقيتها ثانية في سجن النساء قرب باب المعظم مع رفيقاتها السجينات في أواخر تموز 1958 والتقيتها ثالثة في بيت **توفيق العبايجي** قرب المقبرة الملكية في الأعظمية مع **عمومة مصري** وكانتا مع **مادلين مير** قد اختارتا البقاء في الوطن لقاء التنازل عن ديانة آبائهن اليهودية. وكنت بصحبة الرضي. وقبلها طرح علينا **الرضي** سؤالاً هل ستبقى سعيدة مشعل تعيش في كنف الحزب أم تعود إلى أمها التي كانت تطالب بها بإلحاح وكانت تنتظرها وترعاها من خارج السجن زهاء عشر سنوات؟!. كانت قد وضعت هي مصيرها بيد الحزب الشيوعي ووجه السؤال إليّ: "ماذا تقول؟!. وقعت في حرج وأي حرج!. في دوامة التناقض بين الضمير والقلب. الأول يقول دعها تعود إلى أحضان أمها.. وهذا هو الحل الإنساني الوحيد. والآخر يقول: هل تضيع فرصتك الأخيرة وتترك قلبك يجف كحشفة يابسة؟!. ويل لك ما أشقاك!. استسلمت لنداء قلبي وتركت ضميري يعذبني بين حين وآخر. وكان القرار بالاتفاق بان تبقى في كنف الحزب. وانتصرت الأنانية على الإنسانية." ص223. ويعود في فصل آخر ويذكر **سعاد** مسجلاً لقاءه الأول كزوج. "وبعد لأي أذنَ الحزب لي باللقاء بزوجتي **سعاد** مصادقاً على زواجنا وبعد فراق طويل طال أكثر من ثلاث سنوات التقيتها في فندق اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في موسكو. انطلقت إليها كما

ينطلق الحمل الرضيع إلى أمه بعد أن يفك وثاقه". ثم أفرد فصلاً آخر هو 75 بعنوان: في عشنا الزوجي. في براغ عشنا، أنا وسعاد، لأول مرة عيشة عائلية لا ينغصها منغص في حارة الجبل الأبيض الهادئة ننتظر طفلنا الأول البكر، أنا في الرابعة والخمسين وهي في السادسة والثلاثين كانت ظروف معيشتنا جيدة وأفضل الظروف التي مرت بنا طوال حياتنا من الوجوه كافة. وأرخ لولادة ابنته في بغداد أيضاً، قبل أن يتوقف عن كتابة جزئه الأول الذي سجلت **سعاد** عنه: " انتهى الجزء الأول من المذكرات عام 1991. ولم يتم نشرها ولذا لم يجد الفقيد المشجع لاستكمالها بالجزء الثاني حتى رحيله في 19 شباط/فبراير 1995 ولم تكتحل عيناه برؤيتها وإيصالها إلى شعبنا الذي كرس حياته من أجل تحرره وإسعاده".

في الجزء الثاني الذي أعدته وقدمت له **سعاد خيري**، تحت العنوان نفسه، جامعة فيه مع تعليقاتها وتوضيحها كتاباته ومداخلاته ومراسلاته، مضيفة إلى ما سجله وثائق أعماله ومواقفه وموقعه الفكري والنظري ونشاطاته على الصعد الثقافية والفكرية حزبياً وسياسياً، مفكراً وكاتباً وصحفياً قديراً أسهم بطاقاته وإمكاناته في خدمة الحزب والشعب والوطن.

ضم الجزء كتابات **خيري** عن الموقف من انقلاب 17-30 تموز 1968، سياسة الحزب الشيوعي خلال السنوات 1968-1970، القضية الكردية والموقف من اتفاقية 11 آذار

1970، الوحدة العربية، حركة التحرر الوطني العربية، القضية الفلسطينية، النضال من أجل استقلالية الحزب في فترة التحالف، تطوير النظرية الماركسية وفقاً لمتطلبات العصر، شجب العدوان العراقي على إيران، النضال من أجل تجميع المعارضة على أسس صحيحة، التطور النوعي في الحرب وشعار الصلح الديمقراطي العادل، حركة عدم الانحياز، من أجل حماية الهوية الوطنية للحزب الشيوعي العراقي، إستراتيجية المرحلة الراهنة، أحداث **بشت آشان**، لمن المبادرة في حركة التحرر الوطني العربية؟، قدرة الماركسية على حل مشاكل عصرنا، كتاب الحرب العراقية الإيرانية، مهمات الحزب الطليعي، من أجل ميثاق وطني، وحدة النظرية والتطبيق، محاضرة في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، وغيرها. كما وثقت مداخلاته ورسائله إلى المؤتمرات الحزبية الشقيقة والصديقة، وكذلك اللقاءات الصحفية معه. وهذا الجزء يعبر عن **زكي خيري** وتاريخه تعبيراً واضحاً، ويضعه في مصاف بناة الحركة الفكرية التقدمية العراقية والعربية ومساهماته في زمنيتها التي ما زالت تواكب ما يحتاج إليه الحزب والمناضل السياسي في حل المعضلات المستجدة دوماً وتحديد المواقف منها. وفي قراءتها وجمعها إضافة نوعية للمذكرات والمدونات الشخصية للقيادات الحزبية والشيوعية خصوصاً. وللمناضلة **سعاد خيري**، الزوجة والرفيقة وشريكة العمر والنضال مع الراحل **زكي** فضل كبير في النشر

والإصدار لها. ومن المحزن فيها، رغم دور ومقام **زكي خيري** أنه عانى في أواخر أيامه جحوداً كبيراً من حزبه، وصل إلى قطع الدعم المالي الشهري له ولعائلته ودفعه إلى الهجرة وتزيين اللجوء إلى السويد، بل حتى التهديد باحتمالات خطرة عليه من قبل قيادة الحزب الشيوعي العراقي في المنافي، وهو في تاريخه النضالي المعروف.

كتب عن نفسه قبل رحيله بفترة وجيزة: " في المنعطفات الجدية كنت أحافظ على هويتي الشيوعية، وأجد الشعارات السياسية المناسبة للموقف الراهن. وأنا ثوري منذ نعومة أظفاري. ومنذ بادئ ذي بدء اخترت الشيوعية حزباً لي ولم أتحول عنها ولن أحيد عنها لو ولدت من جديد".

لزكي خيري المؤلفات التالية:

- **ربع قرن من تاريخ الحركة النقابية في العراق**، 1954.
- **مسائل في الإصلاح الزراعي**، 1959.
- **دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي مع رفيقة حياته ونضاله سعاد خيري**، 1984.
- **الحرب العراقية الإيرانية وقضايا الثورة**، 1987.
- **وحدة النظرية والمنهج**، 1992.
- **صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم**، الجزء الأول عام 1995، والثاني 1996. (لا دار نشر)

مذكرات باقر إبراهيم

بحث مستمر عن التغيير



صدرت مذكرات القائد الشيوعي العراقي **باقر إبراهيم**، (مولود في 22 تموز/ يوليو 1932)، مسؤول التنظيم في الحزب الشيوعي العراقي لأكثر من ثلاثة عقود من تاريخ الحزب والنضال السياسي في العراق عن دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، أواخر عام 2002. نشرها بعد صمت معهود، وكتبها بعد إلحاح منشود، وأودعها القراء بعد طول أناة وعسر مداراة وجزالة انتباه لما يريد أن يبني للمستقبل ويشيد للعزم ويقوي الإرادة، وما كان منه إلا أن ينتخب من صفحات النضال

وسجلات الأحوال وبيانات الآمال ويرتبها بأكثر من أربعمائة وتسعين صفحة من القطع الكبير.

وهو في عمره النضالي الطويل، حيث انتسب إلى الحزب وهو ابن السادسة عشرة من العمر، كما انتخب في اللجنة المركزية وله من العمر سبعة وعشرون عاماً، عايش محطات ووقفات متنوعة في المسيرة والأداء وواجه فيها ما لحقه من المعاناة والانتكاسات وتلمس منها كعادته كثيراً من الدروس والعبر، التي أراد من فيضها أن يلخص للقارئ في مذكراته سطوراً مما مرت عليه شخصياً من محن وعثرات ومكاسب ونجاحات، اشترك هو، بحكم موقعه وعطائه، وغيره معه في تكوينها أو في مكابدتها وتحمل قسوتها وقلة تدبيرها أو فرحتها وشظف دفعها.

وعقود الزمن من تاريخ العراق المعاصر التي عاشها **باقر إبراهيم الموسوي** ملأى بالتعقيدات ومتميزة بالصعوبات، حيث تنوعت المهمات وتسابقت الأحداث والسنوات، من نضال سري وسجون وهراوات العهود الملكية إلى علنية وصراعات الدم وتكنولوجيا تعذيب العهود الجمهورية. ومن العمل بين أحضان الشعب إلى التنمر في فصائل أنصار مسلحين ومعزولين في قمم شاهقة من الجبال أو في جحور وأوكار مستورة بأغصان العداء وضيق الأفق وغوايات

الانتقام. ومن التمنطق بالعمل الجبهوي والصراع الفكري ووحدة الأضداد إلى امتشاق السلاح والهجرة إلى الأقطاب والبلدان التي وصفتها وثائق الحزب، المرشد والدليل للعضو والزميل، بالإمبريالية والاستعمارية وأعداء الطبقة العاملة وحركات التحرر الوطني.

ولأنها قصة حزب وشعب ووطن، يتعرض كله هذه الأيام إلى امتحانات أكثر قسوة وأبلغ صمتاً وأشد تجاذباً وتنافراً في آن. وبعد انسداد آفاق وانغلاق سبل وسقوط أوهام وانطفاء همم وبعد خراب العراق بحروب الداخل والخارج، وانتهاء السند والصديق الصدوق لم تعد الإشارات كافية لالتقاط الأنفاس أو استزادة الحواس. ولابد من المراجعة الأمينة والمكاشفة المطلوبة والمحاسبة النزيهة والنقد البناء والمعالجة الأساسية.

ومذكرات **باقر إبراهيم** واحد من بين عديد من الكتب التي أصدرها رفاقه في قيادة الحزب سابقاً، جرؤوا وقالوا ما عندهم، صواباً أو خطأ، صدقاً أو دجلاً، مما كان أشبه بالمحرم وأقرب إلى الممنوع وأبعد عن تمجيد الذات وتعظيم الأداة، ونسيان أو إغفال الجزاء أو الإجراء والابتعاد عن محاسبة أو نقد الذات، في إعطاء شهادات وإشارات عن الأخطاء والخطايا، وعن التحولات والتطورات، وعن البطولات والامتيازات، أو تلك التي تأتي بمعنى الاستذكار

والتذكر السليم والتسامح والتسامي الحكيم، دون الوصول إلى الاعتراف والكشف والتعميم.

والمؤلف مدرك أنه لا يكتب تاريخاً وحسب وأن المسؤولية عما سجله ونشره ليست حملاً ثقيلاً قد لا يحمله بعير فقط، ولمثله لا تمر كتابته مرور الكرام، وهو المقيم بالسويد، قريباً من أبواب الله الشمالية، التي صارت هي وغيرها، بين عشية وضحاها داراً للسلام وللإسلام بعد أن كانت جزءاً من دار للحرب ولأحفاد الفايكنغ، الذين كانوا قراصنة وتجار حروب وسلع لا يعرفون لها طعماً أو لوناً. وكتاباته تمحص وتدقق، وتدرس وتحاكم، وتناقش وتكثر حولها الأقاويل والتفسيرات والتأويلات وتتربص فيها ما لم يكن ضمنها وما لم يقصدها أو يضمرها.

ولهذا اعترف مقدماً أن ما يكتبه اعتمد أساساً على الذاكرة العفوية وأنها تضعف بتأثير عوامل الزمان والإرهاق والانقطاع والملاحقات والانتقالات والهجرات ومن ثم الاغتراب. ولابد بعد ذلك كله من الانتقاء والاختيار ومن الوعد بالكتابة الموسعة والتفاصيل المطلوبة والأحكام التاريخية في أيام أصفى وأوقات أغنى، مختصراً الجهد وما حملته صفحات الكتاب بأنها مساهمة متواضعة في كتابة التاريخ، ولم يعتبرها غيره كذلك.

ولكنه النزيه في حياته ومواقفه والصادق مع نفسه بنضاله

وعمله وكتابته، فيطالب هو أيضاً عند الحكم على الأحداث بتوفير أكبر قدر من العدالة والموضوعية لأناس تلك الأحداث في محكمة التاريخ، خصوصاً للموتى ولمن فقدوا القدرة على الدفاع عن الحقيقة وعن أنفسهم. وهو يقدر أن الكثيرين ممن انتظروا مذكراته يريدون منها كشفاً أوسع مما حوته واشمل مما ذكرته وأحدّ تقييماً مما انطوت عليه، وهو يصر عند تدوين بعض الآراء والانطباعات على تجنب إطلاق الأحكام، وعدم النظر إلى المسيرة بصورة إخفاقات وملابسات فقط، بل هي عنده مسيرة جهد بشري مضن وخلاق. وهذا صحيح ومطلوب مثل الكشف والشهادة لما هو مهم وأساسي في تلك الحقبة وتطوراتها وانعطافاتها، ووضع الكثير من النقاط على الكثير من الحروف المفقودة أو المتهرب منها رغبة أو خشية، إهمالاً أو تنصلاً.

ومنذ أن شرع بمشروع الكتابة سأل نفسه: لماذا أكتب مذكراتي؟ وكتب: إن كتابة المذكرات هي من وجهة نظري مواصلة لأداء الواجب الذي دفعني للنشاط الاجتماعي وللانتساب السياسي إلى حزب معين، أي الدوافع الوطنية والاجتماعية والإنسانية، فالكتابة إذن مواصلة لتلك الدوافع. وأضاف: إن أفضل من يستطيع الكتابة عن تاريخ الحزب بصورة موضوعية هم الذين تأثروا بنبض الحزب، ليس سياسياً وفكرياً فحسب، بل نفسياً وعاطفياً كذلك. وعلى الرغم من



باقر إبراهيم وكاظم الموسوي (لندن 2008)

أن المذكرات تتحدث عن بعض المحطات والوقفات، كما أسميتها، فإنها تقع ضمن مسيرة كاملة لعدة عقود من نضال الشيوعيين.

ولأنها كذلك وكاتبها **باقر إبراهيم** فهي سجل منشود، وكتابة تفكير ومسؤولية فكرية وتاريخية واجتماعية، لا للذكر الطيب وحسب، مثلما أشار، وإنما لتأشيرة الأصابع على الجروح وكشف المستور المعلوم، على الأقل من أضعف الإيمان، والإشارة بالتلميح للأكثر مما فيها. وما افتقد منها قد يكون مهماً وجدياً كالذي ورد فيها، للتذكر والتاريخ، وللتوضيح والتدقيق. إذ ينبغي أو لا بد من أن تحمل أكثر من

ذلك مما لم يخل بمصداقية المشترك والضمير، ومحاكمتها مع مرور الزمن وما سطرته من موضوعاتها كمنطلقات لمذكرات متواصلة مع القضية التي أعطاها صاحبها ما مضى من عمره وما زال مدركاً أن البحث التاريخي المصاحب للمذكرات عملية لا حدود ولا نهاية لها، فهي ستستمر على أمل تحقيق الوعد والذكر الطيب لكاتبها وللفاعلين بفصولها أيضاً فيما بعد. لأن عالمنا العربي ما زال لا يحفظ وثيقة ولا يحرص على الأمانة لأبنائه حتى ولو بعد قرن أو دهر، بينما كما صرنا نعي ونعرف أن أعداء شعوبنا وأوطاننا يتابعون قضايانا أولاً بأول، ويعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أحداثنا وخططنا وآمالنا الموءودة من قبلهم وبأيدينا.

وقد قسم كتابتها إلى فصول قصيرة بأرقام متسلسلة بلغت خمسة وثمانين، ضمت بدايات عن النشأة الأولى، المدينة الأولى، الكوفة، والعائلة، الوالدين والإخوة والأخوات وأبناء الحارة، المدرسة والكتاب، الزقاق والنهر، رحلة الطفولة السريعة إلى عالم الخرائط السياسية والصراعات والهموم الكبيرة لشاب تتقدم به السنوات لتحمل أعباء كبرى واهتمامات وطنية واجتماعية وسياسية فكرية. فدلف إلى الانتساب الحزبي والقراءات الأولى لمصادر التثقيف الشيوعي، من قصص ودواوين شعر وكتب تاريخ وفلسفة. ذكر "مررنا بانتقالات كبيرة في نوع الأدب الذي نقرأ: قبل حلقة

الأصدقاء كانت القراءات تتجه نحو بعض مواد التاريخ، عن البطولات المثيرة لسيف بن ذي يزن، والمقداد ابن الأسود الكندي وفتح خيبر ثم اتجهت نحو أدب أكثر أهمية ومعاصرة كمطالعة مجلات "**الفجر الجديد**" المصرية و"**الهاتف**" و"**المثل العليا**" النجفيتين ثم تحولت المطالعات نحو الأدب الماركسي ومنشورات العصبة ودار الحكمة وحزب التحرر الوطني وقصة "**الأم**" **لمكسيم غوركي**، وكان شعر (محمد مهدي) **الجواهري** و(معروف) **الرصافي** غذاء لا يمكن الاستغناء عنه، قراءة وحفظاً، وتداول كثرة من الحزبيين قصيدة "**أين حقي؟**" **لمحمد صالح بحر العلوم**، مكتوبة بخط اليد، أو حفظوها". (ص34-35).

وبعد الانتساب بدأت صفحات العمل السياسي وعواقبه، في ظروف العمل السري والسجون والمحاكمات والمطاردات والملاحقات، والتظاهرات وتحشيد الأعضاء والجماهير ومتابعة التطورات والتحولات وطنياً وعربياً وعالمياً، من التضامن مع انتفاضات الشعوب العربية إلى الابتهاج بانتصارات الثورات وحركات التحرر العالمي في مختلف القارات.

وفي الفصل العاشر عنوان: من حياة السجون كتب فيه: حوكمت نهاية عام 1952، أمام المجلس العرفي العسكري بموجب ثلاث دعاوى منفصلة. وسجنت لاثنتين منها. فكانت

الزيارة الأولى لسجن بغداد المركزي، بعد حوالى الثلاثة أشهر من التجوال في مواقف الشرطة في الكوفة والنجف وكربلاء ومعتقل الرستمية في بغداد (ص47). وفي هذا الفصل كتب عن السجون وقضايا التثقيف الحزبي فيها، بدءاً من النظام الداخلي للحزب وبرنامجه، وقضايا متنوعة، فكرية وأدبية وتاريخية، وإلى استذكار المناسبات الوطنية والأممية، ورغم انشغالات الحزب في تلك الفترة بالصراع الداخلي الذي أدى إلى انشقاق كبير وتكوين تنظيم "**راية الشغيلة**"، أقامت منظمة السجن حفلاً تابينياً عن موت **ستالين**، ألقيت فيه كلمات عبرت عن الحزن واستلهام مأثرته، ومن بينها قصيدة للشاعر **حسين مردان** التي ذكر مطلعها:

الصمت ران على الوجود كأنما

لم يبق حي في الطبيعة ينطق

وواصل الكتابة عن الانشقاق ومن ثم التوحيد بعد سنوات وعودة أغلبية التنظيم إلى صفوف الحزب، وانتقل مشيرا إلى الأيام العاصفة في حياة السجناء والأحداث السياسية في العراق، من خلال المجازر التي نظمت للسجناء السياسيين، وكان من بين سجناء سجن الكوت، الذي نقل منه إلى سجن بعقوبة بعد أن انتهت مجزرته.

في السجن الأخير صدرت نشرة جدارية اسمها "**السجين الثوري**" بحثت في جوانب ثقافية مختلفة وخاصة ما يتعلق

بكتابة تاريخ الحزب، اعتبرت مصدراً مهماً للكثير من المؤرخين، في مقدمتهم الباحث **حنا بطاطو**، الذي ألف كتاباً عن تاريخ العراق المعاصر." وفي هذه السنة (1954) تسنى لمسؤولينا الحزبيين في السجن أن ينظموا ثلاث حلقات لدراسة اللغة الإنكليزية. كنت أنا في الحلقة الأولى الأكثر تقدماً، ويديرها المرحوم **زكي خيري**. وقد ساعدني ذلك على استعادة وتطوير معارفي بهذه اللغة عن طريق الممارسة، حينما قمنا بترجمة أحد فصول كتاب القائد الشيوعي الصيني **ليو شاوشي**، وأحد فصول كتاب "**ثلاثون عاما من تاريخ الحزب الشيوعي الصيني**". (ص63). وثبت الكاتب من تجربته في السجون والعمل الحزبي داخلها الكثير ارتباطاً بتطورات الأحداث خارج السجن أيضاً، منتقلاً بين صفحاتها المشهودة، كانتفاضات 1952 و1956، ونجاحات الحزب في تطوير أساليب نضاله وتوسيع نشاطاته وبروزه كقوة رئيسية في الحركة الوطنية العراقية، وصولاً إلى ثورة 14 تموز/يوليو 1958.

كتب في الفصل 16 عنها: "بعد أيام من دخولي السجن للمرة الثانية، تسلمنا بطريقة حذرة جداً في سجن بعقوبة، التي ضمتني و**عدنان عباس**، آخر عدد من جريد الحزب المركزية "**اتحاد الشعب**" الصادر في أواخر أيار/مايو 1958، وكان يحوي مقالة على الصفحة الأولى، بعنوان

"الحكم الأسود اقتربت نهايته"، ورد في المقالة استنتاج يقول "إن حكم الخونة بات على شفا الانهيار" (ص81). وفعلاً تحققت الثورة وأطلق سراح المعتقلين ولم يطل عمر السجن والسجان، وحالما أذيع اسمه كان "أخي **دكتور حيدر إبراهيم** ينتظرني بسيارته ليأخذني إلى مدينة المدحتية، حيث يعمل طبيباً فيها، وأسفت حينما علمت بعد مغادرتنا السجن أن سيارة باص (حافلة) كبيرة كانت تحمل جمهوراً من مدينة الكوفة وصلت السجن لاستقبالي، لكني التقيتهم فيما بعد وفي آب/أغسطس 1958 وفي يوم خروجي من السجن، تجولت في بغداد لبضع ساعات وشهدت انطلاقة وفرحة الجماهير، كما شهدت بدء الخلافات، ثم الخصومة بين الأحزاب الوطنية حول قضية الوحدة والاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، المكونة من مصر وسوريا فكانت الأحزاب القومية تريد الأولى والشيوعيون والديمقراطيون طالبوا بالثاني" (ص82).

هذه الإشارة إلى الصراعات والخلافات واجهها أثناء قيادته للمنظمات الحزبية في منطقة الفرات الأوسط، سواء على صعيد التنظيم الداخلي أو العمل الوطني، وبعد عام تقريباً رشح إلى اللجنة المركزية وانتقل إلى بغداد، بادئاً عمله القيادي في مركز الحزب "بحضور الاجتماع الموسع للجنة

المركزية الذي عقد في الجو المتوتر الذي ساد البلاد بعد احتفالات الذكرى الأولى للثورة وأحداث كركوك، وخطاب **عبد الكريم قاسم** في كنيسة مار يوسف في 20 تموز/يوليو، وكانت قيادة الحزب قد وضعت المنظمات في حالة "الإنذار" كما حدثت عدة مصادمات دموية في الهندية والمسيب والسماوة وغيرها (ص84). وسجل انطباعاته عن أول اجتماع للقيادة يحضره، كان مثيراً وعاصفاً بمناقشاته والتناقضات التي برزت في قمة القيادة، الذي أصدر النقد الذاتي المعروف، والذي أحدث ردة فعل، رأى أن سببها التحول العلني والمفاجئ في التثقيف السياسي للجماهير، دون أي تمهيد فكري ونفسي، وهما ضروريان، واستناداً إلى فهم جامد لمقولة صحيحة في الأدب الماركسي - اللينيني من أن الحزب الجدي هو الذي ينتقد أخطاءه علناً.

هذه الصورة التي سجلها تشرح أسلوب المؤلف التثقيفي وقناعاته الفكرية التي ترسخت لديه أثناء عمله وحتى كتابة هذه المذكرات، عملاً بالتريث والعمل الدؤوب مع الجماهير لخلق التحول والنقلات في نشاطها العام، ومراقبة التغيرات والحكم عليها، مما قد يثير أسئلة أخرى عن طبيعة العمل السياسي في بلاد مثل العراق، وما أدت إليه مصائر العمل السياسي فيها. وهو في تثبيت هذه الصفحات لا يسترجع ماضياً ولى وإنما يريد الإشارة إلى تبدل الأحوال وتغير

المآل، ويرسم ظلالاً لتناقضات الفترات السياسية، وحتى الممارسات والتطبيقات العملية للأفكار والنظريات والانطباعات التي تتولد منها، في أحداثها ووقائعها أو في دروسها وعبرها، وكذلك في ضرورة التفكير فيها.

ولكنه انتقل بسرعة في هذه الفترة الصاخبة والمهمة من تاريخ الحزب والعراق بإشارات واستنتاجات أشبه بالحكم دون تحليل وقراءة متأنية طويلة لأهمية الفترة ودوره والحزب فيها ومحاكمة الأحداث بعقلية يومنا أيضاً، كما ذكر في الصفحة 89 ودراستها من كل جوانبها والإجابة عن الأسئلة الكثيرة التي تكاثرت حينها وبعدها واليوم. ومثل هذه الإشارات مهمة لتوضيح الأحداث، من فتوى التحريم إلى الافتراق بين القوى السياسية والتآمر والأحداث العاصفة في عام 1963، كما سماها في عنوان الفصل عنها.

والكاتب عنصر أساسي في إعادة بناء التنظيم الحزبي بعد إعدام قيادته وشن حملات القمع ضد أعضائه والعودة إلى العمل السري والصيانة والاختفاء في الأرياف بعيداً عن قرارات الإرهاب والإعدام والتصفيات الجسدية والمعنوية. ومن خلال تجربته المهمة هذه يمكن الانتباه إلى قدرات الحزب على التجدد والانبثاق مرة أخرى رغم شراسة الهجوم عليه ومحاولات تصفيته، وإلى إمكاناته في فهم طبيعة هذا

الشعب المعطاء الذي أعطى الآلاف من أبنائه وبناته على طريق الحزب والتقدم وبناء العراق وطناً حراً ومنارة مشرقة، ولكن هذه التجربة لا تخلو من منعطفات حادة، يميناً ويساراً، وتموّجات الضغوط وتطور الوعي السياسي والثقافي العام لدى كادر وقاعدة الحزب أيضاً، من جهة أخرى.

خسر الحزب في عام 1949 قيادته الأولى، **فهد ورفاقه**، بعد أن حوكموا بالإعدام ونفذ في ساحة عامة ببغداد، وفي عام 1963 خسر مرة أخرى قيادته بموحب الأحكام نفسها وأشد الصور بشاعة، قيادة **سلام عادل ورفاقه** الآخرين. وبعد إعادة التنظيم والبناء الحزبي التي أسهم القائد **باقر إبراهيم** بدور أساسي فيها، وفي رفد الحزب بكوادر جديدة وتطوير أعمال القيادة، ورغم ذلك حدث أوسع انشقاق في الحزب، وضعف دور الحزب في صفوف الحركة الوطنية العراقية، بعد أن كان رأس رمحها. وجاءت القيادة الجديدة ببيانات وشعارات زادت الطين بلة دون أن تقدمه أو تسير به نحو شوارع النضال الصحيحة. كتب في ص 133: "كان الاتجاه السياسي الذي تمسك به الحزب واللجنة المركزية عموماً، هو الأقرب إلى المعقولية السياسية، وإلى التصحيح الذي يمكن الحزب من إنضاج تحالف جبهوي جديد يعتمد تعاون الشيوعيين والقوميين العرب والأكراد. لكن التسرع والأخطاء

التي رافقت مساعي اللجنة المركزية للسير بهذا الاتجاه الجديد، الضروري، وخاصة عند وضع سياسة اجتماع آب/ أغسطس 1964، جعلته يتعثر ويتراجع من جديد. وذلك عندما عاد الحزب إلى شعار إسقاط النظام، والبحث في الصيغ الملائمة للنضال ضده، والتي اعتمدت كلها أسلوب "**الكفاح المسلح**"، ابتداء من التقرير المشترك الذي كتبه **عزيز الحاج وزكي خيري** معاً بعنوان: "محاولة لتقييم سياسة حزبنا" إلى الدراسة التي أعدها الرفيق **عامر عبد الله**، بتأييد فريق صغير من أعضاء القيادة بعنوان: "مساهمة في تقييم سياسة الحزب" والتي روجت لأسلوب الانقلاب العسكري ثم إلى الدراسة التي وضعها ثلاثة من أعضاء القيادة هم: **باقر إبراهيم وكاظم الصفار وجاسم الحلوائي**، والتي ردت على الطريقتين بالدعوة لاعتماد استنهاض الجماهير في "**انتفاضة شعبية مسلحة**". مقيّماً ما سبق بالقول: ويمكن القول إن الدراسة الأخيرة، ورغم ابتعادها، هي الأخرى، عن الواقع وممكناته، إلا أنها كانت أكثرها اعتماداً على الموقف الشعبي وأكثرها تطلباً لقيام جبهة وطنية عريضة تقود عملية التغيير في العراق.

ما حصل في تلك الفترة وصولاً إلى عودة حزب البعث مرة أخرى إلى السلطة وضع الحزب أمام مسؤولياته التاريخية

التي حاول قراءتها في كونفرنسه الثالث في كانون الأول/ ديسمبر 1967، ثم في مؤتمره الثاني عام 1970، فوصف الكاتب انشقاق/انقسام (**القيادة المركزية**) في 17 أيلول/ سبتمبر 1967 بالخطير والممتد في كيان الحزب، بعد أن استمر ثلاث سنوات من الصراعات والاستقطابات السياسية والفكرية والتنظيمية، وكانت معالم التدهور في وضع الحزب الداخلي واضحة للعيان. "وإذا لم تكن فرصة للحيلولة دون الانشقاق وإعادة التماسك في الحزب فربما كانت ثمة فرص واضحة لحصره بنطاق ضيق، وبأضرار أقل على الحزب. كانت فترة مواجهة الانشقاق، خاصة في بغداد، التي عدت لتولي مسئولية منظمة الحزب فيها بعد الانشقاق، فترة كفاح عسير ومعاناة مريرة، خاصة لمجموعة الكادر الذي تولى إعادة البناء والتجميع" (ص146).

وقبل انقلاب تموز/يوليو 1968 حاور حزب البعث العربي الاشتراكي بالعراق الحزب الشيوعي العراقي في لقاء بين **أحمد حسن البكر ومكرم الطالباني**، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ولكن الحزب الشيوعي تجنب التعاون مع تيار البكر في قيادة حزب البعث، في بداية الأمر، إلا أنه عاد وتعامل معه بشكل إيجابي بعد أن تسلم السلطة مرة ثانية في تموز/يوليو 1968، فذكر الكاتب أن

سكرتير الحزب **عزيز محمد** زاره في بيته مستفسراً عن موقفه من الانقلاب. فأجابه: "علينا مراقبة تطورات الوضع، وطرح مطالب لتنفيذ ما تقدمه بيانات الحكومة التي سمعناها تواً، وتجنب مهاجمة الانقلاب أو الإعلان عن تأييده. فقال لي **عزيز**: هذا هو ما فكرت فيه أيضاً. ثم التحق بنا **مهدي عبد الكريم**، الذي كان آنذاك منسباً لعضوية المكتب السياسي، وأيد الرأي الذي توصلنا إليه" (ص150).

وعلى مدى عشر سنوات من استيلاء حزب البعث على الحكم إلى خروج معظم قيادة وكوادر وأعضاء الحزب الشيوعي من الوطن واختيار الهجرة اضطراراً وإكراهاً أو تكتيكاً ومعالجة لأوضاع شاذة وتطورات إرهابية وملاحقات تصفية، عاش الحزب فترات متناقضة، بين مد وتحالف إلى الإعدامات ورفع شعار إنهاء وإسقاط النظام، من بناء الاشتراكية معاً إلى النظام الفاشي الدكتاتوري. أعدها فيما بعد في تقييم حاول فيه ممارسة النقد الإيجابي دون جلد الذات. وكان **باقر ابراهيم** عضواً في المكتب السياسي المسؤول عن التنظيم والقائد العملي للحزب الشيوعي في هذه الفترة، من التحالف مع حزب البعث والتعاون معه سياسياً إلى الهجرة إلى المنافي بعيداً عن الشعب والوطن، وهو لم يبرح مدافعاً عنه في أزماته ومحنه التي عاشها ولما يزل يكابد قسوتها واستحقاقاتها.

وفي هذه الفترة المحرجة والصعبة لم يكتب ما لها وما عليها بشكل تفصيلي ولم يكشف المستور المفضوح من مواقف المتبارين بمدح ذواتهم والمتبجحين بالعنتريات التي ما قتلت يوماً ذبابة، كما قال الشاعر **نزار قباني**، ولكنهم استطاعوا الهيمنة على الحزب وسياسته وقادوه إلى حيث هو عليه، في لجة الاختلاف والمنافي والتشظي والانقسامات والابتعاد عن السماوات الأولى وبساتين النخيل وشواطئ الرافدين وحتى الأوكار الأولى. وهنا يتوقف القارئ مستفسراً عن الكاتب ومسؤوليته في الإضاءة لهذه الفترة وما صاحبها من تحولات وتطورات على مختلف الصعد، تنظيمياً وفكرياً وعلاقات وطنية ودولية. صحيح أنه أشار إليها في فصول أخرى عبر الزيارات واللقاءات العامة أو بين السطور، إلا أنها تبقى بحاجة إلى الكثير من الجهد الفردي والجماعي، خاصة من مسؤول أساسي في القرار والسياسة العامة للحزب والوطن. (وهذه الفترة القريبة زمنياً لم تنل من غيره أيضاً ممن كتبوا مذكراتهم ما يبين دورهم والحزب والقرارات التي اتخذها والإجراءات التي قام بها، وماذا حدث بتفاصيل وافية وتوثيق موضوعي).

لقد حقق الحزب في تلك الفترة نهوضاً ملموساً ومارس نشاطا شبه علني، ونمت عضويته لتبلغ 75 بالمائة بالقياس إلى أكبر نمو شهدته عضويته في تاريخه، أي في السنوات

الأربع التي تلت انتصار ثورة 14 تموز/يوليو 1958. وحقق الحزب وفق سياسة تنظيمية مرسومة نمواً نوعياً جيداً، حسبما كتب المؤلف في الفصل 27، وشمل ذلك رفع الإعداد النظري والمستوى السياسي لكادر الحزب والتطور الموزون للنمو العددي وتحسين التركيب الطبقي في الحزب وبين كوادره حيث بلغت نسبة العمال والكادحين أعلى نسبة يبلغها. وبالتأكيد أثرت هذه السياسة في سياسة السلطة في إعطاء الحلول الصحيحة للقضايا الوطنية والقومية وفي تحقيق منجزات أدركتها الجماهير الشعبية، ومن جانب آخر كانت موضع قلق الدوائر الإمبريالية والرجعية في المنطقة.

وبعد أن انتهى عرس الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، كما كانت تسمى، وبدأت الحملات التنكيلية بأعضاء الحزب وكوادره من جديد من أواسط عام 1978 شخص الحزب تدهور الوضع العام وانفراط التحالف عملياً، وضرورة تحديد مهمات عمل سياسي وتنظيمي بشكل آخر ليصون الحزب نفسه ويعيد النظر بمواقفه ونشاطاته، وحتى هذه الإجراءات الضرورية والاضطرارية أنجزت في ظروف العجلة والمفاجأة والقلق والهلع التي أثرت في تطبيقاتها السليمة وخلقت بلبلة واهتزازات في الحالة المعنوية وإمكانات المجابهة. ويقيّم الكاتب الفترة بالأسطر التالية: "يمكن تمييز فترة عمل الحزب العلني بين السنوات 1973 - 1978 بأنها كانت على

درجة متطورة نسبياً عن تجربة الصحافة العلنية ومقراتها التي أعقبت ثورة 14 تموز/يوليو 1958 وكانت لفترة قصيرة جداً. إن الظهور العلني الأخير، كان له، ولصحافة الحزب العلنية، آثاره الإيجابية الواضحة في أداء المهمات السياسية، وفي التأثير الجماهيري، وكانت النواقص والأخطاء موجودة بالطبع، لكنها كانت الجانب الثانوي في العمل" (ص159).

كتب في الفصول الثلاثة 30 و31 و32 عن الأيام الأخيرة له ببغداد بقيادة عملية "الانسحاب" والتهيؤ للهجرة، بعد أن ترك معظم القادة الميدان، وشاركهم في أول اجتماع لقيادة الحزب في المهجر، أعلن فيه الانتقال إلى معارضة النظام والعمل على إسقاطه. وهناك اكتشف أن القيادة الحزبية في المهجر ليست بيد الأعضاء المنتخبين لها في المؤتمر الثالث، وإنما بيد أعضاء قيادة منظمة بيروت التي تحولت إلى المركز والموجه لسياسة الحزب وإدارته. وبدأت نذر الصراعات الخفية للتفجر والاستقطابات من جديد داخل صفوف الحزب وهو في المهجر والمنافي العديدة. وفي المهجر بدأت جولة جديدة في إعداد الحزب والتهيئة لسياسة سليمة إلا أن مسارات أخرى أخذت تفرض نفسها وتسحب الحزب إلى اتجاهاتها، ولم تعد اجتماعات اللجنة المركزية بقادرة على قيادة عمل الحزب وإدارة مهماته ونشاطاته، حيث أضيفت أسماء جديدة إلى المكتب السياسي أدارت هي

بالتنسيق مع سكرتير الحزب دفته، وأحدثت أشرعة متعددة وانقسامات واتهامات لا يحتاج إليها الحزب ووضعه في المهجر، مما قاد **باقر إبراهيم** إلى أن يكتب: "ويكفي أن أقول إن **عزيز محمد** كان في مقدمة أربعة مسؤولين رئيسين عن تدهور أوضاع الحزب وهم إلى جانب **عزيز**: **زكي خيري وكريم أحمد وعبد الرزاق الصافي**. تتبدى مسؤولية هؤلاء الأربعة الأولى، كونهم سهلوا ومهدوا لهيمنة رأس المافيا على إعلام وأموال الحزب، ثم على قيادته، وأخيراً سرقة وطنيته. بعد عشرين سنة من التعاون الطيب بوجه عام، على مستوى القيادة، مع **عزيز محمد** والآخرين، أي في أواسط الثمانينات، كان علي أن أبدأ النضال المكشوف ضد أساليب تلك القيادة، ثم أنفصل عنها" (ص133).

لم يبدأ النضال ذلك وظل ضمن إطار القيادة حتى انفجار الأوضاع في المؤتمر الرابع للحزب، بإلغاء عضوية نصف القيادة الحزبية من قبل النصف الآخر، حسب تصريح سكرتير اللجنة المركزية للحزب **عزيز محمد**، وفعلاً حدث ذلك، وكأنها عملية انقلابية أو مبيتة مسبقاً وبطريقة لا تخلو من روح انتقام وضغينة واندفاعات جوفاء قادت الحزب إلى معارك جانبية لم يكن مؤهلاً لها ولا خدمته أو طورت من عمله. فأضافت هذه الممارسات الانقلابية والتنكيلية مسؤولية جديدة إلى القائد الشيوعي **باقر إبراهيم** وكوادر وأعضاء

الحزب الذين وجدوا أنفسهم خارجه بقرارات سلطوية وأساليب متنكرة لكل التضحيات والحرص والتاريخ النضالي.

وقع في مذكرة اعتراضية إلى قيادة الحزب من كادر في القيادة وعدد من أعضاء اللجنة المركزية الذين أخرجوا منها وعدد من كادر الحزب شرحت صور التدهور المريع في أساليب عمل الحزب ونشاطه ومنظماته وابتعاد أعضاء كثيرين منه وتشكل تنظيمات خارجه، وإجراءات التمييز القومي، والتصرفات الغريبة عن مثل وأخلاق الشيوعيين العراقيين أو المبادئ **الماركسية اللينينية**. ورد فيها: "يؤسفنا أن نحيطك علماً بأن الأوضاع في حزبنا قد تردت لدرجة خطرة في ظروف تشتد فيها الحاجة لأن يكون الحزب موحداً على أساس سياسة صحيحة ومراعاة صارمة لقواعد المشروعية الثورية، لكي يكون قادراً على تأدية دوره في إنقاذ شعبنا من كارثة الحرب المدمرة ومن الإرهاب والقمع الدموي الشامل الذي يتعرض له على يد الطغمة الدكتاتورية في بغداد". هذا إضافة إلى قيام السكرتير بأفعال مخالفة لنظام الحزب الداخلي ومبادئ الحزب وتقاليده، مثل تعيين عشرة أعضاء جدد للجنة المركزية بدون أن يعرف المؤتمر أي شيء عنهم، أو عزل أعضاء في اللجنة المركزية دون إشعارهم وشرح الأسباب لهم أو لأعضاء المؤتمر، الذي يعرف دائماً بأنه أعلى سلطة في الحزب، حسب وثائق الحزب المركزية، البرنامج والنظام

الداخلي، كما مررت الوثائق الحزبية بأساليب التراضي الشخصية والإغراءات والتهديدات المعروفة. (كتب رحيم عجينة تفاصيل أكثر عنها في مذكراته، وهو من عداد المطبخ الحزبي الذي كان يقوم مع غيره فيها، ورغم ذلك تعرض هو أيضاً لجزء من الحملة القائمة حينها).

ومن المؤتمر الرابع وإلى كتابة مذكراته واصل **باقر إبراهيم** بطريقته وصبره النضالي خوض الصراع السياسي والفكري داخل الحزب وخارجه، دون أن يقود انشقاقا أو يكوّن حزباً آخر، وفي الوقت نفسه يلتقي ويناقش ويحاور تكونت وأصدرت نشراتها وصحفها ويحاور الكوادر العديدة التي تركت الحزب أو فصلت منه، بطبيعته الهادئة ونزاهته الشخصية، ويتواصل لاستمرار تيار الحركة الوطنية الديمقراطية العريض المستمر في نضاله الوطني التقدمي، بمختلف الوسائل والأشكال، من أجل وطن حر وشعب سعيد.

من طريف ما ثبته في مذكراته في الفصل 48 التصفيات التي تمت في اللجنة المركزية المنتخبة في المؤتمر الوطني الثالث. كانت اللجنة المركزية المنتخبة تضم 44 عضواً ومرشحاً تعرضت إلى جملة تصفيات في ثلاث فترات. ففي خلال حملة القمع عام 1978 فقدت ستة أعضاء بين تصفية جسدية أو معنوية، وهم **محمد جواد طعمة، عزيز وطبان،**

حامد الخطيب، عايدة ياسين (أم علي)، عبد الأمير عباس، وعادل سليم، وألغيت عضويتهم في المؤتمر الرابع. وتصفيات قبل المؤتمر الرابع وشملت الإخراج من العضوية أو الطرد بتهم معروفة لكل من **ثابت حبيب العاني ومهدي الحافظ وبهاء الدين نوري ونوري عبد الرزاق وأسعد خضر وعمر إلياس**. وتصفيات حزبية واسعة أثناء المؤتمر الرابع، وشملت التالية أسماؤهم: **حسين سلطان، ناصر عبود، عامر عبد الله، ماجد عبد الرضا، عدنان عباس، يوسف حنا، عبد الوهاب طاهر، نزيهة الدليمي، باقر إبراهيم، مكرم الطالباني، بشرى برتو، فاتح رسول، زكي خيري، محمد حسن مبارك، جاسم الحلوائي، عبد السلام الناصري**.

بعد المؤتمر الرابع برزت ظواهر تسترعي الانتباه ، كما سجل، منها:

- حالة التشتت والعجز في الوضع القيادي في الحزب.
- عدم قناعة منظمات الحزب وكادره بالكثير من القيادات الحزبية.
- التناقضات في الموقف تجاه القضايا السياسية المستجدة...

وانعكاساً لتلك الظواهر والتطورات توسع النشاط المنظم خارج الحزب. فاستعرض المؤلف في الفصل 51 عدداً من تلك التنظيمات الشيوعية المعارضة في عقد الثمانينات.

ومنها: حزب العمل العراقي، مجموعة من قادة وكوادر الحزب الشيوعي العراقي، المنظمة الماركسية اللينينية، منظمة العمل الشيوعي، الإنقاذ، الثوري، القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، شيوعيون عراقيون، منظمة فهد الثورية، الحزب الشيوعي العراقي - القاعدة، لجنة التنسيق، المنبر الشيوعي.

رغم كل ذلك لم تتحمل قيادة الحزب الشيوعي الجديدة رأي قائد شيوعي أو موقفه فأرسلت إليه رسالة أولية إنذارية تتضمن تهديدات بالافتراق أو الطرد من الحزب، مع التثقيف الداخلي بذلك ضده والمجموعة الحزبية التي أخرجت من المؤتمر ومن ثم من الحزب بشتى السبل والوسائل والخطابات التي عكست عقلية القيادة الجديدة وتصرفاتها في تشتيت كوادر الحزب وإصدار اتهامات وقرارات فصل ومطاردات وقطع المساعدات القليلة التي كان الحزب ملتزماً بها.

إن قراءة مذكرات شخصية سياسية ومثقفة وواعية لما تكتب وتمد السطور تعطي الكثير المضاف لما احتواه الفهرست أو لم يعنونه مبثوثاً بين السطور والإشارات، والاطلاع على مسيرة الكاتب والمناضل في ظروف العراق المختلفة تشد إلى المتابعة وتسحب إلى المشاركة بين حبال

الآلام وتحولات شجرة الحياة وفصولها المتعاقبة. فتضم وقائع وحقائق وخبرة ودروساً، وأخباراً ووثائق وقراءات وتحيات ويختمها بسيرة ذاتية وملحقاً للصور.

وفي صفحاتها تسجيل ذكريات للاستفادة منها ليست عن الماضي وحسب وإنما للحاضر والمستقبل الذي يتغنى به كل حامل روح ندية وقابض جمر خلاق. وتلك هي مذكرات **باقر إبراهيم، اتفقنا أو اختلفنا معه في الكثير أو في القليل منها، فقد أصبحت بكل ما فيها وعليها ملك الناس والوطنيين والثوريين وللعديد من الأجيال ولمستقبل الأعمال.**

لباقر إبراهيم صدرت الكتب التالية:

- **دراسات في الجبهة الوطنية**، دار الرواد، بغداد 1976.
- **حسن عوينة.. ثوري وهب الشعب والوطن حياته**، السويد 1996، وطبعة ثانية في العراق 2010.
- **العراق جديد الحركة وتجديد الطلائع**، بيروت 1996.
- **صفحات من النضال على طريق التصحيح والتجديد**، بيروت 1997.
- **الوطنية العراقية الجديدة.. بين الاستبداد والخيانة**، بيروت 2004.
- **اليسار والاحتلال والمرتدون الجدد**..... بغداد 2010.

أوراق من حياة شيوعي..
هذا ما حدث

أصدر **خالد حسين سلطان صبي**، مذكرات وكتابات والده بعنوان: **أوراق من حياة شيوعي، حسين سلطان صبي**، وصدر كتاب: **هذا ما حدث لعدنان عباس**، في فترة متقاربة عن دار كنعان ومؤسسة عيبال للدراسات والنشر. (الأول في عام 2007 و الثاني 2008)

والمرحوم **حسين سلطان** (1920- 1992) **وعدنان عباس** (من مواليد 1937) هما رفيقا نضال في منطقة عمل واحدة وفي فترة متقاربة، قضيا أكثر من ثلثي عمرهما (أكثر من خمسة عقود) داخل التنظيم الحزبي والحركة الشيوعية، وظلا وفيين لقيمها ومثلها ومبادئها، حيث واصل الأول نضاله الشيوعي إلى آخر أيامه وقبل رحيله توقف مع مناضلين آخرين لخلق حركة وبرنامج إنقاذ للوضع السياسي في العراق، بينما يواصل الثاني كفاحه السياسي، مثل كثيرين غيره من القادة والكوادر الشيوعية فعلا بالطرق التي يرون أنها مازالت فعالة ومؤثرة ، حتى ولو إلى حين.

في جهوده لتسجيل صفحات من تاريخ والده، نقل خالد ما نشر عنه من مقالات بعد فقده، لرفيق نضاله، القائد الشيوعي **باقر إبراهيم**، ولعدد آخر من الباحثين والسياسيين العراقيين. ونشر ما حصل عليه من أوراق كان قد تركها أو أودعها الراحل أصدقاءه، وضاع منها عدد غير قليل، وفيها الكثير من التوثيق التاريخي لأحداث لعب الشيوعيون العراقيون أدواراً بارزة فيها خلال تاريخهم الوطني. مثل السجون والمعتقلات، وهي وحدها شهادة نضال وطني وتعرية للسلطات والقوانين والإجراءات التي كانت تتحكم في السياسة العراقية الداخلية والتأثير الخارجي، الاستعماري فيها. أول اعتقال له كان في أيلول/سبتمبر 1949، في سجن بغداد ومنه نقل إلى سجن الكوت قبل أن يطلق سراحه ويوضع تحت المراقبة، وبلغة بسيطة وواضحة يصف السجن والسجانين وعدد المعتقلين وحياتهم في المعتقل والأحكام التي صدرت عليه من بعد، ويشير إلى البرنامج اليومي الذي كان الشيوعيون يضعونه في السجون، سواء في سجن بغداد أو الكوت أو نقرة السلمان، ومنه التثقيف والانضباط والتربية الحزبية والتراتبية التنظيمية والتواصل بين المنظمات والقيادات المركزية وخوض المعارك مع السجانين وقواعد السجن وغيرها من المسائل الحياتية التي عاشها الراحل في تلك الأيام. ثم ينتقل إلى قضية مهمة هي التخطيط للهروب من

السجن، بحفر نفق من داخل المعتقل إلى خارجه والهروب منه، وقد ذكر عدداً من هذه المحاولات، وأبرزها قصة النفق والهروب من سجن الحلة المركزي. الذي تمكن هو و45 سجيناً شيوعياً من الهرب منه، وكان التخطيط أن يخرج قرابة المائة منهم. ويسهب في شرح ظروف العمل والسجن والاختلافات الداخلية ورغم كل المعوقات المقلقة نجحوا في إنجاز نفق ذي مواصفات "فنية" وبجهود متواضعة ومتواصلة وبشكل مدهش، اعتبر حينئذٍ عملاً شيوعياً بطولياً. وبعد الانطلاق عاد إلى العمل الحزبي والنشاط السياسي وإدارة العمل التنظيمي، وصولاً إلى اعتقاله الأخير، كما سماه، عام 1969، على يد الحلفاء الجدد، الذين عادوا إلى تسلم السلطة قبل عام. ويقص الحدث بأسلوب ممتع وشيق على طريقته في وصف المفارقات والتناقضات والطبيعة النضالية التي يتمتع بها في أحلك الظروف. ولا ينسى وهو في معمعان الكفاح الحديث عن رفاقه الآخرين ومصائرهم التي حددها لهم خصومهم السياسيون في السلطة ودعاة التحالف معهم، مثل **محمد أحمد الخضري**، أو أفراد من عائلته، ومنهم والدته التي دخلت السجن هي الأخرى بسببه ومشاركتها في تنفيذ تكليفات حزبية.

ومن المواضيع المنشورة في الكتاب عدد من المقالات أو الخواطر التي كتبها الراحل في ظروف وفترات متفرقة، من

بينها تقييمه لقيادة السكرتير الأول للحزب **عزيز محمد**، وغيره من المعاونين له في القيادة. وكذلك مداخلته في الكونفرنس الحزبي الثالث ودعوته إلى الانتباه مما سماه (تكريد الحزب الشيوعي العراقي عمل ضار مبعثه نظرة قومية وحيدة الطرف). وفيها إشارة صريحة منه إلى ما كانت عليه مسيرة القيادة وما آلت إليه بعد ذلك. وذكر بأنه كتب للقيادة الحزبية رسالة عام 1968 ينبهها إلى أخطار جدية في سلوكها، ويحذرها من الوقوع في خطأ التمسك بالجزء مع تجاهل الكل، "وأعني بذلك هو أن لا نضحي بحركة التحرر العربي الممتدة من الخليج إلى المحيط والتي يقع فيها شريان حياة الإمبريالية (النفط) وهذا هو الكل المضحى به، وأن نتمسك بالحركة الكردية وإن كانت محقة في كل أهدافها" (ص 118). وواصل تحذيره في نص آخر عنونه بـ: ما أشبه الليلة بالبارحة. مذكراً بفترات أصيب الحزب بالعزلة السياسية بسبب مواقف متطرفة من قياداته، وكتب: "إن من يريد خداع النفس يحاول نسيان الوقائع المرة، القريبة منها والبعيدة. ولكن لمحة عابرة لمواقف حزب البارتي (الحزب الديمقراطي الكردستاني) من حزبنا تبين بوضوح أن هذا الحزب يسعى لجعل حزبنا تابعاً له، وإذا تعذر ذلك يسعى إلى تخريبه من الداخل" (ص121). وأضاف: "وإذا أخذنا تركيب المؤتمر الثاني لحزبنا يكون موضوع هذه الوتيرة لا يحتاج إلى البرهان،

حيث أن رفاقنا الأكراد والأقوام الأخرى غير العربية يكونون أكثر من 75% من نسبة المندوبين. ومن أصل 22 (أعضاء اللجنة المركزية) لا يزيد عدد العرب بين 4 إلى 6 أشخاص وهذا دليل آخر على صحة المسألة التي نحن بصددها". (ص 123). وناشد في ختام الرسالة للرفق بعملاق العراق، حزب الحياة رغم كل الهفوات والنواقص والأخطاء، "وأن تاريخه لا يرحم المتجاوزين على مبادئه مهما كانت مكانتهم، وأرجو ألاّ تغرب عن بالكم الحكمة القائلة (لا دخان بلا نار) وما هذه الصيحة إلا جزء قليل من الواقع المر في المجالات التي ذكرتها. وأخيراً إذا أصبت في كثير أو قليل مما حوته هذه الرسالة، فالفضل يعود أولاً وأخيراً إلى الحزب الذي ربى من الكادحين المعدمين البسطاء رجالاً يخوضون في مثل هذه المواضيع وإن أخطأت فإن السبب يعود إلى تقصيري الذاتي". (ص131). وسجل انطباعات له في عدد من المسائل مثل القضية الزراعية، وله دراسات فيها وموضوعات للجان المختصة حولها، أو التحولات السياسية والأيديولوجية في الاتحاد السوفياتي، حيث عاش هناك وشاهدها بعينيه، وغيرها. وبالتأكيد هناك مواضيع كثيرة مفقودة للراحل بسبب المنافي وأوضاعها وما حل فيها من تجاوزات وانتهاكات ضده من قبل رفاقه في الحزب، خصوصاً في أيامه الأخيرة من منافيه، ستسجل يوماً ما.

أما **عدنان عباس** فقد كتب ما حدث في مسيرته النضالية في الحزب وخارجه، وهناك ما يتطابق مع ما أورده **حسين سلطان، وباقر إبراهيم، وكاظم فرهود** حيث عملوا سوية في أكثر من منظمة وفترة زمنية، وهناك ما اعتبره موقفاً واجتهاداً منه في تصحيح مسيرة العمل الحزبي والعلاقات السياسية. فبعد مقدمة **باقر إبراهيم** التعريفية والتمهيدية للكتاب، وبعد الفصل الأول عن الطفولة والعائلة والبدايات أو المواجهات الأولى انطلق في تحديد الفترات الزمنية التي خاض فيها غمار العمل النضالي الشاق، بين المنظمات والتنظيمات والسجون والمعتقلات. وهي سمات مشتركة للشيوعيين العراقيين وطبيعة السلطات التي تحكمت في العراق طوال العقود الثمانية من عمر الحزب والعراق.

ما يتميز به **عدنان عباس** أنه عمل في منطقة الفرات الأوسط، ويسمي الحزب منظمته القيادية باسمها، وتطرق طبعاً في مذكراته إلى عمله وأسلوبه والحزب فيها، وهي تجربة كان **باقر إبراهيم، وحسين سلطان** قد ذكراها أيضاً بحكم عملهما أيضاً، وكذلك ذكرها **كاظم فرهود** في مذكراته. ولكن **عدنان عباس** واصل فيها حسب عمله وتدرجه الحزبي وصولاً إلى عضوية اللجنة المركزية، إلى سفراته المتعددة منها للدراسة في موسكو، أو الهجرة الأخيرة. وفيها للمتابعين صورة عن عمل الحزب في مختلف ميادين العمل السياسي

الوطني وفي قطاعات المجتمع العراقي المتنوعة، ومنها ما يلفت الانتباه، ككسب رجل إقطاعي للتنظيم الحزبي، كما ذكر ذلك **حسين سلطان**، أو تشكيل هيئة مختصة فلاحية بعد انعقاد الكونفرنس الحزبي في الفرات الأوسط عام 1956 وقيادتها للانتفاضات الفلاحية في المنطقة، واستمرارها إلى حين اعتقال **عدنان عباس مع حسين سلطان** قبل الثورة وبعد خروجهما من السجن واصلا العمل في ظروف الانفتاح والصراعات بعد الثورة. ويفرد موضوعاً إلى احترام الحزب أو منظمته للشعائر الدينية واحتلالها قدراً كبيراً من نشاط منظمات الحزب، وتشكيل لجنة حزبية مهمتها الوجود في مدينة كربلاء إبان الزيارة الأربعينية لاستشهاد **الإمام الحسين** (ع) وتنظيم العلاقة مع رفاق الحزب الذين كان لهم دور نشط في تنظيم المواكب الحسينية، والمواكب الأخرى من مناطق العراق وطرح الشعارات المعبرة عن رفض الظلم والعبودية ونصرة العمال والفلاحين والكادحين (ص56). كما أشار الكاتب إلى ملاحظة مهمة لها وقعها في الحياة الحزبية والسياسية عموماً، بكلماته: "لقد أتاحت ثورة الرابع عشر من تموز/يوليو إمكانات كبيرة أمام الحزب من بينها الدعوة لإشاعة الديمقراطية في البلاد وإنهاء حكم الفرد وحالة الطوارئ وإلغاء المحاكم العسكرية في البلاد وجعل هذه المهمة لها الأولوية. وكان هذا بالطبع يتطلب أن تمارس هذه الديمقراطية

في صفوف الحزب الشيوعي أولاً وبعد الثورة مباشرة وذلك عن طريق عقد مؤتمره وانتخاب قيادته بدلاً من اللجوء إلى أسلوب التقديمات إلى القيادة والتي أثبتت الوقائع بأنها كانت البلاء على الحزب وانعكس تأثيرها السلبي على مسيرة الشعب والحركة الوطنية" (ص95). وبعد انقلاب شباط/ فبراير 1963 شرح عمل المنظمة الحزبية ودوره في قيادة المقاومة له والعمل الحزبي، وذكر أن من: "أبرز ما قامت به فرق المقاومة صيانة الرفاق والتنظيم وديمومة الاتصال مع المدن، وجعل مناطق الريف مغلقة بوجه زمر الحرس القومي بشكل عام وقطعت عليهم خط الرجعة بعد انقلاب 18 تشرين الثاني 1963". (ص111). (كتب عنها زكي خيري في مذكراته، حيث كان معاقباً ومنسباً للعمل في منظمة الفرات الأوسط). ومن تراجيكوميديا التجربة السياسية في العراق، طبيعة العلاقة مع حزب البعث العربي الاشتراكي الذي عاد إلى الحكم بعد تموز/ يوليو 1968، والتناقضات فيها، بين توطيد العلاقات ومواصلة الحزب الحاكم خنق عمل الحزب الشيوعي وتصفية قيادات وكوادر بارزة في مواقفها منه، وهذه قضية تحتاج وحدها إلى مؤلف مستقل من أصحاب الشأن في قيادة الحزب التي لم تبرر لهم الصمت عنها حتى الآن.

خصص **عدنان عباس** من جانبه صفحات لشرح ظروف الحزب وعمله وجهود الرفيقات والرفاق في تحقيق نجاحات

لا يستهان بها على مختلف الصعد حينئذٍ، ودور المنظمات الحزبية ونشاطه فيها، وصولاً إلى التحضير وعقد المؤتمر الوطني الثالث للحزب في أيار/مايو عام 1976، (المؤتمر الثاني في أيلول/سبتمبر 1970، والمؤتمر الأول عام 1945). وذكر ملاحظة لافتة بعد الإشادة بتجاوز الصعاب والتماسك في القيادة وفي ظل نظام لا يعرف إلا لغة القوة والتعالي وعدم التقيد بالتزاماته وتحالفاته، أن تلك الفترة لا تخلو من الثغرات في عمل القيادة وبشكل خاص في مكتبها السياسي الذي كان يعاني العجز في أداء مهماته بالشكل المطلوب. (ص173). وأكد ذلك بعد انعقاد المؤتمر واقتراح ترشيحه إلى المكتب السياسي أيضاً.

ما يعرفه الشيوعيون عموماً إجادة صوغ البيانات والبلاغات، ولكن التطبيق له قصص وحكايات كثيرة، ومن بينها الاختلاف مع الحزب الحاكم والتحول إلى معارضته، ورفع شعارات تدريجية في مناوأته حتى إعلان الكفاح المسلح والتحالف مع الأحزاب الكردية في شمال العراق وتشكيل فصائل الأنصار. وهذه قضية ما زالت بحاجة كبيرة إلى الدراسة والتحقق والحكم عليها، وقد ألمح **عدنان** إلى بعض ملابساتها، ومنها خاصة بعد نشر بيان المكتب السياسي بشأن ما سماه **نكبة بشت آشان**. ومن أغرب الصور التي تتكرر عند أغلب أعضاء القيادة الحزبية في مذكراتهم هو فقدان الثقة

المتبادلة، يصفها **حسين سلطان** بتكسر الزجاج، وسوء التعامل معهم من قبل رفاقهم في القيادة أيضاً، فكيف كانوا يتعاملون كقيادات في قيادة واحدة؟ ولماذا حل بهم ما حل؟ وكيف يكون التعامل مع الأعضاء في الحزب بعد قراءة هذه الحالات؟. وقد أشار إليها **عدنان** في أكثر من نهاية لمرحلة من عمله، وليس آخرها ما حصل له، ولعدد من القادة، مثل **مهدي عبد الكريم وثابت حبيب العاني وصاحب الحكيم**، قبل مغادرة كردستان والبحث عن مكان آمن بعيداً عن عيون رفاقهم القياديين، (ما كتبه من ص 272 إلى ص 278) وهو أمر مثير للغاية، ولا بد من تفحصه بعمق ومقارنته بمسيرة الحزب ونوعية قيادته ومسؤولياتهم الحزبية والوطنية والأخلاقية. (وهذه الملاحظة تتكرر في أغلب المذكرات التي نشرت بشكل أو آخر).

فصّل الكاتب في مرحلة المؤتمر الرابع للحزب في تشرين الثاني/نوفمبر 1985 وما بعدها، والخلافات والاختلافات التي قامت خلالها، بما خصه منها، وقد ذكرها أيضاً **باقر إبراهيم** في مذكراته، كما وردت في مذكرات **رحيم عجينة**، **وزكي خيري** ولكن كل من زاوية نظره الخاصة. ولم يتطرق إلى الانقسامات الحزبية والمنظمات التي تأسست بعدها وصلاته أو حواراتها معه، **كالمنبر الشيوعي** مثلاً، ولا إلى نشاطه ونشاط منظمات أخرى في الدعوة إلى التجديد والتغيير

في الحزب والحركة الشيوعية العراقية، وقد أشار إليها **باقر إبراهيم** في مذكراته، وألمح لها **رحيم عجينة**، إلا أنها وبضغوط ومواقف مترددة، من بينها من **باقر وعدنان** وغيرهما، لم تتخذ مداها الطبيعي، إضافة إلى الأحداث السياسية والتغيرات في الساحة المحلية والدولية ومغامرات النظام العراقي في حروبه المتتالية أسهمت إلى حد ما في تفريق هذه المحاولات التجديدية، وتركت لمن تبقى في جسم الحزب العمل مع القوى الكردية والاصطفاف معها حتى احتلال العراق وما تلاه. حيث ذكر **عدنان** أنه أيد ما رفعه رفاقه، **باقر وحسين وعامر عبد الله** وغيرهما من مذكرة اعتراضية شكلت انشطاراً واضحاً وأكدت على ما تم في المؤتمر وما تسرب من تصريحات من قيادات فيه، وحسمت الموقف مع من "طردهم" منها واستفرد بالحزب بدونهم، وأغلبيتهم من العرب ومن ذوي الخبرة والتضحيات الكبيرة في بناء الحزب في أحلك الظروف، كما سجلوا في مذكرتهم، وقد استبعد من عضوية اللجنة المركزية حينها، حسبما سجل: **نزيهة الدليمي، زكي خيري، عامر عبد الله، جاسم الحلوائي، باقر إبراهيم، عبد الوهاب طاهر، عدنان عباس، حنا إلياس، فاتح رسول، حسين سلطان، ماجد عبد الرضا، ناصر عبود، بشرى برتو**. وسبق تجميد أو استبعاد رفاق قبلهم من اللجنة المركزية أيضاً (**مهدي الحافظ ونوري عبد**

الرزاق)، وحدث ولا حرج عن الكوادر الحزبية القيادية وغيرها. وقد تكون مفارقة هنا الإشارة إلى استثناءات غريبة على التقاليد الحزبية حصلت في هذا المؤتمر مثل ترشيح عشرة أعضاء في اللجنة المركزية من قبل السكرتير العام دون معرفة أي شيء عنهم. وتبين أن أغلبهم من الأسماء المرفوضة من قواعد الحزب في عملهم معها، وكذلك ضرب تحفظات عدد غير قليل من المنظمات والكوادر الحزبية على وثائق المؤتمر وغيرها من المسائل، ومنها مثلاً إشارة إلى "إهمال المؤتمر للملاحظات القيمة التي قدمتها الأحزاب الشقيقة، وخاصة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي البلغاري والحزب الاشتراكي الموحد". (لماذا؟ وما هو توضيح مثل هذه الملاحظات القيمة وما هي الرسائل فيها، من الطرفين؟!). ثم نشر نصاً من مذكرات **باقر إبراهيم** يشير إلى موافقته على المذكرة وتقديمه رسالتين إلى اللجنة المركزية في أيلول 1986 وفي آذار 1988 كشف فيهما الدور التخريبي المقصود لاستحواذ أقلية على سياسة الحزب وتنظيمه، وتحطيم المعارضة الداخلية لها (ص297 وما بعدها). وفي هاتين الرسالتين المنشورتين الكثير من المحاكمات الصارخة التي تتطلب هي الأخرى توضيحات من قيادة الحزب التي مارست مثل هذه الأعمال وأخلت بالعقد الحزبي والوطني ولابد أن تتحمل مسؤوليتها عما جرى

وحصل للحزب بعدها. ومن بينها الاستهانة بحياة رفاق وقضايا الصيانة والعلاقات والمالية والصلاحيات والفردية وصولاً إلى اعتقال رفاق وتعذيبهم وممارسة خداع ومراوغة وفساد ورشوة ودسائس وغيرها. وختم مذكراته في لندن حيث يقيم وما استطاع أن يقوم به ونشط ضمنها في اللقاءات العامة وبعض المسميات الثقافية العراقية التي تشكلت كرد فعل للأحداث العاصفة في العراق وحوله.

تظل هذه المذكرات، لكل من أصدرها وخرجت من بين يديه، مسؤولية تاريخية وأمانة ثقيلة وفيها الكثير من القضايا والمسائل التي تتطلب إعادة نظر وتحمل تبعاتها، وفيها مرافعات ووقائع خطيرة، وفيها ما هو أقرب إلى التهم القاسية، وبالتأكيد التاريخ لا يرحم والشعب العراقي ينتظر الكثير من أبنائه الغيارى، لاسيما الآن، في هذا الزمن الصعب والاحتلال البغيض. وما كشفته المذكرات من وقائع وقضايا مهمة، بما فيها فضائح وتهم قانونية، تتطلب مكاشفات صريحة ووقفات شجاعة ومراجعة فعلية لتجديد وتغيير بناء حركة اليسار عموماً وخطابها الفكري والسياسي اليومي وتيارات الحركة الوطنية العراقية.

سيرة كاظم فرهود:
من السجون إلى رئاسة اتحاد الفلاحين

تكمل "سيرة.. وذكريات.. وود مقيم " للقائد الشيوعي **كاظم فرهود الياسري** مذكرات القادة الشيوعيين **باقر إبراهيم وحسين سلطان وعدنان عباس**، لأسباب كثيرة، من أبرزها عملهم المشترك في أغلب المجالات والسجون والفترات المتقاربة وتشابه التجربة السياسية والخبرات التي عاشوها وخصال إنسانية تمتعوا بها. وقد يكون في صفحات السيرة وصل لما انقطع في مذكرات القيادات الأخرى في أغلب المحطات التاريخية التي عاشتها الحركة الشيوعية في العراق وملامسة لأحداث مشتركة أو متفرقة أو مختلفة دون تفاصيلها.

الكتاب في 334 صفحة من القطع الوسط وطباعة متعبة للقراءة في زمن الثورة التقنية في الطباعة وفي الزمن العراقي "الجديد" في النصف الثاني من عام 2008 واحتوى على تسعة أقسام ومقدمة وملحق صور بالأسود والأبيض لا تعرف ملامح أصحابها إلا لمن يعرف أشخاصها. وقد تفصح هذه الطبعة المتواضعة عن عنوان آخر لمشكلة السيرة والذكريات

والحركة الشيوعية بعمومها في العراق وما مر عليها من تعقيدات الصراعات والكفاح الوطني الذي سجل التاريخ لها صفحات بطولية كثيرة ومآزق عديدة ونكسات في القيادات وطبيعتها ودورها في تلك الصفحات. وقد يلاحظ القارئ من البداية في المقدمة وفقرات الأقسام كثرة السجون والمعتقلات ومحاولات الهروب منها، وهي السمة المشتركة له مع غيره من تلك القيادات والكوادر الشيوعية التي أفنت شبابها فيها وفي فترات المد والجزر للحركة الوطنية العراقية. (أغلبها تجارب فاشلة ولأسباب مضحكة، لم يستفد منها ولم يعتبر من سابقاتها، لا هو شخصياً ولا رفاقه كعادتهم)!.

بعد الصفحات الشيقة عن الطفولة والبدايات تبدأ السيرة الفعلية للعمل السياسي والفكري ومخاضات النضال الصعب الذي خاضه الشيوعيون العراقيون في الفترات التاريخية التي عاشها الكاتب وغيره، بعد الحرب العالمية الثانية وقبيل **ثورة الرابع عشر من تموز/يوليو 1958**، (يلفت الانتباه أن **الياسري** يسميها في أكثر من موضع من سيرته بالانقلاب، خلافاً لكل ما كتبه الشيوعيون العراقيون وتفاخروا به في أحداث الثورة التي هزت التاريخ في العالم العربي والمنطقة عموماً!)، ومن ثم ما أعقبها من تطورات وتغيرات دراماتيكية بعد الصراعات في الحركة الوطنية ومسيرة الحزب وانشقاقاته وتأثيرها في مجمل حركة التحرر الوطني في العراق.

يحاول في المقدمة أن يعتذر من احتمالات الخطأ والنسيان عن الذاكرة التي وفرت له ما سجله على الورق من ولادته حتى آخر العمر كما سماه، وبيّن فيها رغبته في السنوات الأخيرة من عمره في الكتابة عن سيرة حياته مع شيء من الذكريات ومتعته في التسجيل والتوثيق ليضعها بين يدي أبنائه وأحفاده والمقربين إليه وليرضي نزعتهم للاطلاع والاستمتاع بلحظات من الفائدة. فهل ستكون خبرة السجون مفيدة أيضاً؟، رغم ضرورة توثيقها والكتابة عنها بتفاصيل موسعة، حيث أسهب في وصفها وسجل أنه دخلها منذ أواسط 1948 حتى أوائل عام 1955 ومرة ثانية منذ أواخر عام 1957 حتى ثورة 14 تموز/يوليو 1958 ومرة ثالثة منذ شباط/فبراير 1966 حتى تشرين الأول/أكتوبر 1966. متنقلاً بين سجون الحلة والكوت ونقرة السلمان وبعقوبة وموقف بغداد المركزي. ومن طريف هذه القصص ما ذكر في الصفحة 46 عن حياة الشيوعي في سجن الكوت نموذجاً لحياتهم في بقية السجون وحسب ظروفها المتقلبة في أغلب الأحيان. فكانت أيامهم موزعة ومنظمة بين النهوض صباحاً لتأدية التمارين السويدية باعتبارها واجباً ملزماً. وبعدها الانتظام في حلقات أو فرق للأكل وتأدية الخفارات مثل: تنظيف ردهات السجن، خفارة العمل في المطبخ، خفارة غسل الملابس الاعتيادية، والخفارات الدائمة الدورية لشغيلة الفرن والمخزن

والصيدلية ومن ثم التعاون والمشاركة في بقية الواجبات والمستلزمات الأخرى. وهي واجبات يومية للسجناء الشيوعيين فضلاً عن البرامج التثقيفية التي عرفوا بها، ومن بينها مكافحة الأمية وتعلم اللغات الأجنبية وغيرها. وهي في كل الأحوال رغم قساوتها تبقى مدارس يتذكرها السجناء بعد حين من غياب والتحاق بمشقات الكفاح اليومي والصراعات السياسية والتنظيمية. وتكاد تكون سمة غالبة لكل المذكرات التي صدرت والقصص المتداولة عنها بين العوائل الشيوعية. ومن وقائعها المفجعة مشاركته في الانشقاقات الحزبية وانقسام المنظمات داخل السجون وطبيعتها في العلاقات الاجتماعية وأمثالها.

ومن طريف ما ضمه الكتاب رده على كتاب "**عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي**" لمؤلفه عزيز سباهي الذي عد تاريخاً موثقاً ومزكى للحزب، قدمه عبد الرزاق الصافي، عضو المكتب السياسي للحزب حين صدوره. وهذه قضية لافتة للانتباه عن طريقة تأليف الكتاب وتوثيقه الحزبي لقيادي معروف فكيف يكون الأمر مع بقية الكوادر والوقائع والحقائق؟. فبعد اقتباس النص الوارد في الصفحات 103-113 رد عليه بالنص التالي: أن السطور التي كتبها الأستاذ **سباهي** عن سيرتي الشخصية قد أوجدت في نفسي تداعيات محزنة أو فراغات موحشة، خاصة بيني وبين "عقود". وأشار

إلى الهنات مصححاً بعض ما ورد في النص. فلم يكن فلاحاً مثلما ورد في النص ولا كذلك فراشاً، ورآه تخبطاً في التوصيف له شخصياً، وتوقف عند نقطة الضوء الرئيسية التي تستحق المناقشة والتعليق أكثر من غيرها، (ص 160) وهي أن الأستاذ كتب ما يلي: "وقد وجه للحزب انتقاداً شديداً لاختياره وهو لم يعد فلاحاً كرئيس للهيئة المؤسسة للاتحاد... الخ". فرد عليه بتفاصيل يعتبر ما ورد هجوماً وعداء صادراً عن الخصوم والأعداء وموقفاً طبقياً مناوئاً مهما كانت الذرائع والحجج التي تذرعوا بها. وكتب: إن النقد في ظلال معتمة وفي أجواء الانكسارات والهزائم كثيراً ما يؤدي إلى حسابات خاطئة ومضامين سطحية. فقد كان بالأحرى التركيز على المسألة الأعظم أهمية ألا وهي سياسة الاتحاد وتطبيقاته، وممارساته وعلاقته بالفلاحين، رغم قصر المدة في عمله التي لم تتجاوز الخمسة أشهر". (ص 162). وواصل في السياق نفسه، أنه بعد انتهاء عمله في الاتحاد العام للفلاحين عاد إلى العمل الحزبي في منطقة الفرات الأوسط وعمل في الأساس مع الفلاحين، ولم يكن طارئاً أو دخيلاً. وشعر أن كل المواصفات التي وضعها كتاب سباهي لا تتساوق مع واقع الحال له ومتناقضة مع الحقائق المعلومة عنه حزبياً وشعبياً.

شرح في الأقسام السبعة الأولى سيرته وملاحظاته

وتنقلاته بين العمل الحزبي والسجون والسفر للدراسة وعلاقاته الحزبية ومواقفه من الانشقاقات/الانقسامات والتحاقه بها وعودته منها ومن ثم تخليه عن العمل الحزبي ودخوله (في وادي غشيته ضروس) أي كما شرحه في واد مطره قليل، حين جمد نفسه عن العمل الحزبي تحت تأثير الشعور النفسي السلبي والمرارة! (ص 4). (لماذا هذه الانشقاقات وما هي أسبابها وأين وصلت؟ مرّ **كاظم فرهود الياسري** عليها سريعاً ومثلها قضايا مهمة وأساسية في تاريخ الحزب ومواقفه وقياداته، كما فعل غيره أيضاً في مذكراتهم). لكن عاد إلى العمل في الميدان الفلاحي بين عامي 2004-2005 وتركه لينشر سيرته وذكرياته ويقيم وده في آخر عمره، بين عائلته وأحفاده وجماعته من المحاربين القدماء، كما أطلق عليهم في فصل ممتع، جمعه مع غيره من الأوفياء الصادقين في تذكر مناضلين مجهولين جادوا بأغلى ما عندهم في سبيل قناعاتهم وطموحاتهم في حزب وشعب ووطن حر سعيد.

خصص القسم الثامن من الكتاب **للجمعيات الفلاحية** والاتحاد العام ومسيرته ونشاطاته وتسجيله وما آل إليه في زمن الاحتلال ومناضليه. وهي صفحات مهمة في تاريخ الحركة الفلاحية في العراق والعمل الديمقراطي. أما القسم التاسع فاهتم بمحاولات **الهروب** المتكررة من أغلب السجون

التي دخلها في تلك الفترات. ولعل هذه الصفحات تثبت عزم الشيوعيين على التخلص من قيودهم بكل الأساليب والأشكال، ومنها عمليات الهرب من السجون وعذاباتها. كما سجل صفحات أخرى عن بعض الأمهات الرائعات للمناضلين الشيوعيين ومشاركتهن في العمل السري والواجبات الحزبية في تلك الظروف الصعبة، وهي إشارات موفقة وحسن تذكر لأسماء لابد أن تستعاد وتنال حقها في سجلات التاريخ والمستقبل.

(سيرة وذكريات وود مقيم) صفحات سريعة لفترة طويلة ومسيرة صعبة لأيام نضال وكفاح وطني محتدم، أعطى السيد الياسري ما أوفته ذاكرته وسجل بعضها ولكن الحاجة تظل تلح في ضرورة البوح والشهادة والنقد الذاتي وفي تسجيل واستذكار كل الوقائع والحقائق التي مرت ودور الحزب وأعضائه فيها وفي تاريخ العراق الحديث.

الدكتور رحيم عجينة: الاختيار المتجدد

ذكريات شخصية وصفحات من مسيرة الحزب الشيوعي العراقي

في تمهيدها للمذكرات، كتبت **بشرى برتو**، وهي أيضاً عضو قيادي في الحزب الشيوعي العراقي: "بعد فقدان زوجي، **الدكتور رحيم عجينة**، في يوم 22/ 5/ 1996، كانت مهمة العمل على مسودات مذكراته أكثر ما ألح علي من هواجس. فبرغم أن هذه المسودات لم تحو إلا الجزء اليسير مما قضاه في عمله ونشاطه إلا أنها كانت عزيزة عليه وكان يطمح إلى نشرها، إضافة إلى أنها، ولم أكن قد قرأتها من قبل، جعلت وجوده، طوال عملي فيها، متواصلاً لما حوته من ذكريات مشتركة وحديث صادق اعتاده طوال حياته".

وتلخص مسيرته النضالية والكفاحية أيضاً فتذكر أنه عمل في الحركة الطلابية العراقية في الخمسينيات، وعمل في **حركة الشبيبة الديمقراطية العراقية** في أعقاب ثورة 14 تموز/يوليو 1958، وأصبح عضواً في سكرتارية الجبهة الوطنية والتقدمية العراقية ورافق عملية قيامها والحوار مع حزب البعث، حتى

انفراطها، كما كان عضواً في **مجلس السلم العراقي**. وشارك في 1983 في **حركة الأنصار** في كردستان العراق وأصبح المسؤول السياسي في مكتبها العسكري المركزي. وساهم في فترة وجوده في بناء **الجبهة الكردستانية** وكان العربي الوحيد في سكرتاريتها. وعلى الصعيد العالمي بدا مذ كان طالباً، بالعمل في رابطة الطلبة الأفروأسيويين إلى جانب رابطة الطلبة العرب. وكان عضواً في المكتب الدائم لاتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي. ومن خلالها زار وأقام ومثل الحزب في معظم بلدان العالم، وكان آخر ممثل للحزب في مجلة "**قضايا السلم والاشتراكية**" إذ أغلقت بقرار من الأحزاب الممولة لإصدارها عام 1989. وخلال أربعين عاماً من النشاط السياسي اختصر رحيم عجينة في 430 صفحة من القطع الكبير مذكراته، التي كتبت بشرى عنها: "لقد ذكر رحيم في مذكراته هذه أنها تكاد أن تكون تاريخ حياتنا المشتركة. وهذا حق لولا إيجازها. فهو لم يشأ أن يتحدث عن حياته الخاصة وغناها على أصعدة عديدة أخرى غير الصعيد السياسي، ثقافياً وعلاقات إنسانية وأصدقاء واهتمامات وهوايات شخصية وعلاقة زوجية أضفى عليها، من خلقه الرفيع والتزامه العالي وتسامحه، غنى إضافياً على الرفقة والحياة العملية المشاركة". ص12.

احتوى الكتاب قسمين، الأول ضم 15 فصلاً، والثاني

وثائق وملاحق. وفي كلا القسمين حياة حافلة بالعمل السياسي والنضال الحزبي التي عاشها وتدرج فيها حزبياً. وهو الذي ولد في العراق عام 1925 ودرس الطب في الإسكندرية المصرية وتخصص في لندن في علوم الأمراض الاستوائية والمتوطنة وتفرغ للعمل السياسي، دون أن يمارس دراساته الطبية. وفي تفرغه السياسي واكب عمل الحزب ومنظماته الديمقراطية واطلع بحكم مواقعه القيادية فيها على مجريات تطوراتها وصراعاتها وانشغل بها وكتب عنها بما اقتنع به منها وما استقر رأيه فيها.

في الفصل الأول الذي عنون بالتكوين الفكري سجل أثر العائلة والبيئة عليه. "لم يقدني الفقر إلى الفكر الاشتراكي العلمي (الشيوعية). فقد ولدت في عائلة كبيرة العدد، في مدينة النجف أواخر عام 1925. (...) أما بيتنا فيمكن القول إنه ينتمي إلى المراتب العليا من الفئات المتوسطة. الوالد، رب العائلة كان تاجر أقمشة بالمفرد. ولربما كان أكبر تاجر مفرد في هذا النشاط في مدينته، أي إننا لم نكن نعاني من شظف العيش في تلك الظروف. على العكس من ذلك كنا موسري الحال بمقاييس الزمان والمكان". "انحيازي وتحولي إلى الشيوعية بدأ إذا فكراً. وتطور إلى موقف سياسي ومن ثم إلى ارتباط تنظيمي. وكانت هذه عملية متواصلة، متجددة مع الأعوام، ولم تنته بعد، فالفكر لن يكتمل ولن ينتهي".

هكذا انتظم رحيم إلى الشيوعية، إضافة إلى عوامل أخرى من البيئة والنشاط الاجتماعي العائلي، من مراحل الدراسة الأولية، حيث"كانت الحركة الطلابية متفاعلة مع الحركات الفلاحية والعشائرية في الفرات الأوسط، ومع النشاط السياسي ضد التمييز الطائفي ضد الشيعة كما كانت تشخصه مدينة النجف بوجوهها الدينية والاجتماعية." ص 15. كما لعبت الأحداث السياسية الكبيرة دورها في وعي الكاتب، ومنها مقتل الملك غازي والحرب العالمية الثانية، وأساتذة المدارس والعوائل النجفية المشاركة في النضال الوطني. ومنها العلاقة **بحسين الشبيبي**، الشيوعي الذي أصبح قائداً أعدم مع **الرفيق فهد**، والحلقات الطلابية. واللقاءات البغدادية مع الشبيبي والمنظم الحزبي الذي سلمه جريدة "القاعدة" ليوصلها إلى التنظيم في النجف. وكذلك الانتقال إلى بغداد والاتصال بآخرين، مثل **عبد الرزاق مطر، ونافع يونس** وغيرهما من الشيوعيين. وبعد فصله من كلية الطب في بغداد غادر إلى مصر في أيلول 1945 للالتحاق بكلية الطب في جامعة الإسكندرية. واعتبر كل تلك النشاطات حصيلة البداية والبذرة الأولى لتوجهاته ومستقبله الحزبي.

في الفصل الثاني كتب عن كفاح الشعب المصري ضد الاستعمار ونضال الطلاب فيه ومشاركاته في المظاهرات، وتأثره بكتابات المفكرين المصريين التقدميين والنقاشات مع

الاتجاهات السياسية للطلبة العراقيين والعرب، مترافقاً مع تطور الأحداث العراقية والعربية لتزيد في اهتماماته .**معاهدة بورتسموث**، وقد نقلتها الصحافة المصرية اليسارية، والمبادرة للتظاهر والهتاف بسقوطها أمام القنصلية البريطانية في محطة الرمل في الإسكندرية. ثم تقسيم فلسطين والتطورات المتسارعة في المنطقة. وصدمه موقف الاتحاد السوفياتي بتصويته مع قرار التقسيم. "واعتقدت وما زلت اعتقد حتى الآن، أن موقف الاتحاد السوفياتي كان خاطئاً وغير مبرر، وما كان عليه أن يوافق على القرار، بل كان عليه أن يصر على إقامة دولة ديمقراطية واحدة لسكان فلسطين جميعاً. ولكن القرار على أية حال اتخذ وجرى تنفيذه". ص 29. وحمل له الكابوس المؤلم مظروف من فرنسا وفيه صور وخبر إعدام قادة الحزب الشيوعي العراقي، وتذكره لراعيه الشبيبي ومنظمه زكي بسيم، والقائد فهد الذي لم يلتقه ولكنه يعرف موقعه السياسي والحزبي. وبعد هذه الأخبار واجهته تطورات الأحداث في مصر: **حرب القنال** والتطوع في فرق التدريب لتشكيل الفرق المسلحة للتوجه إلى منطقة القنال. ثم انطلاق ثورة تموز/يوليو 1952. ولقاؤه القائد الاسمي للثورة **محمد نجيب** عند زيارته للمستشفى العامل فيه." قدمني إليه مدير المستشفى باعتباري طبيبا عراقياً عاملاً في المستشفى. هنأت اللواء نجيب وعبرت عن فرحة الشعب العراقي بالحدث الكبير

في مصر، وكذلك عن تطلعي إلى ثورة قريبة في العراق تتخلص من الإرهاب وقمع الحريات العامة وحظر الأحزاب الوطنية. توقف اللواء نجيب عند كلماتي وحذرني من الأحزاب والحزبيين فهؤلاء هم أساس البلاء. حاولت الحديث معه مجدداً حول الموضوع لكنه واصل واسترسل وهاجم كل الأحزاب العلنية والسرية والوفد من ضمنها. فحزنت وتشاءمت". ص34. وعاد إلى العراق بعد أن انتهت إقامته بمصر، ومنه إلى بريطانيا لإكمال تحصيله وتخصصه الطبي. وهذا ما سجله في الفصل الثالث، الذي لخص في بدايته رغبته وجهوده العلمية والفكرية والبحث عن عضوية في منظمة الحزب الشيوعي العراقي هناك. "جرى الاتفاق على أن نكوّن أول حلقة للدراسة الماركسية. أما العضوية ففي الظروف الصعبة التي تعيشها الحركة ينبغي تحصيل قرار من قيادة الحزب في الوطن". ص37. ومن الطبيعي أن يكون العمل سرياً في بريطانيا أيضاً، وشرح نشاطه في المنظمات الطلابية والندوات وتعبئة الحملات التضامنية مع الحزب وتعزيز العلاقة مع الحزب الشيوعي البريطاني وحضوره مؤتمره الاستثنائي باسم منظمة الحزب الشيوعي العراقي.. مؤكداً على دوره ونشاطات جمعية الطلبة العراقيين، التي تشكلت عام 1952 قبل وصوله بعام.

ذكر عند نجاح ثورة 14 تموز/يوليو في العراق نشاط

جمعية الطلبة العراقيين، كوسيلة وقناة نهض الديمقراطيون والشيوعيون، من خلالها، وطنياً وطلابياً. ثم اجتمعت الجالية العراقية وترأسها وأصدرت بياناً بتوقيعه يدعو الشعب البريطاني وأعضاء البرلمان إلى الطلب من الحكومة الاعتراف بالجمهورية العراقية وتطبيع العلاقات على أسس التكافؤ.

والفصل الرابع أفرده عن ثورة تموز/يوليو وقرار عودته إلى العراق ولقاءاته قيادة الحزب، لاسيما صديقه القديم، **سلام عادل**، الذي أخبره أنه تفرغ للعمل في "جامعة الشعب" طوال الفترة التي افترقا فيها. ومشاركاته في العمل اليومي الحزبي والسياسي، حيث "لم تكن للعمل حدود أيام المد الثوري. فوجدت نفسي في هذه المهمات العديدة، في اللجان الحزبية والعمل الاجتماعي في "الخريجين" والعمل الصحفي والعمل الفكري في "المثقف" والكتابة فيها." ص58، إضافة إلى الوظيفة الرسمية في وزارة الصحة، والنقابات وغيرها. ولاحظ بعد الثورة وجود "التيار الشيوعي الذي جهد لتشكيل حلف واسع يعيد الحياة إلى **جبهة الاتحاد الوطني** التي انفرطت بعد الثورة. والتيار القومي الذي أصر على نهج قومي وحدوي يلحق العراق بالجمهورية العربية المتحدة. ولجأ كل من التيارين إلى تجميع الحلفاء في مواقع السلطة وخارجها، وبين التشكيلات السياسية، وعلى الصعيد الجماهيري، وإلى القيام بالنشاط الذي يراه ضرورياً لتحقيق

أهدافه" ص59. وكان العمل الجماهيري واسعاً ونهج تعبئة الجماهير في أطر متنوعة وزجها في الدفاع عن الثورة نهجاً صائباً، برأيه، ولا يمكن أن تنال منه أو من أهميته وفعاليته بعض الشوائب وافتقاره إلى بعض الوضوح. ص59. فتشكلت "**المقاومة الشعبية**" و"**لجان صيانة الجمهورية**"، تشكيل التنظيم النقابي والمهني والاجتماعي لمختلف القطاعات: المثقفون، المهنيون، العمال، الطلاب، النساء، والفلاحون. وقد ضمت هذه التنظيمات أكثر من مليون مواطن. وخلال اشهر حصلت تلك المنظمات على إجازاتها القانونية وعقدت مؤتمراتها التي حضرها كلها الزعيم عبد الكريم قاسم والوزراء والشخصيات الاجتماعية العراقية. وتشكلت منها لجنة الارتباط للنقابات والاتحادات والمنظمات، وكان رحيم عضواً فيها عن جمعية الخريجين ومن ثم اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي .

تقلصت أعماله المتشعبة تدريجاً لتقتصر على مجالات العمل الديمقراطي ولاسيما في منظمة الشباب، التي كان يقودها نوري **عبد الرزاق حسين** وتضم معه **دارا توفيق وأحمد السعدي وحسين الهورماني وهاشم صاحب**. وتشكلت هيئة ديمقراطية للعمل المشترك في مجال الطلاب إلى جانب الشبيبة. وكانت مؤلفة من الأسماء السابقة إضافة إلى **لؤي القاضي وابراهيم الشيخ نوري**. ونشط في هذه الهيئة وفي عقد

المؤتمر الأول للشبيبة في بغداد في 11- 16 حزيران/يونيو 1959، وتنظيم مظاهرة كبيرة اشترك فيها حوالى ربع مليون شخص وظلت تسير في شوارع بغداد من العصر حتى فجر اليوم التالي. (ص63). وسجل المؤتمر أكثر من 120 ألف عضو، وأصبح نوري عبد الرزاق السكرتير العام ورحيم عجينة نائبه. كما كان رحيم مسؤولاً عن نشاط الاتحاد في حملة مكافحة الأمية، وكان لها في بغداد وحدها 29 مدرسة. "بعد انتكاسة الثورة دعا الحاكم العسكري، بتوجيه من عبد الكريم قاسم، وفداً من سكرتارية الاتحاد للقاء به من اجل تحديد نشاط الاتحاد وبهدف تحريم نشاطه في وقت لاحق" ص 64. وسجل رحيم عجينة رأيه في تطورات المشهد السياسي بعد الثورة : " انتكاسة الثورة خطط لها منذ الأيام الأولى لقيامها (...) وانعكس على شكل صراع بين التيارين القومي واليساري الديمقراطي. وظهرت نتائجه للعيان منذ تشرين الثاني/نوفمبر 1958 في ما تردد عن مؤامرات ومحاولات لإلحاق العراق بالجمهورية العربية المتحدة والتي كان يقوم بها عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني.(...) كان من الضروري ان يحل هذا التناقض. وكان الحزب يدفع بحسمه لصالح تمثيل الحزب في الحكومة. ولكن هذه المسألة لم تكن مقرة ومنتهية داخل الحزب. (...) كانت ضبابية وعدم تمييز للمنابر بسبب عدم إدراك طبيعة الثورة وانغمار جماهير

واسعة في العمل السياسي لأول مرة. ترتبط هذه الضبابية أيضاً بضعف الوعي السياسي والطبقي والمستوى الفكري لدينا وانتقالنا المفاجئ من العمل السري إلى العلني". ص67.

في بداية عام 1960 أقدم **عبد الكريم قاسم** على سن قانون الأحزاب والجمعيات والنقابات. ورغم أن الحزب قدم طلباً للحصول على إجازة العمل العلني إلا أن قاسم تجاوزه وأجاز جماعة **داوود الصائغ** لتشكيل الحزب الشيوعي العراقي. وبدأت المضايقات على الجريدة والمنظمات الديمقراطية والتدخل في شؤونها وتزوير انتخاباتها، وغلق فروعها في المحافظات وشن حملات اعتقالات كبيرة. وختم تصوره بأن قاسم اتبع سياسة هوجاء أدت في نهاية المطاف إلى عزلة النظام وتخليه عن سنده الحقيقي، الجماهير. ووفر الفرصة لانقلاب 1963، ذلك لأنه:

* ضرب القوى الديمقراطية ومنظماتها الجماهيرية.
* أطلق العنان للقوى الرجعية والقوى القومية اليمينية المتواطئة مع أجهزة الدولة والأمن.
* انتهج سياسة شوفينية ضد الشعب الكردي وشن حرباً على حركته القومية. (ص 71).

وككل شيوعي لا بد أن يمر بمرحلة السجن، في أي ظرف أو في ظل أي نظام، اعتقل ونقل إلى البصرة وهناك

سمع بإلغاء إجازة اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي. وبعد إطلاق سراحه وعودته إلى العمل كطبيب في بغداد، ارتئي نقله إلى خارجها وبسبب رفضه فصل من العمل ففتح عيادة له. وكانت الأوضاع تتأزم سياسياً. وقد غادر عدد من رفاقه في الهيئات التي كان عضواً فيها. فتحمل مسؤولية لجنة توجيه العمل الديمقراطي، التي كان يقودها مهدي عبد الكريم ويشرف عليها عامر عبد الله. وكانت تضم د. **صفاء الحافظ وغانم حمدون** الذي حل محل متي الشيخ وآخرين عن رابطة المرأة واتحاد الطلبة العام. وانتقل العمل الحزبي من العلنية إلى السرية. وثبت في ص 74: "أثناء عملي في الفترة 1958- 1962 في الهيئات المختلفة، وكان اغلبها في هيئات العمل الديمقراطي، أثرت في أكثر من مناسبة ضرورة عقد المؤتمر الثاني للحزب، فالظروف كانت مثالية لأسباب عديدة:

* حصول ظروف جديدة وتحول جذري في أوضاع العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
* كان الحزب بحاجة إلى استراتيجية وتكتيك جديدين.
* توافر إمكانية للكوادر الحزبية لقول كلمتها في استراتيجية وتكتيك الحزب وكذلك في انتخاب القيادة الجديدة.

لكن رأيي، ورأي آخرين ممن طالبوا بعقد المؤتمر، لم يقابل بالاستجابة أو التقبل وأذكر أنه في اجتماع للجنة

المثقفين حضره (محمد حسين) **أبو العيس** كمشرف حاول جاهداً تفتيت هذا الرأي. (ص74).

كلف في ربيع 1962 عضوية السكرتارية الدائمة في اتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي محل دارا توفيق الذي رغب في العودة إلى بغداد بعد سنتين من العمل، وتقرر مغادرته إلى مقرها في بودابست، بعد مشاركته في نشاطات لها ومؤتمرات في هلسنكي ووارسو. وبدأ عمله في الاتحاد العالمي مسؤولاً للجنة الشرق الأوسط والبلدان العربية وتسلمت زوجته **بشرى برتو** مسؤولية لجنة الشابات في الاتحاد. وهذا ما سجله في الفصل الخامس الذي عنونه بالعمل في حركة الشبيبة الديمقراطية وتنظيمات الحزب في الخارج. وختمه بسماعه بانقلاب شباط/ فبراير 1963 ومن ثم **خط آب/ أغسطس 1964** ونشاطه الحزبي فيها. مؤكداً موقفه واختلافه مع عزيز محمد وغيره حول:

* معارضتي لخط آب.
* اعتقادي أن ظروف العراق وطبيعة السلطة الدكتاتورية ولجوءها إلى العنف تتطلب مقابلتها بالعنف.
* رأيي أن الحزب كان يتوجب عليه أن يقوم بدور أكثر فاعلية في القضية الكردية وذلك بتطوير سياسته تجاهها وتعزيز نفوذه في الحركة الكردية.
* معارضتي لموضوعة التطور اللا رأسمالي.

* انتقادي مواقف عدم التضامن مع شعبنا من قبل الأحزاب الشيوعية الحاكمة في الدول الاشتراكية.
* رأيي بأن تأييدنا لتقسيم فلسطين كان موقفاً خاطئاً وكذلك كان تصويت الاتحاد السوفياتي بالموافقة على التقسيم موقفاً خاطئاً، إضافة إلى رأيي بضرورة تطوير الموقف من القضية الفلسطينية إلى الدعوة لإقامة دولة فلسطينية عربية مستقلة في الظرف الراهن. (ص 89).

لم يدم نهج الحزب، فقد تخلي عنه باجتماع موسع داخل الوطن. وتوجه رحيم بعد إنهاء عمله في بودابست في آب/ أغسطس 1966 إلى براغ ليكون عضواً في لجنة الخارج، التي كان يرأسها **زكي خيري**، وكان ممثلاً للحزب في مجلة قضايا السلم والاشتراكية، ومعه آنذاك الدكتورة **نزيهة الدليمي، ونوري عبد الرزاق وعزيز الحاج**، الذي غادر إلى العراق بعد أشهر وتسلم مسؤولية هيئة التحرير في الإذاعة، صوت الشعب العراقي، منه. وتقرر عودة الجميع إلى الداخل بالتتابع. وهذا ما سرده في الفصل السادس.

حضر الكونفرنس الثالث للحزب في قرية دار بسر، شمال العراق، الذي استمر عشرة أيام ووصفه بالهام جداً، "فقد قام بمهام المؤتمر وجاء في أعقاب انشقاق 1967 وتبنى وثائق هامة وأجرى انتخابات اللجنة المركزية وكان أول اجتماع واسع لكوادر الحزب بعد انقلاب شباط وحضره

حوالى 60 عضواً. كانت النقاشات حامية، فكرية وسياسية وتنظيمية. وتوصل الكونفرنس إلى معالجة قضايا كثيرة: إدانة انشقاق 1967 وطرد القائمين به. وإصدار وثيقة تقييم لسياسة الحزب للفترة 1958- 1967. كما جرى تقييم خط آب والأضرار التي سببها. وإقرار عقد المؤتمر الثاني للحزب. وإقرار مشروع برنامج للحزب ونظامه الداخلي لتقديمه إلى المؤتمر الثاني. وتدقيق أساليب الكفاح برفض الانقلاب العسكري وطرح الانتفاضة الشعبية المسلحة المدعومة من قبل القوات المسلحة. وعلى صعيد التحالفات السياسية، حرم على الحزب التحالف مع القيادة اليمينية لحزب البعث- قيادة ميشيل عفلق والقيادة القطرية المرتبطة بها. وتدقيق بعض مواقفه في القضية الكردية وتعزيز قوات الأنصار الحزبية واتخاذ قرارات أخرى بشأن القضايا العربية والحركة الشيوعية العالمية". ص 92.

بعد عودته إلى بغداد نسب رحيم إلى لجنة العلاقات الوطنية، التي يرأسها **عزيز محمد** وعضوية **مهدي الحافظ وعامر عبد الله**، وهيئة تحرير (طريق الشعب) السرية، وكان مسؤولها عزيز محمد أيضاً وعضويتها من **مهدي عبد الكريم وعبد الرزاق الصافي**. وذكر أنه في حزيران 1968 طلبت قيادة حزب البعث المرتبطة بجناح ميشيل عفلق التي يعتبرها الحزب يمينية، لقاء قيادة الحزب الشيوعي للتداول

والمباحثات في الوضع السياسي وتطوراته. وأرسل الحزب إليهم مكرم الطالباني، الذي التقى **أحمد حسن البكر** وعاد بعرض التعاون حيث إنهم مقبلون على القيام بانقلاب عسكري ويأملون أن يكون الرد إيجابياً. وكان الجواب بعدم الاشتراك "وقلنا لهم تفضلوا لوحدكم ولن نقف في طريقكم. ولربما كان هذا ما يريدونه منا. وأبلغناه أن موقفنا يعتمد على تزكية الشعب لكم ولما ستقومون به، عند ذلك سنحدد موقفنا" ص 94. ثم جرى لقاء آخر مع حزب البعث في الفترة بين 17-30 تموز/يوليو، مع **عبد الله سلوم السامرائي** الذي قال للذين قابلوه (وكان بينهم على ما أتذكر **ماجد عبد الرضا**) إنهم مقدمون على حسم الوضع مع العسكريين غير البعثيين وطردهم، وهم **عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود** وأنصارهم، وتولي حزب البعث المسؤولية كاملة. وعرض أيضاً مسألة تعاون الحزب الشيوعي ومشاركته في الحكومة. لم يجر الحزب تغييراً في موقفه وفضل التريث ومراقبة تطور الأوضاع ومدى استجابة النظام الجديد لمطالب الجماهير وتصفية مخلفات انقلاب 8 شباط/فبراير. (ص 96). وعمل الحزب من أجل أوسع التحالفات مع القوى السياسية، بما فيها حزب البعث، الذي لم تكن العلاقة معه بعد تسلمه السلطة مثل قبلها، وظلت محصورة بشخص معين يتغير مع تغير التركيبة القيادية. مرة يتولى العلاقات عبد الله سلوم

السامرائي، ثم **نعيم حداد** وبعده **عبد الخالق السامرائي** ثم **مرتضى الحديثي** وبعده **طه الجزراوي**. وفي الوقت نفسه كانت تقارير الحزب عن القمع والإرهاب والاغتيالات لكوادر وقيادات الحزب تنشر في صحيفته السرية. وفي عام 1969، "بذلنا جهوداً كبيرة من أجل تجمع القوى الديمقراطية في عمل موحد من أجل الحريات السياسية: حرية التنظيم والتعبير عن الرأي.. الخ، ومن أجل أن نحررها من أسر تجميد نشاطها وزجها في العمل السياسي.(...) وبعد جهد... قدمنا مذكرة ضافية إلى رئيس الجمهورية احتوت على استعراض تاريخي مكثف لتطور الحركة الوطنية في العراق وعالجنا قضايا الديمقراطية السياسية والقضايا المعاشية للشعب. وأكدنا أن هذه القضايا لن تحل إلا بتضافر جهود القوى الديمقراطية الوطنية. كانت مذكرة جيدة وقعت من قبل ممثلي الاتجاهات السياسية.. من جانب الحزب وقعها **عامر عبد الله وعبد الرزاق الصافي ورحيم عجينة**، ومن شخصيات الحزب الوطني الديمقراطي وقعها **عبد الله عباس ورضا الحلاوي ويوسف الحاج الياس**، ووقعها من الديمقراطيين المستقلين **عبد الوهاب محمود وعبد الفتاح إبراهيم ومحمد سلمان حسن**، وعن الحركة الاشتراكية العربية **عبد الإله النصراوي ومحمد حسين رؤوف**. وكان **فؤاد الركابي** معتقلاً آنذاك" (ص 99-100).

نسب إلى لجنة البرنامج والنظام الداخلي المكونة للتحضير للمؤتمر الثاني للحزب، (1971) وكانت برئاسة **زكي خيري** وعضوية **عمر علي الشيخ**. وعقد المؤتمر في ظروف العمل السري وأطلق عليه اسم مؤتمر هندرين. ساهم في المؤتمر حوالى 100 عضو بين رفاق ورفيقات وكان مؤتمراً حيوياً برأي **رحيم**، واستمر بضعة أيام حافلة بالنقاشات والجدية الفكرية والسياسية. وكان أهم قرار تغيير الموقف من حزب البعث الذي اتخذه الكونفرنس الثالث، من التحريم إلى التحالف معه ومع القوى السياسية الأخرى. لكن رد الفعل من حزب البعث بعد إعلان الحزب عنه ونشر وثائقه هو تشديد حملة الإرهاب التي لم تتوقف على الإطلاق. (ص102).

وانهمك بعد المؤتمر في متابعة قضايا الاعتقالات والمعتقلين مع القيادات البعثية التي تكونت له علاقات بها. كما عزم الحزب على تنظيم واستعادة نشاط المنظمات الجماهيرية، النقابات والاتحادات المهنية. من بين تلك المنظمات نشط **رحيم في مجلس السلم** وإعادة تكوينه وطنياً، فتكونت سكرتارية له بالإضافة إلى **عزيز شريف**، **عامر عبد الله ورحيم عجينة** ومن حزب البعث **مرتضى الحديثي** ومن بعده **نعيم حداد**، وشخصيات كردية من الديمقراطي الكردستاني منهم **دارا توفيق**. وكان من العاملين في الحركة **نوري عبد الرزاق** قبيل أن يصبح سكرتيراً عاماً لمنظمة

التضامن الأفروأسيوي، **ومكرم الطالباني وصفاء الحافظ ثم مهدي الحافظ** عند عودته إلى العراق عم 1973. ونظم المجلس بالتعاون مع مجلس السلم العالمي ومنظمة التضامن الأفروأسيوي اجتماعات وندوات عالمية، من بينها اللقاء العالمي للتضامن مع العراق في بغداد في آب/أغسطس 1972 غداة تأميم شركة نفط العراق.

طرح حزب البعث مشروع تحالف وطني ناقشه المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ولجنته للعلاقات الوطنية التي كان **رحيم** مكلفاً منها بالحوار واللقاء مع ممثلي البعث، وعند سفره خارج العراق أوكلت المهمة إلى **د. صفاء الحافظ**. وتواصلت اللقاءات والحوار منذ شباط/فبراير 1972 حتى تم الاتفاق على المشروع في 16 تموز/يوليو 1973، وكان **رحيم** في لجنة ووفد الحوار في جميع مراحله. وكانت قيادة الحزب قد أصدرت بياناً للجماهير حول المشروع في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر 1971 شخصت فيه الجوانب الايجابية والسلبية للمشروع. بينما اتخذ الحزب الديمقراطي الكردستاني موقفاً سلبياً منه، وأكد على جوانب الخلاف في رده على المشروع. وكانت "المعلومات التي توفرت لدي والاستنتاجات التي توصلت لها جعلتني أميل إلى ان الحزب الديمقراطي الكردستاني لم يكن متحمساً ولا راغباً في أن يسمح للحزب الشيوعي بالقيام بدوره الكامل خشية مما سيعنيه

ذلك في كردستان، وقد يكون البعث والديمقراطي الكردستاني متقاربين في وجهة نظرهما في عدم السماح للحزب الشيوعي أن يكون فعالاً وذا نفوذ في البلاد". ص 112.

رغم أن **رحيم عجينة** كان عضواً دائماً في لجنة الحوار والعلاقات الوطنية والمفاوضات والاتصالات بين الأحزاب والشخصيات العراقية، العربية والكردية، إلا أنه بعد توقيع ميثاق العمل الوطني في 17 تموز/يوليو 1973 بين **عزيز محمد وأحمد حسن البكر** سجل في مذكراته "وإذا كانت لي كلمة تقال في هذا الشأن ينبغي على القول بأنني لم أكن مقتنعاً تماماً بالاتفاق مع البعث وكانت لدي تحفظات جدية بعضها يتعلق بنصوص الاتفاق والتنازلات التي قدمت للبعث، والبعض الآخر يتعلق بعدم ثقتي بمستقبل هذا التحالف والالتزام به من قبل البعث المصمم على إخراج الحزب من ساحة العمل السياسي. كما يجب علي أن أقول إنني التزمت بقرار قيادة الحزب الذي اتخذته اللجنة المركزية بالأكثرية وعملت في مجال التحالف الجبهوي طوال مدة التحالف، في سكرتارية الجبهة وفي اللجنة العليا". ص115.

كما نشط **الدكتور رحيم** في المفاوضات حول مشروع قانون الحكم الذاتي لكردستان، ممثلاً عن الحزب وسكرتارية الجبهة الوطنية. وقد تشكلت لجنة استشارية واسعة ضمت ممثلين عن البعث والديمقراطي الكردستاني والشيوعي

والمستقلين للعمل على حل الصعوبات ووقف الصدامات وتم تكليفها التوصل إلى مقترحات لتطبيع العلاقات بين الديمقراطي الكردستاني (حدك) والبعث. كان على رأسها **عبد الخالق السامرائي** واشترك فيها **طه ياسين رمضان وسعدون غيدان وغانم عبد الجليل وطارق عزيز** عن البعث ومن حدك **محمد محمود (سامي) وصالح اليوسفي ونوري شاويس ودارا توفيق**، ومن الشيوعي **كريم أحمد ومهدي عبد الكريم ومكرم الطالباني ورحيم عجينة**، ومن المستقلين **عزيز شريف وفؤاد عارف وعبد اللطيف الشواف**. وكان للحزب الشيوعي تصوره للحكم الذاتي وللبعث أيضاً مشروعه وتم الاتفاق بين الحزبين على مشروع القانون وقدم إلى حدك وعقدت اجتماعات موسعة حوله. وذكر **رحيم** أن حدك "قدم تعديلات على المشروع كانت الرئيسية منها تتعلق في:

* كركوك وشمولها بالحكم الذاتي.
* المالية، أي تخصيص ميزانية لكردستان بنسبة معينة من ميزانية الدولة.
* اعتبار اللغة الكردية اللغة الرسمية في كردستان.
* إن الشعب العراقي ليس جزءاً من الأمة العربية، وإنما الشعب العربي في العراق هو الذي يشكل جزءاً من الأمة العربية. وفيما يتعلق بهذه الفقرة التي قدمها البعثيون في مشروعهم كنا قد نجحنا في تعديلها في اجتماعات اللجنة

العليا مع البعثيين إلى صيغة مخففة هي العراق جزء من الأمة العربية بدل الشعب العراقي.

* صلاحيات محافظي المحافظات في كردستان وشكل ارتباطهم بالسلطة المركزية.
* صلاحيات المجلس التنفيذي والمجلس التشريعي. كان حدك يريد تسمية أعضاء المجلس التنفيذي وزراء، اسماً وصلاحيات، وقد أيدنا نحن رأيهم هذا لكن البعثيين رفضوا ذلك بحجة تداخل الصلاحيات والمسؤوليات." ص 121.

جرت نقاشات واسعة حول النقاط والتعديلات والمشروع، وتوصلت لجنة العلاقات الوطنية للحزب إلى إرسال وفد لمقابلة ممثلي حدك وطرح تصورات للحل وتم اللقاء، وتصور رحيم الذي شارك في الوفد أيضاً للمشروع كان صائباً ولكن توقع أن الصراع من أجل تطبيقه لن ينتهي بنتائج إيجابية بالضرورة. كما شكلت اللجنة العليا للجبهة الوطنية وفداً لطرح الموضوع على **الملا مصطفى البرزاني** مباشرة. تشكل الوفد من **غانم عبد الجليل ورحيم عجينة** ورافقه **محمد محمود** من قادة حدك. وبعد سفر الوفد أبلغ **غانم عبد الجليل** زميله في الوفد **رحيم عجينة** أن المكتب السياسي لحدك اعترض على وجود ممثل الحزب الشيوعي **رحيم عجينة**. وكان **رحيم** ملبياً لاعتراضهم إلا ان **غانم عبد**

الجليل أصر على تركيبة الوفد المقر من اللجنة العليا للجبهة، وسينسحب هو أيضاً إذا انسحب **عجينة**. فكتب رحيم: "إن موقف قيادة حدك تجاهنا أمر غير مستغرب، فعلى الرغم من علاقاتنا النضالية المديدة والعلاقات الشخصية بين البارزاني وقادة حزبنا من الأكراد فإن نزعة الاستئثار بالعمل السياسي في كردستان وفيما يخص القضية الكردية، تدفع حدك لاتخاذ مثل هذه المواقف التي تلحق أفدح الأضرار به وبالشعب الكردي والحركة القومية الكردية. ربما كان وراء موقفهم أنهم لم يطيقوا وجود شيوعي عربي ويفضلون اقتصار المناقشة عليهم وعلى البعث فقط وحرصوا على النيل من الحزب الشيوعي العراقي. أو ربما أنهم لم يكونوا مرتاحين من موقفنا في المحادثات. وباعتقادي أن هذا الاحتمال ضعيف وليس من شأنه أن يؤثر على موقفهم. والحقيقة هي أنهم في ظروف معينة لا يرتاحون لوجودنا أصلاً. كما أنهم بالأساس لم يريدوا أن يعترفوا بالجبهة التي كانوا يريدونها أن تتم أولاً بينهم وبين البعث". ص 124. لم تستمر الأمور كما كان مرسوماً لها ونشب الصراع بين البعث وحدك، وعمل البعث على دعوة أكراد آخرين، **طه محي الدين معروف، وعزيز عقراوي وعبد الله اسماعيل وهاشم عقراوي والشيخ ستار عبد الطيف**، وضمهم إلى اللجنة العليا والسكرتارية، واسموا أنفسهم بحدك والثوري.

شهدت فترة ما بعد التوقيع على ميثاق الجبهة توسعاً في تنظيمات الحزب الشيوعي ونشاطه الجماهيري في الداخل والخارج. ولم تكن أجهزة حزب البعث وسلطته متفرجة عما يجري من تطورات لمصلحة الحزب الشيوعي. كما شهد البعث نفسه تغييرات داخلية في طبيعة قيادته وكوادره ومنتسبيه وتحول أعداد منهم إلى رأسماليين كبار، لاسيما بعد 1974 مع ارتفاع أسعار البترول وعائداته، والطفرة الاقتصادية التي ساعدت على تكديس ثروات كبيرة عند فئات اجتماعية نشأت ونمت في ظل سلطة البعث ورعايتها. مما ضاعف من مخاوف البعث على مستقبل نظامه، لاسيما بعد الصدام مع حدك، وتشكيل قوة مسلحة للحزب الشيوعي العراقي ساهموا في تسليحها وما يشكله هذا في المستقبل.

تحضيراً للمؤتمر الثالث للحزب الشيوعي ساهم **رحيم عجينة** في لجنة الإعداد لمشروع برنامج الحزب، وكانت اللجنة برئاسة **زكي خيري** وعضوية **عمر علي الشيخ وعبد الرزاق الصافي وكاظم حبيب وجاسم الحلوائي**. وعملت اللجنة لشهور عديدة، وبتأثير أعباء التحالف في الجبهة وضعت تكيفات وتنازلات فكرية وسياسية، حيث كانت الجبهة مستحوذة على فكر اللجنة وسلوكها. وجرت إعادة قراءة لبعض الكتب الكلاسيكية والنقاش مع اختصاصيين حول المشروع، **كما استشار الحزب "علماء" من الاتحاد**

السوفياتي. كما كتب **رحيم** ووضع كلمة العلماء بين قوسين. وأضاف: " أهملنا طبيعة حزب البعث وتنكره للديمقراطية وعداءه لها ونزعته الثابتة في الاستئثار والانفراد بالسلطة عن طريق الديكتاتوري وعدائه للشيوعية، بينما كانت وثائق المؤتمر الثاني عام 1970 قد أكدت بعض هذه الجوانب". ص 129.

عن المؤتمر كتب: " أضفى المؤتمر الثالث زخماً كبيراً على نشاط الحزب ومكانته، فقد عقد علناً في مقر الحزب الرئيسي في بغداد واستقبلته القوى السياسية في المنطقة العربية والعالم بحماس وعزز نفوذ الحزب جماهيرياً". ولكنه في الوقت نفسه شكل "نواقيس خطر لحزب البعث، وكان علينا أن نتوقع ذلك. فحزب البعث في حساباته، رسم للحزب الشيوعي دائرة يسمح له بالتحرك ضمنها. ولكن، وعلى الرغم من وجود الجبهة، خرج الحزب من حدود الدائرة" (...) وبعد فترة من قصيرة من انعقاد المؤتمر، أيار/مايو 1976، "تصاعدت التضييقات على الحزب وأعضائه وجماهيره. وازدادت الانتهاكات المتنوعة بحقه وعانى من اضطهاد بشع. ومع اشتداد الانتهاكات ضد الحزب برزت تناقضاتنا أيضاً مع البعث في السياسة والفكر على المستوى الداخلي والعربي والعالمي". ص 130. وأصبحت العلاقات متوترة وتسير نحو نهاية لها. فقرر الحزب في اجتماع لجنته المركزية في آذار/

مارس 1978 عدم السكوت على الأوضاع المتدنية يوماً بعد آخر. وأصدرت تقريراً انتقادياً، استقبله حزب البعث بحملة فكرية إعلامية ضده، جند صحيفة "**الراصد**" للتهجم على التقرير سياسياً وفكرياً، مع حملة إرهابية شرسة ضد الحزب. رافق ذلك إعدام 30 من الشيوعيين وأصدقائهم العاملين في القوات المسلحة، (ذكر **باقر إبراهيم** عددهم 31 رفيقاً وصديقاً) واستفزازات متتالية في اللجنة العليا للجبهة والسكرتارية، انتهت بقرار الحزب إلى الانسحاب تدريجياً ومغادرة قياديين وكوادر حزبية العراق، مع استمرار الجريدة بالصدور وبقاء الوزيرين في منصبهما.

في 13 كانون الأول/ديسمبر 1978 غادر **رحيم** العراق بقرار من المكتب السياسي طبعاً. قضى فترة مع زوجته **بشرى برتو** في هنغاريا، ثم انتقلا إلى باريس للاضطلاع بمسؤولية العمل وبالعلاقات مع الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي ومع القوى السياسية الأخرى ومؤسسات الرأي العام وإقامة **اللجنة الفرنسية ضد الإرهاب في العراق**، ومن باريس انتقل إلى اليمن لقيادة المنظمة الحزبية هناك. وقبل مغادرته العراق انتقد حل المنظمات الديمقراطية. فكتب: "وأخذ الحزب قراراً بتجميد المنظمات الديمقراطية وأجبر الشيوعيون الذين يقودونها على تجميدها، وهكذا لم يكن قرار التجميد متخذاً من قبل الهيئات القيادية لهذه المنظمات

وإنما من قبل المكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية. وهذا السلوك برأيي ثغرة مزمنة في حياة الحزب تعكس مرض الهيمنة والوصاية على المنظمات الديمقراطية الجماهيرية والتصرف إزاءها كتابع للحزب وليس كمنظمات لها استقلاليتها" (..) وبالارتباط بهذا القرار تم سحب ممثلي هذه المنظمات من المنظمات الديمقراطية العالمية، اتحاد الطلبة العالمي واتحاد الشبيبة الديمقراطي العالمي..." ص 138.

استمر في اليمن سنتين ونصف السنة، وحين تقرر عقد اجتماع اللجنة المركزية للحزب في حزيران 1984 في كردستان قرر وزوجته بشرى حضوره. واعتبر **رحيم** وبشرى الاجتماع مهماً، إذ تقرر فيه عقد المؤتمر الرابع للحزب عام 1985، ورحب سكرتير الحزب بفكرتهما حول الالتحاق بحركة الأنصار. (ص156). وقضيا هناك الفترة الثانية من تشرين الأول/أكتوبر 1984 حتى حزيران/يونيو 1988. وحالما وصل **رحيم** إلى مقر الحزب في كردستان تسلم مهمات مسؤولية تحرير **(طريق الشعب)** والعلاقات الوطنية والعمل التنظيمي الحزبي في حركة الأنصار، وتشكلت اللجان الضرورية من أجل ذلك. وبدأ نشاطه كعادته ولكنه "في ميدان العمل في **(طريق الشعب)** والعلاقات، وكانت تتم بإشراف من المكتب السياسي، كان التعاون جارياً مع بعض التوتر بين الحين والآخر. وهذا ناجم في اعتقادي وقناعتي عن نزعة

الاستئثار والبيروقراطية. لا أدري إن كان يشاركني آخرون في رأيي حول تأصل الديكتاتورية وسطوة عضو المكتب السياسي في الموقع المعين لما أعطي من صلاحيات مطلقة تتحكم في الكثير من العمل والحياة اليومية". ص 167. كما سجل: "من المؤلم والمؤسف أن وجود هذه الكوادر في حركة الأنصار ونكرانهم للذات وحرصهم على أن يربطوا مصيرهم بالحزب كان أحياناً موضع تندر وتسفيه لدى البعض منا، حيث صار البعض يسخف وجودهم بالقول إن حملة شهادات الدكتوراه مشغولون بالبغال وتغذيتها وتحميلها.. الخ. وفي الحقيقة كان الواجب الإشادة بهم وإناطة المسؤوليات إليهم. ومن الطبيعي أن هذا لا يعني أن كل حملة الشهادات العليا من أعضاء الحزب كان ينبغي أن يتوجهوا إلى كردستان، والأمر لم يكن كذلك فعلاً". وأبدى في هذا الفصل آراء شخصية وتقييماً حول **حركة الأنصار** وتطوراتها وبعض خواصها ارتباطاً بعلاقتها بالحزب الشيوعي العراقي وبعض القضايا العقدية في **حركة الأنصار الشيوعية**.

انتقل بعدها إلى المؤتمر الوطني الرابع للحزب والإعداد له نهاية صيف 1985. "وكانت هناك الجوانب المتعلقة بانتخاب المندوبين في الهيئات الحزبية العاملة في كردستان، وينبغي علي القول إن نقصاً بالغاً حصل في مجال تطبيق الديمقراطية وإشباع الهيئات الحزبية بصلاحياتها وإفراط في

البيروقراطية وحرمان القاعدة الحزبية من انتخاب ممثليها إلى المؤتمر، الأمر الذي أدى إلى توتر الأجواء وتعكر الأمزجة وأثار العديد من الأعضاء والكوادر..". وقام مع **عبد الرزاق الصافي** بإنجاز مشروعي التقرير السياسي والبرنامج والنظام الداخلي لإقرارهما من قبل المكتب السياسي ثم اللجنة المركزية ليقدما باسمها إلى المؤتمر. ص189. وعقدت الأخيرة اجتماعها حوالى 26 تشرين الأول/أكتوبر، وكان سراً معروفاً، "كما كان متوقعاً ومنهكاً بسبب الصراعات المبدأية وغير المبدأية ونزعة تصفية الحسابات بين البعض" ص191. وإضافة إلى الصراعات الفكرية حول التقرير السياسي والشعارات والموقف من الحرب العراقية الإيرانية، هناك الإجراءات "المكدرة في أعمال المؤتمر والتحضير له وما جرى التوصل إليه وإقراره هو إعادة ترشيح 15 فقط من أعضاء اللجنة المركزية وهم كل أعضاء اللجنة المركزية الذين لم يعتذروا عن حضور المؤتمر وتقديم اقتراح للمؤتمر بتخويل السكرتير العام بتشخيص 10 أعضاء جدد يختارهم هو دون أخذ موافقة اللجنة المركزية شريطة أن يكونا من الشباب العرب والذين يعملون في الوسط والجنوب أو ينتقلون إلى هاتين المنطقتين للعمل فيهما". (..) ولكن هذا الإجراء كان منافياً للديمقراطية وفسح المجال واسعاً للمناورة والصفقات والنشاط وراء الكواليس. وأعيد تكليفه المهام نفسها بعد

اجتماعات الهيئات القيادية الجديدة وقبلها دون اعتراض منه، رغم كل ملاحظاته على الأوضاع. وكتب عن إعادة الروح للعمل في الجبهات الكردستانية والعلاقات الوطنية، وموقفه من **البريسترويكا**. "شعرت بقلق بالغ خلال تلك الفترة. وأدركت أننا مقبلون على فترة عصيبة دون أن أدرك كل مدياتها. ولكن التيار كان جارفاً للجميع تقريباً بسبب تقليد التلقي الذي نعاني منه. كنت متحفظاً على التطورات التي جاء بها غورباتشوف وبقيت على تحفظاتي دون الإعلان عنها. ولكني أقول للحقيقة إنها لم تكن خافية على قيادة الحزب ولا عن كوادره".

اختلف **الدكتور رحيم عجينة** عن باقي رفاقه في الحزب في قضية السجون في العراق، لأسبابه التي سردها، فلم يتعرض هو لما حصل مع غيره. وكذا تجاربه مع قوى الأمن العراقي ليست كثيرة. "ويرجع سبب ذلك إلى أني عشت فترة طويلة خارج العراق أثناء السنوات الأولى من حياتي الفعالة وانخراطي في النشاط الوطني، حيث أكملت دراستي الجامعية في مصر ودرست وعملت بعد ذلك في بريطانيا. كما أن المهمات الحزبية التي اضطلعت بها كانت هي الأخرى خارج العراق من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تكن، عندما عدت إلى الوطن، مغرية لقوى الأمن العراقية ولم تجعل مني هدفاً مباشراً لها لما تسببه من إحراجات للسلطات إذ كنت سكرتيراً

وعضواً في الجبهة الوطنية والقومية التقدمية". ولكنه عاش السجن في إيران وسجل يومياته فيها، وكذا كانت أولى المجابهات والحجز المؤقت في مصر، وبريطانيا، وأمريكا، ولكن بطرق مختلفة عن سجون العراق التي جربها بعد ثورة تموز/يوليو لفترة قصيرة، وخدمته صدف حميدة فيها، تمكن من تذكرها في السجن الانفرادي الإيراني. وبوساطات من الاتحاد الوطني الكردستاني والسفارة السورية غادر مطار طهران يوم 14 نيسان/أبريل 1989 إلى دمشق ووصل إليها بسلام.. "وعدت إلى العزيزين الغاليين **بشرى** والحزب اللذين لا أملك في هذه الدنيا غيرهما!".

كلف من جديد مسؤولية لجنة تنظيم الخارج **(لتخ)** وتمثيل الحزب في مجلة قضايا السلم والاشتراكية في براغ، ولم يطلع على الصراعات في المكتب السياسي ولتخ واللجنة المركزية وما دار في اجتماعها في آذار/مارس 1989. وعقد كونفرنس لمنظمات الحزب في الخارج ولكنه واجه تخبطات القيادة الحزبية وتصرفاتها المتناقضة. وكتب: " يحتار المرء في تفسير هذا التخبط. فلننظر إلى ما عانته لتخ خلال سنة ونصف والمرات التي أعيد فيها تشكيلها وحلها. ولماذا لا نرى أن قراراتنا تحول الحزب إلى خرابة وجثة هامدة؟!. أم أنه العجز عن الوصول إلى مستوى الأحداث والمسؤوليات أم أن هناك أمراً لهدم كل شيء؟ أم هي مجموع هذه العوالم؟!." ص

258. أما عن وجوده في المجلة فكانت إشاراته منقولة من حوارات آخر أيامها وتشاؤمه من استمرارها.

الفصل الرابع عشر عنونه: عام في المكتب السياسي، حيث انتخب في اجتماع اللجنة المركزية في أيلول/ سبتمبر 1991. ولم يكن مستعداً له نفسياً ومتردداً في قبوله أو رفضه. "والوضع النفسي والفكري ارتباطاً بعضوية المكتب السياسي يستند إلى خلفية العلاقة مع المكتب السياسي أو أعضائه، فهذه العلاقة لم تكن سوية ويشوبها الجفاء وعدم التطابق في النظرة إلى آلية العمل، وقناعتي بنزعة أعضاء المكتب السياسي إلى الابتعاد عن إشاعة الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية، ووأد المبادرة والخوف منها ومن طرح الجديد، وميلهم إلى المركزية المفرطة حتى في تنفيذ السياسة المقررة. (...) والعامل الآخر في الجفاء يكمن في ما أقدم عليه المكتب السياسي من حل لتخ وتنحيتي من مسؤوليتها بدل تعزيزها ودون الرجوع إلى أعضائها والاجتماع بهم.(...) ومن أسباب الجفاء الأخرى أيضاً بعض المماحكات والاستفزازات الشخصية ." ولكنه "بعد شهر واحد شعرت بصدمة شديدة لم أكن أتوقعها. كنت أنتظر صعوبات من نوع آخر لا أن أكون طرفاً في الصراعات الذاتية والطعون الشخصية والعلاقات غير المبدأية. فهذا لم يخطر على بالي ولم أزج نفسي فيه سابقاً". وأضاف: "تحولت آخر جلسة من دورة اجتماعات المكتب

السياسي في تشرين الثاني/نوفمبر 1991 إلى جحيم حقيقي بالنسبة لي لا يمكن تحمله". وأكمل تداعياته: "أدركت في هذه الجلسة أن العمل في هذه الأجواء صعب جداً بالنسبة لي أن لم يكن مستحيلاً. ووجدت نفسي، بمقاييسي وأخلاقياتي وسلوكي، عبئاً على المكتب السياسي وأجوائه، بقدر ما يشكل المكتب السياسي عبئاً أخلاقياً عليّ. فطرحت على ذلك الاجتماع تخليصي وتخليص المكتب السياسي من هذا العبء... ولم يصغ أحد من الحاضرين بجدية إلى ما طرحته." ص270.

عاد إلى كردستان مرة أخرى في نهاية كانون الثاني/يناير 1991 للعمل في المكتب السياسي بقوام لا يزيد عن أربعة أعضاء. كان السكرتير يتمتع بإجازة في الخارج، **عمر علي الشيخ** في وسط العراق و**فخري كريم** في دمشق. وبقي لفترة قصيرة أربعة: **كريم أحمد وحميد البياتي وعبد الرزاق الصافي ورحيم عجينة**. وأضيفت إليه مهمة قيادة اللجنة الحزبية العليا لقيادة نشاط الحزب الانتخابي لانتخابات المجلس الوطني الكردستاني. "حاولت الاعتذار لأسباب عديدة أهمها أنني لست من الكرد، الأمر الذي يثير بعض الحساسية لدى بعض الرفاق الأكراد، بالإضافة إلى أني كنت مغرقاً بمهام عديدة ومرهقاً بالعمل والمهمات الفكرية والسياسية والجماهيرية المتعلقة بالمنظمات الديمقراطية". وانزعج ولم يجد عذراً من

اعتذار سكرتير الحزب **عزيز محمد** منه من المشاركة في الحملة الانتخابية التي كان ينتظرها، واصطدم معه أكثر من مشاركته في احتفال الحزب في 31 آذار/مارس 1992 في أربيل. فكتب: "سكرتير الحزب، كل الحزب، يلقي كلمته بالكردية .. في تجمع يفهم العربية بشكل جيد، وهو متحدث لبق بها. صحيح أننا في كردستان، ولكن كلمته تلقى باسم كل الشيوعيين العراقيين، الأكراد منهم والعرب، بذكرى تأسيس الحزب في بلد متعدد القوميات، بالإضافة إلى أن سكرتير الحزب كردي مما يعكس الروح الأممية لدى الشيوعيين العراقيين العرب. ثم إن المحتوى لم يجسد طبيعة الحزب العراقية ونضال الشعب العراقي وإنما كان حديثه عن الشعب العراقي وكأنه يتحدث عن أي شعب صديق آخر، وغلبت على الكلمة نزعة قومية كردية تلقاها الحاضرون بترحيب حار لمنطلقها القومي. وبعد هذا أتلقى أنا وغيري الانتقاد والتقريع. ولم نحصل على جواب شاف عندما أثرنا الأمر معه". ص 274.

وشعر بعد تأكده من تزوير الانتخابات ومن دوامة العمل مع المعارضة العراقية والمؤتمرات التي عقدت في خارج العراق أنه يناقض. واستنتج "فقد كنت أرى الحزب يتحول إلى خرابة أو جثة هامدة وأن هناك من يريد أن يقف على قمة هذه الخرابة. لم أكن أخفي هذا الرأي على سكرتير

الحزب، وحتى أنني صرحت به في كونفرنس تنظيم الخارج في خريف 1989". ص 284. وبعدها بدأ في طرح آراء مختلفة ومتعددة حول الحزب وتصرفات قيادييه، وحول مجلة النهج ومسؤولها والمشاركة في مؤتمرات المعارضة ومرشحي الحزب لها وتركيب المكتب السياسي ودوره. "وتحولت بعض اجتماعات المكتب السياسي إلى كابوس سياسي وندوة للشتائم والزعيق والابتزاز والتهجم على بعض أعضاء المكتب السياسي وعلى الهيئة ذاتها، الأمر الذي يعالجه السكرتير بتعليق الاجتماع وإنهائه لكي يتجنب الرد والرد المقابل". ص 292. وأخيراً وصل إلى الاعتذار عن العمل في المكتب السياسي وبيان أسبابه، ليواصل في الفصل الخامس عشر انطباعاته ومشاعره في رسائله الشخصية التي بعثها من كردستان إلى زوجته بشرى، وهي قيادية في الحزب طبعاً. ومنها: "وضعي النفسي، بالارتباط مع العمل، كما تعهدين، المزاج قليل التأثير علي ولكنني لا أخفي عليك فإنني مكروب كثيراً والضغط النفسي علي كبير. وتيرة عملنا سلحفاتية، والماكنة "مزنجرة"، "مجيمة"، والانفلات واسع، وتشبه إلى حد ما، ربما كبير، ما أصاب الحزب الشيوعي السوفيتي من تسويد وجه الحزب من قبل البعض بالإضافة إلى النزعة "القومانية" الضيقة وردود فعلها لدى البعض العربي. المبادرة مقتولة والكوابح نشطة. المفاهيم متخلفة والمتابعة تكاد تكون

معدومة إلا في النادر القليل، والتفكك ظاهر في التنظيم". ص315. وختمها برسالة مؤرخة في 29 حزيران/ يونيو 1992: "مزاجي الذي لا يؤثر على عملي، يمكن أن أصفه بالبؤس وتراكم عوامل الانفجار الداخلي التي أحاول تقنينها وتصريفها. الأيام تمر بشكل مذهل، ولم أستطع أن أنفك عن العمل. المشاغل والتكليفات لا تقف عند حد. كل يوم عندنا جديد. أنا متعب ومرهق ويؤرقني كل شيء حولي مثلما كتبت في رسائلي السابقة. ولكن الأمانة في العنق والضمير يشحذانني بطاقة جديدة. وهذه الطاقة هي إحدى مشاكلي، فالمصيبة أن لدي حتى الآن الوفير منها. ومن الطبيعي أنها ستتوقف يوماً ما، وبودي أن أتوقف أنا عن أن أكون ما أنا عليه الآن قبل استهلاك تلك الطاقة". ص320.

في القسم الثاني من الكتاب وثائق عن بعض مواقفه الفكرية والسياسية حول قضايا رئيسية في عمل الحزب ومواقفه من أحداث متطورة في العراق وجواره . إضافة إلى ملاحق عن كتابات له من كراس أصدره في بريطانيا وعن حركة الأنصار وعن مجلة قضايا السلم والاشتراكية وأوراق حول النظرات والمواقف القومية والانعزالية والشوفينية وحول انتخابات المجلس النيابي الكردستاني وحول ندوة للمعارضة العراقية.

صدر للمؤلف

- العراق: صفحات من التاريخ السياسي، ط1 السويد 1992، ط2، دمشق، 1998، ط3، القاهرة، 2007.
- فن الانتفاضة...، السويد، 1994.
- الحركة العمالية في العراق، بيروت، 1996.
- الجبال، يوميات نصير في كردستان، بيروت، 1996.
- لا للحرب، خطط الغزو من اجل النفط والإمبراطورية، دمشق، 2004.
- ما يبقى .. صور وكتب، الجزائر، 2005.
- لا للاحتلال.. إسقاط التمثال وسقوط المثال، دمشق، 2005.
- واشنطن-لندن: احتلال بغداد، دمشق 2007.
- بشت آشان.. فصيل الإعلام، دمشق، 2007.
- العراق، صراع الإرادات، دمشق، 2009.

المحتويات

في هذا الكتاب: المطرقة والمنجل في العراق.. قراءة في كتابات ومذكرات قيادات شيوعية أشياء مهمة وخطيرة تاريخياً وسياسياً، أشياء جميلة عن الطفولة والحياة العائلية وكذلك عن الأحوال والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها مما يحتاجها الباحث والمؤرخ والأجيال التي تحمل الراية بعد تلك الأسماء الكبيرة، القائدة والمؤسسة والمناضلة والمضحية بكل ما تملكه من أجل الشعب والوطن والإنسانية جمعاء. وكذلك تعكس العقل السياسي الذي سجلها وكيف فكر فيها وجمع قواه لأجلها وتطوع في سبيلها. وهذه حالة مهمة للفكر السياسي ودراسته وتطوراته والتغيرات التي عبرت عنه في مراحلها التاريخية. وبما أنها تعبر عن تيار بارز في الفكر السياسي فأنها تسجل أيضاً حضورها الدائم والضروري في تدوين التاريخ الفكري السياسي في العراق.

كاظم الموسوي، ولد في العراق وعاش ويعيش أكثر من نصف عمره في المنافي.

- كاتب صحفي حر، يكتب وينشر في عدد من الصحف والمواقع العربية.
- أكمل دراسته الجامعية في بغداد، وموسكو وصوفيا. حاصل على دكتوراه فلسفة في التاريخ.
- ترأس تحرير مجلة الجسر الثقافية الشهرية في السويد للسنوات 1994 - 1999.
- أسس وأدار المركز الثقافي العربي بالسويد لسنوات 1995-1999.
- درّس في المعاهد السويدية وكلية الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن.
- عمل باحثاً في مركز الدراسات الفلسطينية - دمشق، وجامعة الدول العربية، ورئيس التحرير التنفيذي لموقع الكتروني لصحيفة عربية - لندن.
- اعد برامج ثقافية وحرر في محطات تلفزيون عربية.

ISBN 978-9953-71-621-3

